

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة -
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم الفلسفة

الرقم التسلسلي :
رقم التسجيل: D.PA/3C/03/19

إشكالية التمرکز في الخطاب الغربي:
من تمجيد الذات إلى الهيمنة على الآخر

أطروحة مكملة لنيل دكتوراه " L.M.D " تخصص فلسفة عربية إسلامية

إشراف :

د. عبد السلام بوزبرة

إعداد الطالب:

مخلوف عباس

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
لخضر حميدي	أستاذ التعليم العالي	محمد بوضياف المسيلة	رئيسا
عبد السلام بوزبرة	أستاذ محاضر "أ"	محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
عبد المجيد مسالتي	أستاذ التعليم العالي	محمد بوضياف المسيلة	عضوا مناقشا
ميلود طيبي	أستاذ محاضر "أ"	زيان عاشور الجلفة	عضوا مناقشا
خوضر رياض	أستاذ محاضر "أ"	محمد بوضياف المسيلة	عضوا مناقشا
شريف زروخي	أستاذ محاضر "أ"	لمين دباغين سطيف	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2022 - 2023

بِسْمِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيمِ

شكر و عرفان

نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف. د- بوزيرة عبد السلام

الذي تابع العمل من بدايته إلى نهايته والذي أحاطنا بتوجيهاته

العلمية التي ساعدتنا على تخطي عقبات البحث .

إلى كل من كان لهم الفضل في تعليمنا في مشوارنا الدراسي منذ

بدايته.

إلى كل أساتذتي الأعزاء في مشوراي الجامعي من الليسانس بالمدرسة

العليا للأساتذة بالأغواط إلى مرحلة الماستر بجامعة الجلفة وختاما بدرجة

الدكتوراه بجامعة المسيلة.

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على أشرف المرسلين خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة
و أزكى السلام

أما بعد:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الذي لا تطيب اللحظات إلا بذكره و شكره و
تطيب الآخرة إلا بعفوه و هو الله عز وجل

و إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمة و نور العالمين سيدنا محمد
عليه الصلاة و السلام

إلى الوالدين الكريمين الغاليين حفظهما الله بحفظه

إلى منبع الأنس و المعبة أخوتي الكرام

و إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع.

مقدمة

مقدمة:

تعتبر إشكالية المركزية الغربية أهم الأبواب لمعرفة بنية الفكر الغربي عبر العصور فمن المعلوم ان هذه السمة التي ميزت الذات الغربية رافقت الحضارة الغربية منذ القديم بشكل بسيط و بدأت في ظهور بشكل أكثر وضوحا مع الحقبة اليونانية وبقيت في حالة تطور من حيث الوسائل والغايات إلى مرحلة ما بعد الحداثة في تحرك تاريخي ينم على مدى تعلق العقل الغربي بحب السيادة والتفرد على باقي المجتمعات البشرية التي أدت به أحيانا للعنف والتطرف عبر مشاريع الاستعمار والحروب المفتعلة مع الآخر أو محاولات الترويض الحضاري لمجتمعات الهوامش غير الغربية، ما يؤكد تجذر خطاب التمرکز الإقصائي للغير خاصة إذا كان ذلك الآخر هو الحضارة الإسلامية التي طالما اعتبرها المفكر الغربي ماردا أخضرا يتهدد الحضارة الأوروبية منذ عصر الفتوحات الإسلامية التي مثلت لديه كل أشكال الريبة والمعاناة ما جعل المجتمع الغربي يتجاوز صراعاته الداخلية من خلال استحداث عدو حضاري يتجلى في الحضارات الشرقية بما فيها الإسلامية كعدو يريد إبادة ميراث المعجزة اليونانية ما جعله يلجأ إلى ترويج الحروب الدينية في بداية الأمر لاستقطاب مكوناته الداخلية من جهة و من جهة أخرى ضمان توسعه الجغرافي عبر الموجات الاستعمارية و الاستكشافية للمحيطات الجغرافية أو الغزوات الثقافية عبر الحركة الاستشراقية لتمرير أهدافه عبر أدواته المتعددة .

هذه الغايات والمرامي تطورت في المرحلة المعاصرة الى ظاهرة الخوف من الإسلام في الفكر الغربي بغرض تحجيم توسع الإسلام و رسم صورة مشوه عنه تجعله حبيس إطاره الجغرافي مع تركيز الغزو الثقافي عليه عبر مختلف المشاريع كالعولمة والعلمانية و الإباحية لتميع الذات الإسلامية وإعادة نسجها بما يخدم مشروع المركزية الغربية خاصة أن هذه الأخيرة تريد إعادة رسكلة المنظومة الكونية في عالم موحد وبقيم حضارية وفكرية متماهية تحقق حسبها الرخاء الكوني، لذا كان بقاء المارد الإسلامي بقيمه ومبادئه بعد سقوط

المارد الأحمر الاتحاد السوفياتي عائقا حقيقيا لن يسمح للغربيين بتمرير أجنذات الحضارة الغربية التي تسعى للقضاء على كل الهواجس الممكنة التي تعكر سير العالم نحو غربنة وشبكة تلغي التعدادات الثقافية و التنوعات الحضارية لصالح المجد الغربي الذي يستطيع تحقيق كل ما تريده الإرادة الإنسانية بصرف النظر عن كل الحتميات التاريخية والعلمية التي تعتبر في عرف خطاب التمرکز انتقال وظيفي يخدم المد الغربي من خلال أن الصراع بين الحضارات هو حتمية سيكون نتاجها الوصول إلى الحضارة الغربية كمسلمة حضارية وضامن للاستقرار العالمي لما تمتلكه من قدرات علمية وتكنولوجية واقتصادية وقوة عسكرية وسياسية تجعلها قادرة على ضبط سلطة القرار العالمي وضمان الوثام الحضاري كما لها القدرة على تقويض أي تمرد حضاري شرقي من الحضارة الآسيوية الصفراء على رأسها الصينية أو الحضارة الإسلامية في ظل حيازتها لكل أدوات الإعلام العالمي الذي يصنع الصورة والفكر الإنساني و سيطرتها التامة على المخارج المالية والاقتصادية للنظام العالمي ما يجعل المجتمعات البشرية تتدرج إليها كأطروحة لنهاية التاريخ تنتهي عندها كل النهايات والإيديولوجيات باعتبار ما توصل إليه المكون الغربي هو خاتمة البشر علما ومعرفة وما على مجتمعات الحواشي إلا تحرك في هوية موحدة تنهي الصراع الحضاري وتحقق النهاية التاريخية ما يضمن استقرار البشر وتطورهم بعيدا عن كل أشكال التصادم أو الاختلاف وهذا ذاته ما يصبو إليه العقل الإنساني منذ فجر التاريخ .

وعليه تعتبر الحضارة الغربية أن كل ما حققته كفيل بأن يجعلها مركز العالم وقائدته الحضارية بعيدا عن الحدود الوهمية و المعتقدات الميتافيزيقية أو النزعات القومية والوطنية الجوفاء ، ولكن رغم كل هذا الرصد الغربي ومحاولاته الدائمة لإحكام الذات الغربية لسطوتها على الحضارات الإنسانية إلا أن العالم لم يخلو من موجات التصدي والممانعة لهذا الخطاب الغربي، فكان الفكر الإسلامي المعاصر في الطليعة الحضارية لتقديم بدائل لنزعة المركزية الغربية واحترام الحتميات الحضارية من خلال التنوع الثقافي والتعدد الحضاري بين مختلف

الشعوب لأن السنن الكونية لم تبنى على الوحدة بقدر ما جعلها الله تعالى في الاختلاف و التنوع وهذا ما يبرز معنى التدافع الحضاري بين الأمم فهو المجال الأكثر قبولا وانسجاما مع تطلعات الإنسان و حقائق التاريخ و مجريات الفعل الحضاري فكانت مشاريع كحوار الحضارات و الاستغراب بعض أدوات الحضارة الإسلامية لفتح أفق التعايش بين الجميع دون فرض أو تميز وسعيها دائمة لدراسة التراث الغربي بعيون الشرق الإسلامي لأخذ ما يتلاءم مع رصيدنا الحضاري وتجنب ما يخالف كل مورثاتنا وهو ما يضمن التآلف الحضاري في ظل الحوار والتعارف الحضاري بين الناس بعيدا عن كل آليات الهيمنة والتسلط وقولبة العالم في نظرة واحدة يستحيل تحققها وتجعل العالم دوما حبيس مشكلة الذات الغربية والآخر التي لم تلقى قبول الواسع و حظيت بالنقد الكثير من الحضارات الشرقية بما فيها الفكر الإسلامي إلى درجة تقديم البدائل الموضوعية لهذا الطرح الذاتي من الغرب الذي لا يمثل إلا خطابا دوغمائيا عقيما يسعى للهيمنة وإلغاء الآخر الحضاري بكل الطرق والوسائل المتاحة .

ولهذا فرضت إشكالية خطاب التمرکز الغربي مفاهيمها على الإنسان فكرا وواقعا وعبر أزمنة مختلفة من اليونانية بشكلها البسيط إلى العصور المتأخرة بشكلها المركب بداية من عصر النهضة الأوروبية فاختلفت حولها القراءات والمذاهب بين القبول والرفض لتصوراتها وآلياتها ومع اختلاف الفهم والتفسير لنزعة التمرکز الغربي، أردنا أن نحاول في بحثنا أن نبسطه في إشكالية التمرکز في الخطاب الغربي بين ثنائية الذات الممرکز والآخر الهامشي ومن خلال هذا نطرح الإشكالية التالية : كيف يمكننا أن نفسر إشكالية التمرکز في الخطاب الغربي بين تمجيد الذات والهيمنة على الآخر؟

ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية العامة وما يتفرع عنها من مشكلات جزئية موزعة حسب الفصول والمباحث والمطالب، ارتأينا اعتماد خطة منهجية نعتقد أنها موزعة

بصورة منطقية على أهم مفاصل البحث، وقد قسمنا بحثنا هذا إلى : مقدمة و ثلاثة فصول وخاتمة أما المقدمة قدمنا من خلالها تصورا عاما حول إشكالية التمركز وأهم المعالم الكبرى المتحركة في هذه الظاهرة والأبعاد التاريخية التي توّطرها. أما **الفصل الأول** : فقد عنوانه ب " **خطاب التمركز: المفهوم والتاريخ**" بمناقشة البعد التاريخي والمفهومي لنشأت خطاب التمركز الغربي وأهم مرتكزاته ، وأما **الفصل الثاني** فقد عنوانه ب : " **آليات خطاب التمركز الغربي في الهيمنة على الآخر**" والذي نناقش فيه أهم الآليات لصناعة المركزية الغربية المتفردة على الآخر عبر ثلاثة مباحث تناولنا في أولها الغرب من النزعة الإستشراقية إلى ظاهرة الإسلاموفوبيا وثانيا الفكر الغربي بين توطين العولمة وإذاعة العلمانية أما ثالثا فنناقش هوية العالم بين مشروع صراع الحضارات ونهاية التاريخ لتكون هذه المؤشرات هي التي ساهمت في صياغة خطاب جعل من الغرب بداية الإنسان الوحيدة والنهائية ، وأما **الفصل الثالث** فقد جعلناه تحت عنوان " **البدائل الحضارية لخطاب التمركز الغربي علم الاستغراب وحوار الحضارات أنموذجا** " والذي سنطرح فيه في ثلاثة مباحث متكاملة نقدم في أولها الاستغراب كبديل حضاري للهيمنة الغربية ثم ننقل لاستعراض مشروع حوار الحضارات كسبيل لقبول الآخر ليكون المبحث الأخير في شكل إضاءات نقدية على مشاريع الذات الغربية، لنختتم بحثنا بخاتمة تحوصل رؤيتنا بعد دراسة إشكالية التمركز الغربية مشروعا ونقدا ، بتقديم مقارنة معرفية موجزة تتجاوز سياقات الهيمنة وتعيد للأنا الإسلامي حقيقته المنشودة.

و في سبيل التفصيل في هذه العناوين ومضامينها المعرفية، والإجابة عن الإشكالية المطروحة وما تفرع عنها من مسائل فرعية ، سنعتمد على المنهج التحليلي باعتباره أنسب الطرق في مثل هكذا مواضيع الذي سنستعرض من خلاله إشكالية التمركز الغربي سياقاً من حيث المفهوم والآليات ، كما وضمنا جانبا كبيرا من المنهج التاريخي باعتباره الأنسب أيضا في رصد أهم المحطات التاريخية التي قطعتها الرؤية الغربية ونزوعها نحو التمركز، وكذا

الوقوف عند أهم العوامل الفاعلة في تجذر ثقافة التمرکز حول الذات من أجل فرض الهيمنة والتسلط، وكذلك استخدمنا المنهج المقارن إذ قمنا بمقارنة ضمنية بين المشاريع والنماذج المتماشية مع خطاب المركزية الغربية والمعارضة لها، فبالمقارنة سيتولد لنا فهم جديد لإشكالية التمرکز في الخطاب الغربي .

أما ما ارتبط بالدوافع التي كانت وراء اهتمامنا بهذا الموضوع ، نقول بأن الواقع الذي نعيشه محصورا في منطقتي موازين القوى، والصراع من أجل البقاء ، حيث أن العالم اليوم بلغت فيه حدة الصراع ذروتها، وبأساليب أكثر تعقيدا وخطورة وفي مقدمتها الهيمنة الحضارية ، كونها الأيسر في الآليات والأضمن في النتائج خصوصا مع هذا التطور المذهل التكنولوجي، والتي تعرف اليوم ما يسمى بالحروب السيبرانية . كل هذا فرض علينا أن نكوّن ونبلور موقف اتجاه القضايا المعاصرة، خصوصا أن بداية بحثنا كانت عام 2020 والتي تصادفت مع سنة مليئة بالصدمات والمتغيرات، وقدمت ضربة قاسية لما يدعى بالمركزية الغربية المتفردة عن العالم في كل شيء ، حيث نقلت جائحة كورونا الغرب من المركز الفاعل إلى الهامش المنفعل في لحظة زمنية فارقة ، فأصبح عاجزا عن تبرير أو الرد في ظل هذه الأزمة الصحية العامة ، هذا كان سببا دافعا لدراسة إشكالية التمرکز في الخطاب الغربي التي مجدت ذاتها وسعت دوما للهيمنة على الآخر ، خاصة أن هذه المستجدات مثلت بوادر حتمية حاضرا و مستقبلا لمناقشة إشكاليات ما بعد الغرب المتفرد المستبد وظهور معالم جديدة لتحديد المركز والهامش في العالم .

ولقد اعتمدنا في إنجاز بحثنا هذا على مجموعة من المراجع التي رأينا أنها متصلة وبصورة مباشرة بمضمون بحثنا ، وأيضا نعتقد أنها قد أفادتنا كثيرا في حلحلة أهم المسائل المطروحة في سياق العمل منها، وهي كثيرة ومتنوعة نذكر أهمها : عبد الله إبراهيم ، المركزية الغربية " إشكالية التكون والتمرکز حول الذات" . إدوارد سعيد ، "من تفكيك المركزية الغربية إلى فضاء الهجنة والاختلاف". عبد الإله بلقزيز، "نقد الثقافة الغربية في

الاستشراق والمركزية الأوروبية". قيس ناصر راهي، "صدام الحضارات". حسن حنفي ، "مقدمة في علم الاستغراب". روجي غارودي "حوار الحضارات" إضافة إلى عديد من المؤلفات و الأعمال البحثية المعمة مع كل من فرنسيس فوكوياما و صموئيل هنتغتون، والمقالات المتخصصة.

أما ما اتصل بالصعوبات التي واجهتنا في إتمام هذا العمل، فكثيرا ما تكون وفرة المادة المعرفية، وغزارة الإنتاج في موضوعا ما يجعل الباحث في مأزق الاختيار والمفاضلة، وهذا ما حتم علينا بذل جهودا مضنية في البحث والتقصي والمقارنة على مدار سنوات بين مجموعة كبيرة من الأعمال حول المسألة الواحدة والمختلفة في الرؤى من حيث التحليل والتبرير وحتى الحكم. ضف إلى ذلك مختلف الالتزامات الخاصة وفي مقدمتها صعوبة التوفيق بين الواجبات المهنية والواجبات البحثية والدراسية . لكن رغم هذه الصعوبات اجتهدنا قدر المستطاع من أجل تقديم الأفضل.

إن آفاق بحثنا في دراسة إشكالية التمركز في الخطاب الغربي بين تمجيد الذات والهيمنة على الآخر يحمل في وقتنا الراهن أهمية بالغة ، خصوصا أن منطلقات البحث تصادفت مع سنة جائحة كورونا والتي أشرنا سابقا إلى أنها كانت محفزا لخوض هذا البحث من خلال تناول عقدة التمركز لدى الغرب وإلغاء الآخر ، بالإضافة إلى أننا نأمل أن تكون دراستنا مستفيضة في موضوع نزعة المركزية الغربية ونقدها لتكون لبنة في المرحلة القادمة لتجديد الفهم لا محالة " لعصر ما بعد كورونا"، حيث أن العالم سيجنح مضطرا إلى فكرة أطلقت عليها إستشرفا "المراكز البديلة" التي ستلغي فكرة المركز والهامش بصورتها الحالية لفائدة المصالح المتبادلة في عالم متعدد الأقطاب وذلك بأن تصير كل دولة ممرزة حول ذاتها ، فالغرب حاليا يتشظى لمركزيات متعددة ضمن الكيان الواحد بعد استبيان حقيقة الاتحاد الأوروبي ووهم الغرب المتكتل ضد الأزمات من بينها الأزمة الصحية العالمية وتخلي الغرب عن إيطاليا بعد تدمير فيروس كورونا لمنظومتها الصحية عام 2020م وعدة

مؤشرات أخرى خاصة مع الأزمة الطاقوية في أوروبا حاليا بسبب الحرب الروسية-الاوكرانية، فهذا ما يؤسس حتما إلى انتقال من المركزية الغربية إلى مرحلة ما بعد خطاب التمرکز الغربي في الزمن القريب وهذا المسار أصبح مطروح بشكل جدي إن لم نقل هو قيد التنفيذ في كبريات المراكز البحثية المتخصصة في الدراسات الاستراتيجية لكون هذا التغير أصبح يخدم راهنية الوجود الإنساني والذي سيتجلى حسب رؤيتنا في أطروحة المراكز البديلة التي ستعزز ضمن بناءات الدولة الوطنية الجديدة من الأحادية القطبية التي تمثل أحد ابرز شواهد المركزية الغربية المهيمنة إلى تعدد القطبيات عبر العالم أو انكفاء كل فعاليات المجتمع الدولي كل حول ذاته في إطار مقارنة جديدة قيد التشكل والترتيب.

وختمنا بحثنا بخاتمة حوصلنا من خلالها جملة النقاط التي تم تحليلها في من العمل مع محاولة من الوصول إلى فهم إشكالية خطاب المركزية الغربية و تقديم تصور إضافي حول القضايا التي تطرحها مرفوقة بمسحة نقدية للأهداف المستقبلية التي تسعى إلى تحقيقها وبهذا سنكون قد تمكنا ولو بالقليل من فهم وإفهام مشروع المركزة في الخطابات الغربية التي تسعى دوما لتكريس التميز لذاتها و الهيمنة على الآخر .

الفصل الأول

خطاب التمركز الغربي: المفهوم و التاريخ

المبحث الأول: مفهوم خطاب التمركز الغربي بين المعنى اللغوي و الاصطلاحي

المبحث الثاني: السياقات التاريخية لخطاب التمركز الغربي

المبحث الثالث: مرتكزات نزعة خطاب التمركز الغربي

إن تناول خطاب التمركز الغربي مفهوما وتاريخا يتجلى في عدة تصورات لفهم عمق الغرب ولا يتأتى ذلك لنا إلا من خلال شرح معنى خطاب التمركز الغربي، مع تتبع مسار التشكلات التاريخية التي رسمت هذه النزعة في المخيال الغربي منذ الإغريق الى حقبة ما بعد الحداثة في العصر المعاصر، ليكون لنا بعد ذلك استفاضة في عرض أسس نزعة خطاب التمركز الغربي على شتى المستويات جغرافيا وعرقيا ودينيا وفكريا، وعليه فما يتمثل خطاب التمركز الغربي تاريخا ومفهوما؟

المبحث الأول: مفهوم خطاب التمركز الغربي بين المعنى اللغوي و الاصطلاحي

إن بدايات البحث العلمي في تناول أي خطاب إنساني لطالما كان محل خلاف في التصورات بين الباحثين ولو أن تكون الغاية واحدة ، ولعل هذا ما سيبيرز مع استعراضنا لمفهوم خطاب التمركز الغربي بين دلالاته اللغوية و الاصطلاحية المتأصلة في تاريخ الفلسفة الغربية عبر العصور .

إن ولوجنا للبناءات الشارحة لمعطى خطاب التمركز كسمة ميزت الحضارة الغربية عبر تاريخها الطويل ، يجعلنا نناقش عمق الوعي الغربي المتمثل في الميل نحو الذاتية التي تتجلى فيها هالة المركز في مقابل الهامش مثلا مع فلسفات كل من كانط وهيغل ، وذلك بإعادة جدولة التاريخ البشري حول الحضارة الغربية خصوصا في القرنين الثامن والتاسع عشر ، حيث حدثت قطيعة مع المناهج السابقة من خلال إعادة النموذج الغربي لمواجهة الحضارة العالمية ليس كفاعل دولي بل كمركز لإشعاع الحضاري والعلمي والتاريخي وبداية ذلك مع المعجزة اليونانية في الفكر الإنساني. (1)

لكن قبل التعمق في الحديث عن المركزية الغربية سيكون لزاما علينا حصر معنى الغرب ككيان حتى يتأتى لنا مناقشة خطابه، فمن التحديدات المعمقة لمعنى الغرب نجد ما

(1) - محمد عابد الجابري: مسألة الهوية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، د.ط، 1997، ص127-128

ذهب إليه "روجي غارودي" في نقله لتوصيف "فاليري" (1) له بأن الغرب ممثلاً في عمقه أوروبا وليد ثلاثة تقاليد أولها في مجال الأخلاقيات المستمدة تلقائياً من التراث المسيحي، أما في الحقوق العامة وأحكام السياسة والدولة فمرجعته القوانين الرومانية، ضف إلى ذلك أن التقاليد اليونانية كانت مصدره في الفكر والفنون. (2)

كما تشير بعض القراءات لمفهوم الغرب إلى وجود تقاطعات واضحة مع مصطلح الغرب ومعناه ومفهوم أوروبا خاصة مع ولادة مفهوم الغرب الحديث، الذي تعتبر القارة الأوروبية هي نواته الفاعلة حيث يورد في هذا الصدد بيتر جران أن الغرب مفهوم يتساوى مع أوروبا، هذا ما جعله يضبط التعريف ليصل إلى تمييز كل ما هو غربي عن العالم الثالث الهامشي والذي يمثل مركزاً منفعلاً لا فاعلاً في الحضارة الإنسانية. (3)

غير أن المتأمل في التاريخ الحضاري الأوروبي يصعب عليه تحديد الفترة الزمانية التي ظهر فيها هذان المفهومان المترابطان أوروبا والغرب حتى وإن أكد البعض على أن ظهورهما، يعزى إلى إرهاصات العصر الوسيط الذي شهد حالة من التموجات في المجال الاجتماعي والديني والسياسي والثقافي، لتتشكل بعد ذلك هوية أوروبية خالصة مدرجة في لفظ الغرب كمجال حيوي لهذا الفضاء الناشئ المتميز بجملة من الخصائص العرقية والحضارية والدينية في مفهوم جديد يسمى أوروبا الغربية نازعا إلى إثبات ذاته ووجوده عبر مشروع التمرکز الغربي. (4)

(1) - أحد زعماء المدرسة الرمزية في الشعر الفرنسي امبروز توسان فاليري: شاعر فرنسي (1871-1945)

(2) - روجي غارودي : في سبيل حوار الحضارات ، تر: عادل العوا، عويدات ، بيروت، د.ط، 1999، ص17

(3) - بيتر جران: ما بعد المركزية الأوروبية-نظرة جديدة في تاريخ العالم الحديث-، تر: مجموعة المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 1998، ص22

(4) - عباس مخلوف و عبد السلام بوزيرة: "صدمة المركزية الغربية في ظل جائحة كورونا"، الفلسفة والعلم رؤية جديدة بعد الجائحة، تنسيق هشام قاضي و قلامين صباح ، دار الخيال للنشر والترجمة، برج بوعرييج، د.ط ، السداسي

الأول، 2021، ص136

كما أن هنالك من حصر مفهوم الغرب في إطار مجاله الجغرافي، أي التحديدات المكانية التي تميز وتفصل أوروبا كقارة في مقابل الكيانات الجغرافية الأخرى . أما في مدلوله السياسي فهو كتلة غير متجانسة تمتد عبر قارات عدة متمثلة في أمريكا وآسيا وأوروبا وعلى وجه الخصوص القارة الأمريكية وأوروبا الغربية لكونها التجلي الصحيح للعالم الغربي في المرحلة المعاصرة .⁽¹⁾

ولضبط أكثر لتعريف الغرب من حيث المعنى وعبر تصورات الباحثين والمفكرين نجد كذلك ما ذهب إليه " لاتوش" ⁽²⁾ بقوله أن الغرب لا ينظر إليه إلا ضمن وجوده الجغرافي ممرکز في أوروبا وكذلك كديانة تتجسد في التعاليم المسيحية ، وإطار فلسفي مع فلسفة الأنوار ، كما لا يفوتنا بعده العرقي الأبيض ونظامه الاقتصادي المؤسس على الرأسمالية لتكون بذلك صورة الغرب مكتملة الأركان جغرافيا ودينيا وفلسفيا وعرقيا واقتصاديا في نظرة الآخر له ⁽³⁾. ولعل هذه التجليات سنتعرف عليها بأكثر عمق عبر المفاهيم التي سوف نوردتها في شرح خطاب التمرکز الغربي لغة واصطلاحا .

المطلب الأول: المعنى اللغوي:

يشير لفظ " التمرکز" المستوحى من "المركز" اسما ومن "ركز" فعلا، فالمركز يقصد به المقر الثابت الذي تنتشعب منه الفروع . والمركزي هو المنسوب الى المركز ، فمعنى المصرف المركزي يقصد بها رجوع المصارف الأخرى إليه . و في ذات السياق نجد معنى المركزية يقصد به نظام يحكم هياكل الدولة بمركز رئيسي واحد وعكسها اللامركزية التي تمنح مساحة أكثر لاستقلالية الهيئات المحلية في التسيير وصناعة القرار .⁽⁴⁾ وفي إطار

(1) - ريو سكيه، ورفاتييه: الإنسان في المجتمع المعاصر، تر: مصطفى فودة، دار المعرفة، القاهرة، د.ط، 1969، ص47.

(2) - سيرج لاتوش: مفكر فرنسي ولد في 1940 متخصص في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الشمال والجنوب.

(3) - سيرج لاتوش: تغريب العالم، تر: خليل كلفت، دار العالم الثالث، القاهرة، د.ط، 1992، ص31

(4) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، القاهرة، د.ط، 2004، ص 10

التقاطع المحوري بين خطاب التمركز كألية أساسية في صناعة المركزية عرفه جميل صليبا بقوله: ((مركزية الإنسان هي المذهب الذي يجعل الإنسان مركز العالم، ويعتبر خير الإنسانية على الغائية لكل شيء، فالإنسان هو المركز " anthropocentrique " هو الذي يميل إلى هذا المذهب))⁽¹⁾.

وفي سياق استعراض تجليات مصطلح المركز أو التمركز وعديد المفاهيم المجاورة التي تتقاطع دلالاته ومعانيه، فالأمر يؤدي إلى استنكار مفهوم الهامش ، فهما لفظان متقابلين فإذا كان المركز هو وسط الشيء ، فإن الهامش هو بالبعد عن الاندماج في الواقع أو ارتباط بهامشية الموضوع بشكل ثانوي بحيث تكون علاقته بعيدة عن النشاط الأساسي لموضوعه.⁽²⁾

أما في سياق آخر تشتق كلمة تمركز من يتمركز ، تمركزا فهو متمركز والمفعول متمركز فيه ، و" التمركزية " مفرد مصدر صناعي من تمركز: وهو النزوع الى البقاء في المركز.⁽³⁾

ولكي يستوفي لفظ التمركز الغربي معناه لابد علينا معرفة معنى الغرب فهو من الناحية الجغرافية يمتد ضمن نطاق القارة الأوروبية ، أما من الناحية السياسية فيدل على تجمع غير متجانس عبر عدة قارات أخرى كأمريكا وأقطار من آسيا وأوروبا ولكن على وجه الخصوص أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.⁽⁴⁾

(1) - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، ص365

(2) - عبد الرحمان تبرماسين ، سورية جيجخ: إشكالية المركز والهامش في الأدب العربي، مجلة المخبر، جامعة بسكرة ، العدد10، 2014، ص31.

(3) - أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتاب، المجلد1، القاهرة ، ط1، 2000، ص 2089 .

(4) - ربوسكيه ورفاتييه: الإنسان في المجتمع المعاصر ، تر: مصطفى كمال فودة، دار المعرفة ، القاهرة ، د.ط، 1969 ،

ولكن معنى الغرب لا يرتبط فقط في معناه كمجال جغرافي بل ككيان جامع للأمم الأوروبية، فمن المعلوم أن أوروبا شهدت امتداد باحتلالها للعالم الجديد الأمريكيتين في ظل الكشوف الجغرافية من جهة واستعمار الدول الأوروبية لأغلب مناطق العالم تحت مسميات ومشاريع متعددة ، فكان ميلاد لفظ الغرب في القرن التاسع عشر نظرا لعدم تداوله قبل هذه الفترة ماعدا رصد الانقسام الكنسي بين الغرب والشرق ، وفي ظل هذه الحقبة أصبح مصطلح الغرب يحمل مدلولاً حضارياً وتاريخياً لدى المؤرخين والفلاسفة والسياسيين الذين عملوا على تثبيته في كل البحوث والدراسات كأمر واقع مع ثنائية الشرق والغرب وتغيرت فيما بعد التسميات في شكل حضارة الغرب أو العالم الحضاري الحر. لكن بقي عمق المعنى واحداً في وسائل الإعلام العالمية والخطابات المتعددة داخل العالم الغربي أو خارجه ،ليحدث بذلك تحول نوعي في معنى الغرب من بعده الامتدادي المحدد بمعالم جغرافية الى مجال تصدر عنه القيم الإنسانية والأبعاد الحضارية .⁽¹⁾

وللاستيضاح أكثر حول دلالة خطاب التمرکز لغويا ومعنى الغرب لا بد علينا رفع اللثام عن السياق الاصطلاحي الذي يمثل الصورة الأعمق في الطرح الفلسفي لمشروع المركزة الغربية وذلك ما يبرز من خلال:

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي

تختلف المفاهيم الشارحة لمعنى خطاب التمرکز الغربي في السياقات الواردة فيها، لكن تشترك في وحدة المعنى. فهو عبارة عن ممارسة واعية وغير واعية تتأسس على فرض الحضارة والمصالح الغربية عموماً وفي جميع مجالات الحياة على حساب باقي الثقافات والحضارات والشعوب وبكل الوسائل المشروعة أو غير المشروعة ،ولعل جذور هذا التصور

(1) - فاروق رفیق : الغرب والآخرين - المسلم كآخر للغرب- ، مجلة رهند (البعث)،مركز رهند للدراسات الكردية، السويد ، العدد08، 1998، ص50.

نابعة حقيقة من الفكر اليوناني الذي بنى رؤيته للعالم على ثنائية الإنسان والطبيعة ، انطلاقاً من كون الإنسان مركز الكون ومصدر قياس كل الأشياء عطفاً على كونه عقل مقابل مادة ما نجم عنه فيما بعد التقسيم الأرسطي لسكان العالم إلى إغريق أحرار بالطبيعة و برابرة عبدة بالطبيعة .(1)

وفي ذات السياق نجد أن معنى التمرکز يقصد به ذلك النسق الثقافي المحمل بمعان كثيرة دينية وفكرية وعرقية تكونت في ظل شروط تاريخية معينة ،لكن هذا النسق ترفع عن التاريخ ليختزل أصوله في مجموعة من المقومات المجردة ،في شكل من تكثف مجموعة من رؤى في مجال شعوري محدد تنتج عنه الذات الواعية ممثلة لنفسها والعارفة بالآخر في ثبات وديمومة وتطابق ما يحقق الأنا النقي مقابل الآخر المرتبط بالتشوهات الثقافية دينا وفكرا وعرقا مما يولد إيديولوجية إقصائية لمن هو خارج هذه الذات الصافية .(2)

كما يلعب التمرکز دورا هاما في تأكيد تفوق الذات ، في مقابل نظرة الدونية للآخر ، ولا يمكن أن تتجلى نظرة التعالي إلا بمقومات صنعها الغرب لشخصيته فيسهل له بذلك الانتساب إليها في ظل تطابقها مع ذاته ورغباته الخاصة التي تتميز بالنفرد و عدم سهولة تطابقها مع الآخر المتفوق عليه لكي يحدث الالتزام مع ذاتها المتمركزة ومتجانسة مع محيطها.(3)

ولعل الملاحظ والملفت للانتباه، عمق التقاطع بين المركزية كصفة التفكير والتمرکز كفعل واقع في تمجيد الغرب وما يمثله ذلك من اعتزاز بالذات الغربية على كل المستويات ،

(2) - عبد الطيف الغامدي: المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية ، ط1، 2014، ص128

(2) - عبد الله إبراهيم : نقد التمرکزات في العالم المعاصر، مركز دراسات فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد، مجلة قضايا إسلامية معاصرة ،السنة السابعة ، العدد23، بيروت ، 2003، ص 197

(3) - منير مهادي: نقد التمرکز وفكرة الاختلاف (مقاربة في مشروع عبد الله إبراهيم)، إين النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص40-41.

وفي ظل إقصاء الآخر من المشهد باعتبار تابعا لحضارتهم التي تأتي التعدد إلا ضمن البعد الأوروبي الواحد رافضين بذلك أي عنصر خارجي يسعى لتأثير على هذه المسلمات الحضارية ، وهذا ما توافق معه المفكر "محمد عمارة" بقوله : ((لعبت النزعة المركزية نزعة بعدم الاعتراف بشرعية ومشروعية الوجود الحر والتميز للآخر فكرا و مادة))⁽¹⁾

كما لا يبتعد ذات الخطاب الغربي على حصر التخلف في الآخر البدائي وجعل العمق الحضاري غربيا خالصا لأن السيد الغربي أبدع معنى العقل وبنى التاريخ برؤية خالصة تميزه عن سائر البشرية وهذا ما يؤكد المفكر "حسن حنفي" بقوله : ((فلسفتنا وحضارتنا ، موسيقانا ، تاريخنا ، فننا ، أدبنا ، آلهتنا بل حتى ديننا، فكل هذه المرادفات تعكس بوضوح أن الكتاب الأوروبيين لهم نزعة الى تقوقع حضاري معين ،بقولهم إما نحن أو نحن الآخرون)).⁽²⁾

فعند الحديث عن خطاب التمركز الغربي لابد أن نستذكر أهم التحليلات عمقا لمعناه والذي يعتبرها إيديولوجية غربية تقوم على التمركز حول الذات ، من خلال جعل هذه الذات مركزا للعالم ، ويمثل بذلك العالم غير الغربي مجرد هوامش ،وبهذا النحو أصبح معنى التمركز منطلقا من دلالة مباشرة " Egocentricité " والتي تطرح وجهة نظرة صواب الذات فقط وهي بذلك في تقاطع وثيق بعالم الطفولة الذي يركز العالم في أناه لأن نفسه لا تدرك الآخر فلماذا يفسر كل شيء بنظرته الخاصة ولا يعطي اهتمام للعامل الخارجي فيقع لديه اختلاط الذات بالموضوع في الفهم والادراك.⁽³⁾

(1) - محمد عمارة: الغرب والاسلام أين الخطأ؟.. وأين الصواب؟، مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة، ط1، 2004، ص 61

(2) - حسن حنفي: في الفكر العربي المعاصر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط4، 1999 ، ص 13.

(3) - عبد الله ابراهيم: المركزية الغربية إشكالية التكون وتمركز حول الذات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2،

وعليه يمكننا أن ندقق المعنى المرجو من خطاب التمركز الغربي وإن تعددت التعاريف الواردة فيه ، ولكن النقطة الجامعة هي أن الغرب يسعى بكل ما يملك لفرض ذاته المتميزة حسب قراءته الخاصة في التاريخ و أصول التحضر على المجتمعات الهامشية التي تمثل في مدلولاته الفكرية مجرد تابع للمنطق الحضاري الغربي .

المبحث الثاني: السياقات التاريخية لخطاب التمركز الغربي

إن دراسة أي ظاهرة بمستوى دقيق وعلمي في الأبحاث الإنسانية يستوجب على الباحث معرفة امتداداتها التاريخية سياقاً ومعناً لكي يسهل عليه فهم عناصر الأساسية المركبة لها مع تناول تشكلاتها عبر المراحل التاريخية ، ليسهل على المتلقي فهم دلالاتها. ولعل من بين الإشكاليات الهامة التي سنعالجها مسألة خطاب التمركز الغربي الذي يمثل مشروعاً أوروبياً خالصاً يسعى على مر الحقب لإيجاد الذات الغربية وتصديرها للآخرين كونها مصدر المجد والحضارة وإن اختلفت التصورات حولها حسب كل عصر إلا أن غايتها واحدة في تثبيت معالم الريادة للحضارة الغربية مقابل الأمم الأخرى.

لقد مثلت نزعة التمركز عند الغرب حول ذاته إحدى السمات المميزة لنواة الفكر الغربي في نظره للعالم كفلسفة وممارسة ، هذه المرجعية التي مرت بعدة تشكلات وتصورات لتسيد الغرب على الإنسانية ، ولعل ذلك ما برز مع عدة فلاسفة ومذاهب من خلال التوجه نحو مركزية الإنسان وإعلان عن نهاية مركزية الأسطورة والإله وهذا الفرض سيق على سبيل المثال لا حصر في كتاب "فأوست" للمفكر "مارلوا" (1) بقوله : ((أيها الانسان ، عن طريق عقلك القوي ، تصبح إليها مالكا والسيد لكل العناصر)) (2) ومن هذه المقولات تعززت معالم

(1) - كريستوفر مارلو: كاتب مسرحي وشاعر انجليزي (1564-1593) عرف بترجمة القصائد اللاتينية وإقامة المسرحيات.

(2) - روجي غارودي: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، تر: عزة صبحي ، دار الشروق ، القاهرة، ط3، 2020، ص95.

خطاب التمرکز الغربي عبر عدة حقبة زمنية وان اختلفت في المحتوى ولكن وحدة التصور طاغية وهذا ما سنحاول استعراضه فيما يلي:

المطلب الأول: الحقبة اليونانية والرومانية :

إن محاولة استحضارنا للغرب كحضارة تستوجب علينا إعادة بعث التراث اليوناني والروماني لكونهما الامتداد الأصيل في إنتاج الفهم الغربي ، فكل المفكرين والفلاسفة الأوروبيين يعتمدون في تصدير مذاهبهم ومبادئهم على مغنم العقل الاثني أو المجد الروماني لتبرير صدقية أو استعلانية مشاريعهم الفلسفية على مر التاريخ ، فكان التبرير لخطاب المركزية الغربية لدى النخبة الأوروبية معتمدا على هذا التراث الزاخر بالفكر والعلم والذي ساهم بكثافة في تقعيد للنزعة السادية عند الغربيين.

لقد برزت بوادر هذا الخطاب مع الحضارة اليونانية ،ذلك لأن العقل البشري وفق الغربيين ولد في اليونان فنشئت الفلسفة ومعنى العلم ، فمثلت الحقبة اليونانية بلا منازع رأس المعرفة والإدراك البشري هذا ما طرحه "ديورانت" في قوله : ((سنطيل النظر سعادة بالعقل البشري وهو يتحرر من الأوهام نحو العلوم الجديدة ،وينزل بالطب للحكم العقل ويهبط بالتاريخ من فوراق الطبيعة من قبل الشعر ،وذات الحال مع الفلسفة والخطابة والفن لتتجب لنا في نهايتها أفلاطون وأرسطو طاليس.))⁽¹⁾ .

لقد برز مع الفيلسوف "أرسطو" منهج التفاوت بين الطبقات لينعكس على التفاوت بين الشعوب والحضارات ضاربا بذلك مثلا بالإنسان الموجود في المناطق الجليدية شمال أوروبا حيث وصفهم بالعاطلين عن الذكاء والمهارة والعاجزين عن إقامة نظام سياسي صالح ما يجعلهم لا يخضعون للتبعية من جهة ولا يملكون سطوة إخضاع جيرانهم ،عكس الشرقيين الذي يمتازون بالذكاء والمهارة دون الشجاعة لذلك من السهل ترويضهم

(1) - ويل ديورانت: قصة الحضارة ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،دار الجيل للطبع والنشر ، د.ط، ص13

واستعبادهم على عكس اليونانيين فهم يجمعون خصائص الشعوب السابقة ولهم موقع استراتيجي ما جعلهم أهلا للحرية ومتى أتاحت لهم الفرصة تسلطوا على الأجنبي واستعبده، فالإيوناني يحفظ أخاه فقط بحكم أنه سيد حر (1). وفي هذا المعنى نصل إلى أن الشعب الإيوناني يمتاز بالتفوق على الآخر والتمحور حول ذاته إن لم نقل له كل صفات السيادة الكاملة على بقية الحضارات بما يملكه من مقومات في الإنسان وعلى الجغرافيا .

ضف إلى ذلك الدور المهم الذي لعبته المدرسة السفسطائية في الحضارة الإيونانية في تحويل الفهم من القراءات الأنطولوجية إلى الأكسيولوجيا لقضايا الإنسان في الأخلاق والسياسة بعد أن كان الإنسان شيئاً هامشياً مقارنة بالأسطورة والعقل، حيث عملوا على تقديم النزعة الأنانية وإهمال الآخر في مختلف خطاباتهم بجعل الإنسان مقياس كل الأشياء وهذا ما سيجعل معايير الخير ذاتية حسب المصلحة وبالتالي يباح لنا السطو على الآخر لأن خير عام للجميع ، كما لا يفوتنا أن نخرج على مبدأ السفسطائيين في هذا الباب الذين يؤمنون بأن الإنسان هو مقياس كل الأشياء أي أن مصلحة الأنا هي منفعتي بارتباط وثيق بالعالم الخارجي في تحديد إدراك الذات على عكس المعلم "سقراط" الذي وجه خطابه للأنا الداخلي بقوله ((أيها الإنسان اعرف نفسك بنفسك)) فكانت هذه المقولة نقلة نوعية في الفكر الإغريقي بتحويل الفيلسوف إلى معرفة الإنسان لذاته ومكانه في واقعه ، ويقصد هاهنا بداية نشأت معالم الذات الغربية المتطلعة للتفرد (2).

وعليه من الملاحظ أن العالم الغربي عموماً وأوروبا خصوصاً اعتبروا التراث الإيوناني-الروماني امتداداً صريحاً لنهضتهم وهذا ما أكده المفكر "حسن حنفي" بأن العقل الأوروبي اعتمد مصدران معلنان هما: المصدر الإيوناني-الروماني، والمصدر اليهودي -

(1) - مختار عريب: الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط،

2009، ص 81-82

(2) - محمد الخطيب: الفكر الإغريقي، دار علاء الدين، سوريا، ط1، 1999، ص 130-131

المسيحي في ظل اعتبار اليونان جزءا من أوروبا جغرافيا وثقافيا ، ما ينتج عنه ان النهضة الأوروبية المعاصرة مجرد إحياء لمرتكزات الثقافة اليونانية .⁽¹⁾

وبهذا تعتبر مرحلة الإغريقية فجر الحضارة الانسانية عند الغرب لكونها نقطة صناعة التمركز الغربي، فاليونان هم مؤسسوا المسارات الفكرية الكبرى في مختلف الميادين الفلسفية والسياسية و الأدبية والعلمية وهذا ما يؤكد عليه الفيلسوف "نتيشه" بقوله : ((لقد ابتكروا في الواقع الأنساق الكبرى للفكر الفلسفي ، ولم يبقى لجملة الأجيال القادمة ان تبتكر شيئا جوهريا يمكن أن يضاف إليها))⁽²⁾

وفي ذات الصدد نلاحظ أن النظام السياسي آنذاك لعب دورا هاما في تعزيز خطاب التمركز في المجتمع الإغريقي بصورة أو بأخرى ، رغم وصفه من طرف الباحثين بالديمقراطي ولكن لو دققنا النظر سنجد أن ديمقراطية أثينا وديمقراطية الوقت راهن على اختلاف كبير في تناول المقاربتين ، فالديمقراطية لم تكن بمنطق مؤسسات الدولة والحكومة والمؤسسات النيابية بل كانت بنظام قبلي لكل المدينة لوحدها بعدد صغير من السكان وقوانين خاصة مهيمنة ما سهل لهم ممارسة النظام الديمقراطي المباشر بعيدا عن التمثيل النيابي وعلى هذا كان المواطن اليوناني سياسيا ومشرعا في آن واحد ، وهذا ما عزز الفردانية بعيدا عن المصلحة العامة و أسفر على تصارع بين مختلف الطبقات اليونانية في ظل توسع النزعة المصلحية والذاتية التي لا حصر لها .⁽³⁾

ومما سبق نلاحظ تعزز فكرة الدونية اتجاه الآخر مع غلبة التمركز حول الذات ليس في المجال السياسي فحسب، بل امتدت أبعادها للطرح الأخلاقي، فها هي الأفلاطونية

(1) - حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب ،الدار الفنية ، القاهرة، د.ط، 1991 ، ص 116-120

(2) - فريدريك نتيشه : الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي ،تر: سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات ، لبنان، ط1،1983، ص21.

(3) - إمام عبد الفتاح إمام : فلسفة الأخلاق ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ط، د.ت، ص 62.

المتعالية تبيح تدمير الآخر في الحروب وتحرم استرقاق اليوناني وعلى ذات المنهج سار "أرسطو" في منطق الحروب كما يرفض المساواة بين الناس مؤكدا ان معيار التفاوت هو السلم الطبيعي بين الأمم وعلى الأكثرية القناعة بتميز الأقلية لأن الطبيعة البشرية جبلت على جعل كل إنسان بخصائص معينة تضعه في مجال لا يجمعه بالآخر و هو ما يتوضح مع طبائع الطبقة وتفرد الطبقة العليا النبيلة بإدارة شؤون المجتمع.(1)

فمن هذا المنطق تولدت فكرة الاستعلاء الذاتي عند الغرب وتأسست معها مسلمة العبقريّة اليونانية الخالدة ،مما جعل العقلية الغربية تقدم نفسها على أنها وليد ذاتها الإغريقية دون عودة للعوامل الخارجية والترسبات التاريخية ما يعكس حقيقة تمظهرات عقدة التمركز الغربي منذ العصر اليوناني الذي رفض ضمنا فكرة التعاقب الدوري للحضارات لصالح اللوغوس الإغريقي وكان الفلسفة اليونانية ولدت من العدم أو الفراغ في التاريخ البشري .(2)

ويؤكد في ذات المنحى " براترند راسل" على أن حقيقة العلم والفلسفة التي لا تخرج على كونها اختراعا يونانيان ، فالواقع يؤكد ان الزخم العقلي في أثينا يعتبر أحد روائع التاريخ ، وهي لحظات فارقة لم تحدث ولن تكرر مستقبلا في التراث الإنساني ، وهذا ما يعزز فكرة الأنا على حساب الآخر في بنائهم الحضاري الذي يقدم المعجزة والتفوق للعالم (3) و بناء على هذا تبلور هذا التصدير الفكري من علامة فارقة في حصر الفكر الإنساني بمبادئ أثينا ورفض ما دونه في المفكرة الغربية انطلاقا من أن المكون الاغريقي ساهم في بناء مبادئ العقل السامية مقارنة بالعقل الأسطوري والخرافي الذي حرف حقيقة الإدراك البشري فيما سبق.

(1) - توفيق الطويل : الفلسفة الخلفية نشأتها وتطورها ، دار النهضة العربية ،القاهرة ، ط2، 1967، ص 78.

(2) - الطيب بوعزة :في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة - نقد التمركز الأوروبي-، مركز النماء، لبنان، ط2، 2012، ص 124

(3) - عبد الله ابراهيم: المركزية الغربية وإشكالية التكون والتمركز حول الذات ،المرجع السابق ،ص53.

كما أن وقوفنا على رؤية الفيلسوف رينان⁽¹⁾ لدور الفكر اليوناني في صناعة التفرد الغربي في العلم والفلسفة ، يثبت لنا أنه يعتقد يقينا أن الحضارة الغربية عمادها المدرسة الإغريقية دون غيرها ، فلا توجد قواعد للعلم و تصورات فلسفية قبل اليونان وهذا ما يؤهلها تاريخيا لأن تكون المرجعية الوحيدة للعالم والغرب مقارنة بالفكر السامي المعروف بعذائه المطلق للفهم العلمي والفلسفي وعلى سبيل المثال نسمع بمحاولات في العلم والفلسفة بمسحة عربية ولكن مجرد التركيز في أي إنتاج نجده بخلفية إغريقية خالصة لا تعكس أي أصالة عربية ، وكل هذا يؤكد أن الشعوب العربية أو السامية إجمالاً تؤمن بالجمود وتغيب العقل والحرية وكل محاولة لخروج من هذه البراديغات لا يمكن أن يكون إلا متولداً عن ميراث اليونانيين.⁽²⁾

لكن التمركز الغربي لم يبشر به اليونان والغرب فقط ، بل هنالك مفكرون عرب روجوا لمركزية الغرب في مؤلفاتهم إيماناً منهم بذلك أو مجرد استعراض في جنبات التاريخ ، فنقف على المفكر "عبد الرحمان بدوي" يقول: ((لولا الفكر اليوناني لما وجدت ثقافة علمية عند العرب والمسلمين في القرون الستة الأولى من الإسلام))⁽³⁾، لقد بلغت درجة التأثير الغربي إلى انجذاب عدة باحثين ومفكرين عرب ومسلمين إلى أسطورة المجد الإغريقي في صياغة العقل الإنساني فأصبح بذلك لسان حالهم مبرراً لما يصبو الغرب إلى إرسائه في المفهوم الشرقية فما ذهب إليه المفكر بدوي إلا عينة عن حصر الإبداعات الحضارة الإسلامية علمياً وفلسفياً بما جادت به المدرسة اليونانية علينا وكان الفهم البشري أصبح حبيس لجة اليونان التي نعرف كلنا أن ما توصلت إليه ما هو إلا نتيجة ترسبات الحضارات القديمة .

(1) - أرنست رينان: مؤرخ وكاتب فرنسي (1823-1892)، معروف بمناذاته بالعرقية واحتقار الإسلام.

(2) - جورج قرم: تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب ، تر: رلى ذبيان ، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2011، ص 51

(3) - عبد الرحمان بدوي: دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 1981،

وفي ذات الإطار فإن خطاب التمرکز الغربي لا يستبعد البعد البيولوجي في تمجيد ذاته وتفوقه على الهامش في نظره ، فمهمة العرق الآري لها مبرراتها في بداية بناء الحضارة الإنسانية مع الإغريق ، لما للفرد اليوناني من ملكة التحليل والتركيب والاستدلال ما جعله الأقرب لنقل البشر من الأسطورة والخرافة إلى الفلسفة والعلوم عكس الحضارات الأخرى ، بل حتى اعتبرت الديانة الإغريقية أحد أهم مظاهر العظمة لدى الشعب اليوناني في تجسيد نرجسيته وتفوقه في الفكر والتاريخ .⁽¹⁾ ، فنظرية التفوق العرقي والجنس المتحضر لطالما ترافق المفكرة الغربية ذلك أن الغربي بيولوجيا مخلوق ليأخذ منه لا يأخذ من الآخرين بحكم ما يمتلكه الفرد الغربي من مميزات في الذكاء والتخيل والإبداع تجعله عرقا فريدا من نوعه في استحداث النظريات وإبداع الوسائل مقارنة بالآخر الشرقي الذي يعاني دوما من أزمات في الإدراك والاستحداث بسبب غلبة عرقه الميال لركود والجمود والتفوق حول العادات والأساطير فنجد دوما رهين الهمجية والتخلف فكرا وحياة .

إن الدارس للمجتمع الغربي يدرك أن الغرب لا ينطلق في أمر أو فهم مستجد إلا بعد أن يعود للأصل ، فمثلا الإصلاح الديني أساسه ينطلق من الكتاب المقدس ، والثورة الفرنسية التي جعلت أمجاد إسبرطا و روما قدوتها في صناعة التغيير ،ومن هذه الأمثلة وجد الغربيون التراث الإغريقي أصلا متجانسا مع نهضتهم ، وهذا ما يؤكد قوة تأثير هذه الفترة في المخيال الأوروبي إن لم نقل هي أساس كل ما نراه اليوم من مذاهب ونزعات فكرية وفلسفية .⁽²⁾

ولقد تعززت مقارنة المعجزة اليونانية في القرنين 18 و 19 م حيث عملت أوروبا بكل ما لديها لتقعيد لأسطورة المعجزة اليونانية والتي صورت المعطى الحضاري لدى الإغريق كونه متولدا من ذاته بعيدا عن أقرانه من الشعوب، فممارسة التفكير العقلي وتطبيق

(1) - عبد الكريم عنيات: نتيشه والإغريق أصل الفلسفة ، الدار العربية للعلوم ،الرباط، ط1، 2010، ص 249.

(2) - مرسيا إلياد : مظاهر الأسطورة ، تر: نهاد خياطة ،دار كنعان ، دمشق، ط1، 1991، ص 170 .

الديمقراطية المباشرة في الحياة السياسية كان وليد تراث يوناني ثري لا يقتبس من البعد الحضاري للآخرين بل يؤخذ منه فقط مع تزايد تعظيم التراث الغربي مقارنة بالشرقي الذي تلتصق به معاني الحواشي والهوامش في المخيلة الأوروبية نظرا لكونه منحاذا الى الثقافة استتباع اكثر من التصدر والقيادة في بناء الفعل الحضاري عبر التاريخ الأمم.

المطلب الثاني: حقبة ما قبل الحداثة

لقد تميزت هذه المرحلة بتوسع الفكر الديني و المصالح الإقطاعية على حساب المكتسبات اليونانية والرومانية في المخيال الأوروبي التي أسست لنظرة علموية، لينقلب الحال في مرحلة العصور الوسطى مع الرافد الديني بشقيه اليهودي -المسيحي، فكان هذا المتغير مستجدا على منظومة القيم التي صنعتها أثينا من قبل بتحالف مصلي بين اليهودية والمسيحية في عموم الغرب . ضف إلى ذلك أن تحديد لحظة ترابط مفهومين متلازمان هما الغرب وأوروبا كانت نتيجة إرهابات العصر الوسيط عاملا دافعا لما ساد فيه من تقلبات و خلافات عميقة ، حيث عرف عن هذه الحقبة أنها شكلت أسس عدة عناصر في المفكرة الغربية اجتماعيا ودينيا وسياسيا وثقافيا ، ليكون نتاج هذه التحولات تشكل هوية الغرب التي تجسد علانية كمفهوم بعد العصر القروسطي ليصير تطور المفهوم لمعنى أوروبا الغربية كما نتداوله الآن.⁽¹⁾

وفي خضم هذه التقلبات تم استغلال الوحدة الشعورية للدين لتعبئة الشعوب الغربية في خطاب واحد أساسه السيطرة على الأمم الأخرى باسم التبشير ، فلو أخذنا على سبيل المثال الكشوفات الجغرافية نجد أنها قد تمت تحت غطاء كنسي حيث يقول المستكشف "كريستوف كولومبس" في إحدى رسائله أن خرجاته لأجل مجد الثالوث المقدس ونشر اسم الرب وكتابته في أرجاء العالم الى درجة تلميحه لاستعمار الأراضي المقدسة في البلاد

(1) - عبد الله إبراهيم: نقد التمركزات في العالم المعاصر، المرجع السابق، ص 205.

الإسلامية لصالح قوة الكنسية⁽¹⁾، فالكل يعلم أن الكشوفات الجغرافية الأوروبية هي حملات استكشافية للاستعمار وإبادة للأمم الأخرى تحت كل المسوغات والحجج ، فالتاريخ يثبت ذلك في سياقاته وشروحاته للأحداث . وبهذا نرى أن الديانة المسيحية تعتبر مكونا فاعلا في بنية الهوية الغربية خطابا وحضارة التي تتركز حول ذاتها المتعالية ، هذا ما تولد أساسا من اعتبار المسيحية استكمالا للطابع الوجداني للغرب المتفرد الذي تم تغييره في عصر العقل والفكر في الحقبة اليونانية حتى تكتمل صورة الذات الغربية فكرا وشعورا في كل الميادين فنيا وسياسيا ولغويا وهذا ما دافع عنه "هيجل" في مؤلفاته على مطلقة المسيحية في تجسيد الحق الإنساني.⁽²⁾

كما لا يفوتنا في هذا المقام إلا أن نؤكد أن النصرانية كميز في هذه المرحلة هي مجرد امتصاص للعبادات والطقوس الوثنية في العصر الروماني الذي شابته الحروب والصراعات وبذلك حدث انتقال معقول من الوثنية إلى النصرانية الجديدة كما يحدث الانتقال البيولوجي من الأم لابنها.⁽³⁾ ولعل الناظر للتاريخ نظرة تفحص يدرك أن هذا الانتقال المرحلي من الوثنية الرومانية إلى المرحلة الدينية في العصر الوسيط هي مجرد تطور آلي في الفكر الغربي لخدمة طموح محدد معالم هو إنفاذ ارادة الهيمنة بضرورات المرحلة ، وفعلا كان حال الأمر هكذا في شكل تطور سريري أنتج وثنية روما و يسوعية عيسى لتكون كل الاندفاعات الصادرة من سطوة الآباء هدفها استكمال مشروع التمجيد الغربي لذاته مهما اختلفت القيم والمعتقدات وعلى ذلك نشأ تحالف وثيق بين الدين والسياسة فيما بعد ، ليرد للنصارى الاعتبار بعد الاضطهاد الذي عانوا منهم في المرحلة المنصرمة لتكون الكنسية هي الوريث الشرعي للإمبراطورية الرومانية.

(1) - ريجس دويريه : زائر الفجر: كريستوفر كولومبس مكتشف أم قرصان ، تر: ليلي غانم ،الدار الجماهيرية، طرابلس، د.ط، 1994 ، ص18

(2) - عبد الله إبراهيم : المركزية الغربية ،المرجع السابق ،ص 355.

(3) - فريدريك نيتشه: عدو المسيح ، تر: جورج ديب، دار الحوار، اللانقية ، ط2، 2005، ص 104.

وبهذا ستكون المسيحية هدية للعالم كله وتأسيسا صحيحا للنظام والقانون بعد أن خلع الإله عروش الأقوياء لصالح أتباع المسيح الأوفياء في الغرب⁽¹⁾ ، فحقيقة هذا التحول الحاصل إنما هو مجرد تمكين للذات الغربية في محيطها المعقد في ذلك الوقت ومحاولة جادة لتصدير تحولاتها بشكل سلس للعالم تحت عباءة دينية مستجدة ومتفوقة ، ففي ظل هذه المعطيات أصبغت الكنسية على نفسها طابعا مركزيا فأصبح أتباعها هم من ينتخبون أساقفتهم محليا ليتطور هذا الانتخاب لاحقا بعد تحولها لمساعدة الفقراء ، فأصبح لها مركز مؤثر في المجتمعات الغربية آنذاك في شكل يقارب مجالس الشيوخ في الحضارة الرومانية سابقا ما أكسبها قوة في التدخل لحل مشاكل الناس وتصدير عقائدها لإنجاز نقلة في محيطها من الوثنية إلى النزعة الكنسية .⁽²⁾

إن هذه المعطيات قد ساهمت في نقل رجل الدين المسيحي من البعد الكنسي الروحي إلى البعد السياسي الواقعي الذي يجعل من السلطة والتملك أساسا للبقاء ، فظهر بذلك الحكم الإقطاعي مع آباء الكنسية منطلقين من عقيدة التفويض الإلهي انطلاقا من المساواة هم سادة الله في الأرض حيث تميز هذا النظام القطاعي بعدة مميزات كجعل الفلاح بمثابة الآلة في أرضه لدرجة حرمانه من تعلم حرفه أخرى . ضف إلى ذلك أن سلطة الإقطاعي النبيل تعتبر قانونا يحدد عدد الأفراد في أرضه وعلاقتهم مع بعضهم البعض لما لهم من حظوة قدسية عند الرب .⁽³⁾

فهذا النظام الجائر أسفر فيما بعد عن فساد النظام الكنسي وانقسام المجمع الكنسي الغربي للكنسية الشرقية والغربية واندلاع الحروب الصليبية الجائرة ضد العالم الإسلامي

(1) - روجي غارودي: حوار الحضارات ، دار العويدات ، بيروت ، ط5، 2003 ، ص220.

(2) - برتراند راسل: حكمة الغرب ، ج1، تر:فؤاد زكرياء ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، د.ط ، يناير 1978، ص195.

(3) - السيد قطب: الإسلام ومشكلات الحضارة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط9، 1408 هـ، ص 96

بدعوة نشر التحضر لدى الآخر و نتج عنه كذلك في نفس الفترة الانقلاب عن المرجعية الدينية من خلال الاعتقاد بالإلحاد وانتشار محاكم التفتيش المناهضة لموجة الفساد الديني وفرض وصاية الرب على الناس ظلما وباطلا وعلى سبيل مثال ما قام به البابا الثالث بقوله: ((إن أي انسان يريد صنع رأي شخصي عن الرب يتعارض مع تعاليم الكنسية ينبغي حرقه بدون رحمة أو شفقة))⁽¹⁾ ، فالله لا يأمر بالحرب والدم بل بالسلم والسلام ، فشنوا الحروب ضد الإسلام والتتكر لأفضاله الحضارية بمحاولاتهم تغريب كل ما هو عربي أو إسلامي وإلحاق الإنتاجات المعرفية للمسلمين بهم وتزييف حقائق الدين الاسلامي وطعن في القرآن الكريم وتتصير الأندلس ثقافة وعمارة بالقوة وكان نتاج ذلك بعد سقوط أحد قلاعهم الراسخة عاصمة الكنائس الشرقية القسطنطينية في يد المسلمين و ما تبعه من هزة مدوية في العالم المسيحي.

فإذا تكلمنا على السمة الطاغية في هذه الحقبة وجدناها الديانة المسيحية التي تمثل أحد صور التمرکز الغربي في وجهه الأعمق ، والتي سعت لتثبيت ذاتها في المجتمعات الغربية وتهميش ديانات الآخر وهذا ما يستحضره "جورج طرابيشي" بقوله: ((إن المسيحية عملت على صناعة مفارقة واضحة تاريخا وجغرافيا بينها وبين الإسلام ما جعل هذا الأخير حبيس إفريقيا وآسيا عكس النصرانية ذات الإمداد العالمي مع القارة المركزية للجنس الآري)).⁽²⁾ غير أن الغرب اتجه نحو العقل للتخلص من البربرية الحضارية لتغلب على الحضارة الاسلامية وإيجاد روح الإقناع عند الحضارات الأخرى ، حيث اعتبرت هذه البواكير إعادة إحياء لمجد الحضارة الإغريقية بعد قرون من الظلام والميتافيزيقا العمياء وعودة للذات المتقدمة عبر الإنسان بعيدا عن عبودية الكنسية.⁽³⁾

(1) - إيليربي هيلين: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، تر: سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1426هـ، ص92.

(2) - جورج طرابيشي: مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام ، دار الساقى، لبنان، ط1، 1998، ص19.

(3) - إ.س. رابويرانت: مبادئ الفلسفة ، تر: أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1969، ص117.

وعليه نستنتج أن السلطة بشقيها الديني والإقطاعي مورست بشكل فضيع مع المجتمعات الغربية ما أفقدها في بعض المحطات لذاتها التي كرستها الحضارة الإغريقية في الفكر الإنساني ، فعم الظلام أوروبا والغرب وأصبح الغرب يعيش بين بربرية الواقع و عقلانية تاريخه ليبقى هذا الصراع قائما لينفجر في مرحلة جديدة وإن اختلفت أسبابها وظروفها ولكن لا تخرج على حقيقة ماثلة تتمثل في سعي الغربي لإيجاد موطن قدم له في التعاقب الدوري للحضارات والتاريخ و العودة مجددا للواجهة عبر بوابة عصر النهضة .

المطلب الثالث: حقبة الحداثة وما بعدها :

إن تحول الذي أصاب الرجل الغربي في عصر التحديث الأوروبي ليمثل زلزلة علمية واضحة في المفاهيم، وإعادة النظر في المرجعيات والأيدولوجيات، فكان عصر النهضة امتحانا حقيقيا انبى عن دخول العالم الغربي في مسار جديد بعد قرون من التخلف الإقطاعي والرجعية الدينية ، فتحول بذلك خطاب الغرب من الله الى الانسان فصار بذلك الانسان هو مقياس كل الاشياء ،وعندما نقول الانسان سنستحضر لا محالة الذوات البشرية هذا ما عمل الغرب على تبرير له تحت مسلمة الإنسان هو راسم طريق الحضارة بواسطة الانا الغربي الفريد. ففي مرحلة الحداثة أدرك الفرد الغربي ان عصر التحديث الأوروبي الذي يتميز بالنزعة البطولية قد ولى بدون رجعة وان مسلمات سيطرة الانسان على نفسه والطبيعة غير ممكنة وبذلك فان العالم متمركز حول اللوغوس يتوجه نحو الانهيار ليخلفه مرحلة الحداثة العبثية التي تسودها المادية الجديدة البعيدة كل بعد عن العقلانية بمعارضتها لمكونات المشروع التحديثي الذي امتد زمنيا من نهاية الحرب العالمية الأولى الى منتصف الستينيات من القرن العشرين .⁽¹⁾

(1) - عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، 2006، ص 102

هذا ما دفع الغرب بشكل عام لمراجعة توجهاته العامة اتجاه الآخر على رأسهم المسلمين ، فنتهج أسلوب الكشوفات الجغرافية ونشأت ضمنه حركات الإصلاح الديني المناهضة لتغول القساوسة في القرون الوسطى المتأخرة ، هذا ما جعل "بلاوت"⁽¹⁾ يعتقد ان نهضة أوروبا وتفوقها بدأت في حدود عام 1492 م وإن عزی في رؤيته التميز الأوروبي للبعد الجغرافي للقارة بالنسبة للعالم ما اكسبها اتصالا جيدا بخيرات العالم الجديد آنذاك.⁽²⁾ كما برز التحديث الأوروبي الذي يجعل من الفردانية واثبات الذات رمزا له مقابل الآخر في النسيج العالمي لما حدث انقلاب في المفاهيم الغربية من مركزية الكون المتجلية في الله الى الانسان، فظهرت بذلك موجات الإصلاح الديني وبواكير عصر النهضة التي أسست إلى أن الانسان هو مقياس كل شيء فما يراه صدقا هو الصدق وما يراه كذبا فهو كذب ليتحول بذلك الخطاب الغربي لتمحور حول ذاته المتعالية.⁽³⁾

وعليه مثلت الحداثة مشروعا تنويريا غربيا كما أورد ذلك عالم الاجتماع البريطاني "أنتوني غيدنز"⁽⁴⁾ في كتابه "نتائج الحداثة " بكون الحداثة مشروع حضاري تبناه الغرب وفق ثلاثة اسس مترابطة متمثلة في النزعة الفردية التي تعتبر انعكاس نمطي لبنية الرأسمالية من خلال استخلاص الفرد من الاطار الاقطاعي وتعزز هذا المؤشر العقلاني خاصة مع ما توصل اليه عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر" ليكون مسحة المشروع في إنتهاجه لمسار وضعي في الأبحاث العلمية بعيدا عن كل أنواع التحيزات والقيم لتحقيق نتائج علمية

(1) - إلكان بلاوت: عالم أمريكي (1919-2006) متخصص في الكيمياء الحيوية.

(2) - جي أم بلاوت: ثمانية من مؤرخي المركزية الأوروبية ، ج2، تر: هبة الشايب، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ط1، 2010، ص14

(3) - حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب ،الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ط ، 1999، ص 626

(4) - أنتوني غيدنز: عالم اجتماع انجليزي (1938)، واضع نظرية الهيكلية في المجتمعات المعاصرة.

موضوعية اسفرت فيما بعد على توليد التكنولوجيا التي مثلت سلاح الانسان الغربي في مواجهة كل المتغيرات الطارئة على المشهد العالمي.(1)

ففي ظل هذه التحولات في حقبة العصر الحديث حدث تحول جذري في علاقة الانسان بالطبيعة من فاتح الى راضخ ، وأصبح جوهر هذا التحول تنافس بين الانسان والانسان ، ما جعل الفكر يتحول من صراع العقل والأسطورة الى منهج صراع الأيدولوجيات ما تولد عليه كما يقول المفكر "غارودي" رجل المشروع أو ظاهرة الريح والسيطرة وهذا ساهم في توسع الفكر الاستعماري اتجاه الآخر سواء بغطاء الاستكشاف أو التبشير وتحولت مع ذلك بنية الموضوعات في الثقافة الأوروبية من خلال عودة واسعة للجانب العملي لكونه احد اكثر الطرق مساهمة في تحقيق الذات خاصة مع توضع المجتمع الاستهلاكي ضف الى ذلك رجحان المنطق العقلي كونه اداة فاصلة في بناء المعارف مع غلبة النزعة الكمية التي تجعل اللانهائي اساسا في الانتاج والاستهلاك بغض النظر عن القيم الاخلاقية هذا ما فتح العنان لمختلف الحاجات والرغبات ليصير بذلك العمق الحضاري يتماهى مع بواعث العمل والاستهلاك وربط الفكر بالذكاء وجعل الكم خاضعا الى اللانهائي.(2)

إن التعبير الحقيقي لمعنى أوروبا الحديثة لم يكن مع الرحلات الأولى للعالم الشرقي للتعرف على الآخر، بل توضحت مع القرن الخامس عشر في ظاهرتين لهما بالغ الاثر في انتقال الغرب الى الحداثة وهما الكشوفات الجغرافية والثورات العلمية والفكرية اللتان مثلتا اساس التحولات في الفكر الغربي.(3) ولعل هذه المتغيرات ساهمت في تحقيق نقلة نوعية لدى البشرية بان الغرب يصبو لبلوغ اهدافه المعلنة والخفية من هذا التحول من العصور الظلام الى الانوار، وان اختلفت التحليلات والقراءات التاريخية بين ممجد وناقد لأسس هذه التحولات

(1) - السيد ياسين : ندوة الحداثة وما بعد الحداثة ، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، د.ط، 13/03/1998، ص 16

(2) - روجي غارودي، حوار الحضارات، تر: عادل العوا، منشورات عويدات ، بيروت، د.ط، 1978، ص 37

(3) - عبد الله إبراهيم : نقد التمركزات في العالم المعاصر ، المرجع السابق ، ص 208

في الفكر الغربي إلا أن الثابت أن الغرب يهندس بكل آلياته لتعزيز الذاتية الغربية فكراً وواقعاً على عدة جبهات وفلسفات.

إن الحداثة التي وصلت إليها أوروبا بعد عصور النهضة المعروفة وتطوراتها عبر مسالك الرأسمالية والليبرالية والعولمة، شكلت لدى الغربي إطاراً مرجعياً يتبلور حول ذاته ويقول في هذا الصدد المفكر "عبد الوهاب المسيري" ((الحداثة الغربية .. تقدم رؤية مادية ترى العالم باعتباره مادة، وقد عرّفت هذه الرؤية الهدف من وجود الإنسان في الكون بأنه تعظيم المنفعة واللذة، وعرّفت التقدم بأنه تصاعد معدلات الإنتاج والاستهلاك، مما ولد شرهة إستهلاكية عند الإنسان الغربي ليس لها نظير في التاريخ)). وبهذا صارت الحداثة عند العالم الغربي لا تخرج عن قيم المادية البحتة، ومنها ينطلق لتفسير فكرة تمرکز الغرب حول ذاته، سواء تجاه العرب أو الحضارات الأخرى، حيث جعل الغربي نفسه المرجعية النهائية التي يحكم من خلالها على كافة الظواهر والأحداث والحضارات، فنظر على سبيل المثال إلى الشعوب العربية نظرة توظيف واستغلال، للاستفادة من ثروتهم وتسخيرهم لتنفيذ مشاريعهم الإمبريالية ولا يمكن إنكار حالة التنظير التي قام بها بعض المفكرين الغربيين حيال العالم الآخر بطريقة أو بأخرى. (1)

كما أن المتتبع لحركية التاريخ يقف على متغيرين كبيرين في بداية العصر الحديث أوله الثورة في العلوم الطبيعية حيث تغيرت إبداعات العلم الطبيعي الحديث على القديم شكلاً ومضموناً، فأصبح العلم يستند على تحقيق قاعدة الفهم والبحث على استحضار الطبيعة قبل تحكيم العقل وهذا ما برز فعلياً مع المنهج التجريبي مع "فرنسيس بيكون" في إعادة ضبط

(1) - ياسر قطيشات: جدلية العلاقة بين العرب والغرب، موقع مؤمنون بلا حدود، 2021/05/18، ت.إ. 2021/11/25،

على الرابط: <https://www.mominoun.com/articles>

معطيات الإدراك في المعرفة الانسانية.⁽¹⁾ أما المتغير الثاني فهو ما وقع من فصل بين السياسة والقانون الاخلاقي والتي اسست لها نظرية "ميكافيلي" في كتابه "الأمير" بحيث ألغى كل القيم الاخلاقية لصالح المنفعة في ممارسة الفعل السلطوي أو السياسي في ظل موجة واسعة معادية لكل ما هو ديني وميتافيزيقي ومقبلة على كل ما هو علمي نفعي في العصر الحديث.⁽²⁾ وعلى هذا تصدق نية هذا التحول النمطي من عصور ما قبل الحداثة الى الحداثة في جوهرها كونها مرافقا لتغيرات التي شهدتها أوروبا والغرب عموما في عصر النهضة والتحول الصناعي والثورات السياسية، حيث غيرت هذه المعطيات عقيدة البناء الحضاري لدى الذات الغربية وجدد رؤيتها للكون والانسان والعلم ما ساهم في الالتفاف نحو إيجاد الغرب لذاته بطريقة أكثر تنظيما بعيدا عن قدسية النصوص الدينية و منطق التمجيد الإمبراطوري بالاعتماد على التقنية والتصنيع لتحكم في الذات والواقع المحيط.⁽³⁾

فلا يمكننا حصر الحداثة من حيث المعنى في حقبة تاريخية معينة بقدر ماهي قيمة حركة ديناميكية تصبوا لإنشاء إنسان وعالم جديد بالتخلي عن رواسب القرون الوسطى ، ليكون العقل أساس الحداثة في عصر الأنوار في جميع الميادين الفكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية ويكون الغربي في عين التطور والتطابق مع واقعه.⁽⁴⁾

كما شهد العقل الغربي تحولا حادا نحو جعل العالم ذو طبيعة مادية من خلال تقديمه كمجرد مادة استعمالية تنطبق على العالم كله شرقا وغربا ومن أمثلة هذه النزعة المادية المتوحشة ما نقلته مراسلة سرية للرئيس الأمريكي الى وكالة الطاقة النووية الامريكية بمنع

(1) - وايت هوارد: فرنسيس بيكون "ضمن تاريخ الفلسفة السياسية"، تر: محمود سيد أحمد ، مجلس الثقافة الأعلى ، المجلد 1 ، القاهرة ، ص 535

(2) - نيكولا ميكافيلي: الأمير، تر: خيرى حماد ، دار الآفاق الجديدة ، ط2، 12، 1405هـ

(3) - عبد الوهاب المسيري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: رؤية حضارية جديدة ، دار الشروق، القاهرة ، د.ط ، 1997، ص29،

(4) - عمرة بوجليدة : الحداثة واستبعاد الآخر ، دار الروافد ، لبنان، ط1، 2013، ص14

أي تصريح حول مخاطر الإشعاع النووي حتى تواصل الوكالة عملها مع التجارب النووية رغم ما قد ينجم عنها من خسائر فادحة على البشر والبيئة وهو إلغاء مباشر لمعنى القيم الإنسانية وحقوق الأفراد في العيش ، ما يعكس تغولا رهيبا للمادة على الانسان في عصر الحديث بشكل عام ويعمق أكثر في زمن ما بعد الحداثة في العالم الغربي .⁽¹⁾

ومن هذا نرى أن الحداثة الأوروبية كانت تمثل قفزة نحو إعادة الاعتبار للعقل والانسان ، وذلك من خلال دحض المسلمات الدينية الموروثة عن الحقبة الوسيطية من خلال إنفاذ سلطان العقل والتجربة من جهة ومن جهة اخرى تحويل مسار الفكر الغربي من بواعث الفكر الكنسي الى رحاب القيم الإنسانية ، وهذا ما برز جليا في التغييرات التي شهدتها الفهم الغربي للأحداث والوقائع ، بحيث ساهمت في تحويل الانسان الغربي من فضاء التوقع الفكري الى مجالات البناء الحضاري والعلمي في تاريخ البشرية باعتماد العقل والتجربة والانسان في تقديم نقلة نوعية في الفكر الانساني وإثبات الذات الغربية في توجيه تاريخ الأمم.

وعطفا على ما سبق يمكننا أن نجزم أن مرحلة الحداثة ارتكزت في تحولاتها على مناهج جديدة في التحول المعرفي ولو أنها اتسمت بنوع من التدرج في إقامة قواعد العلمية إلا أنه كان ينقلنا من الفهم التأملي الى اليقين التقني بعيدا عن الانطباعية في تعريف الذات الغربية التي تعمل على تصدير خطابها المستجد وفق قوالب العقل الدقيق والتجربة الكمية.⁽²⁾ ومنه فهذا التنوع والتعقيد ساهم في ترسيخ خطاب الهيمنة الأوروبية في بناء الحداثة الغربية داخليا وانتعاش تغلغلاتها خارجيا في ظل التعدد الظاهر لها اجتماعيا وسياسيا وثقافيا ، ما يجعل المتلقي لروافدها في حالة تأثر واغتراب نحو هويتها والغاء الآخر

(1) - عبد الوهاب المسيري : العالم من منظور غربي ، دار الهلال ، القاهرة ، العدد 602 ، فبراير 2001 ، ص 113

(2) - محمد سبيلا: الحداثة وما بعد الحداثة ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، 2005 ، ص 9

بالنسبة لهذه الذات الواعية في اطار زخم الحركة الفكرية والفلسفية السائدة⁽¹⁾. ضف الى ذلك إن هذه المقومات زادت في العصر الحديث من انغلاق الخطاب الغربي نحو المركزية ورفض الآخر مع هذه التحولات العلمية والصناعية ، وطغيان تمجيد الذات في هذا العالم الجديد الذي تحكمه المادة والعقل فقط فاصبح الغرب بكله يتطلع لاستعمار الاخر باسم الحضارة والتميز العلمي وكأنه تغيير استبداد بآخر في طرح "دوغمائي" لا يتجاوز الافق الأوروبي⁽²⁾.

وفي هذه الفترة كان لازما قبل الاستطراد فيها استعراض اللحظة الديكارتية التي تمثل فجر هذا الانتقال لكونها نقلت الفكر الغربي من القروسطية المظلمة نحو خطاب حدائي منتور، فهي التي اقترت الذاتية الغربية مع الأنا الديكارتية الذي تشكلت معه معاني الوعي الذاتي وانتقلنا بذلك في الفلسفة الغربية من مركزية الله الى مركزية الانسان في ظل وجود ذات مفكرة بقوله: ((إذن أي شيء أنا؟ أنا شيء يفكر، وما هذا الشيء الذي يفكر؟ أنه شيء يشك ويدرك ويبرهن ،ويثبت وينفي، ويريد ويرفض ويتخيل وأيضاً يحس))⁽³⁾، فمن هذا نرى الدور الذي لعبه الكوجيتو الديكارتية لأب الفلسفة الحديثة في تقعيد لقواعد الذاتية الغربية.

لكن هذا الخطاب الغربي الممجد لذاته لم يكن حبيس الفلسفة الفرنسية بل تجاوزها للفلسفة الألمانية مع "هيجل" الذي عمل على تمجيد المجتمع الألماني على الشعوب الأخرى الخاملة ،حيث ميز فيلسوفنا بين الأنا والآخر بجعل الوعي بذواتنا هو وعي بكينونة الأنا بعيدا عن اختلافات الآخر أو اهتمام به ،هذا ما عزز لديه محورية الغرب في فرض ذاته

(1) - برتران بادي: الدولة والمجتمع في الغرب وفي دار الاسلام ، تر: نخلة فريفر، المركز الثقافي العربي، ط1، ص51

(2) - محمد سبيلا: مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت، 2009، ط1، ص12

(3) - رونيه ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ، تر: كمال الحاج ، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1988،

وسعي لإقصاء الآخر في خطاب تركز في واضح المعالم والتوجهات يبرز عنده في جدلية العبد والسيد في فلسفته. (1)

وبنظرة استشرافية لمعالم التحديث الغربي نجد أن كل مشاريعه ونماذجه المقدمة ما هي إلا ميل نحو ترسيخ التميز الغربي لدى الآخر، بمعنى آخر تحويل المدركات البشرية بكل ما فيها بان الأمة الغربية هي عمق الذات الانسانية أن لم نقل هي ذاتها وهذا ما يعكس الميولات التغريبية للعقل الانساني تاريخا وقيما الى درجة احتقار الآخر انطلاقا من كونه من الشعوب الجامدة التي لا تبني لا مجدا ولا حضارة وإنما خلقت لتقتدي لا لتبتدع بسبب نقص مؤهلاتها العرقية والعلمية. وفي ذات السياق نقف على أن العالم في زمن الحداثة أصبح يتحرك بقوانين ثابتة و قواعد سلوكية موحدة في بناء المجتمعات البشرية أو تنظيم العلاقة فيما بينها، على عكس ما ساد سابقا بتغير القوانين و السلوكيات حسب العصر والحضارة والخلفية الدينية للجماعة البشرية. (2)

ولكن هذا يؤكد ان الغرب في حالة تحول دؤوب للوصول لمجده حيث تجاوز القيم الحداثية إلى ما بعد الحداثة، حيث أن الانسان الغربي أدرك في هذا التحول إخفاق مشروع التحديث ولكن لم يرفضه وهو يخرج ضمنه من عالم لا مركز تقليدي له من خلال تعويم المركز على العالم بأكمله في حدود المادية الضيقة بترجمة حياته وفق النمط الاستهلاكي واللذات وهو تخلي ضمني على النزعة الانسانية التقليدية لدى الغرب لصالح المادة. (3)

وعليه يدعن الانسان في هذه الحقبة للفشل الكلي لمشروع الحداثة من خلال عالم لا مركز فيه ولا يخضع لأي تمركزات معينة، في شكل عالم يتسم بسلاسة، وفي ظل غياب فكرة المركز من الفكر الانساني في هذه الحقبة سيكون العالم رهين النزعة المادية الضيقة

(1) - هيغل: علم ظهور الحق، تر: مصطفى صفوان، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2001، ص41

(2) - تودوروف تزفيتان: روح الأنوار، تر: حافظ قوبعة، دار محمد علي، تونس، ط1، 2007، ص11

(3) - عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، المرجع السابق، ص 102

التي قولت فيها المفاهيم والقيم نحو الاستهلاك ورفع معاني اشباع الذات لتحقيق الوجود الاسمي لإنسان ما بعد مرحلة الحداثة . وعليه تشكل مفهوم ما بعد الحداثة على نزعة الانسة التي سادت العصر الحديث ، وإن كان في مجمل كلمة ما بعد تدل على نهاية الشيء ، حيث أن هذه الحقبة تلغي مركزية الانسان في الكون ، حيث يعتبر روادها من المعارضين الأوائل لمشروع الحداثة بنزعتهم الشكية في كل المصطلحات والمشاريع اخلاقا وفكرا في العالم الغربي، وما قول "ريكور"⁽¹⁾ بأنه أذل الكوجيتو الديكارتى وجعله مجرد سراب لدى الباحثين ومن خلال هذه العينة ندرك حجم التحول العميق الحاصل في فهم الذات الغربية لذاتها ومحيطها، وهذا ما يمثل انقلابا واضحا على القيم الحداثية .⁽²⁾

فإن كان وباء العصر الحديث هو الاستعمار الغربي فإن طامة ما بعد الحداثة نقل المجتمعات من الانسان الى المادة وذلك ما برز مع النظام المالي الجديد المجحف الذي نقل البشر للحروب الموجهة و الثقافة الاستهلاكية من القرن السادس عشر الى نهاية الحرب العالمية الثانية ، فهذه الاخيرة مسحت اما من اجل فقط بقاء فكرة يتبناها معسكر الشرقي أو الغربي ضمن كيان الأوروبي الواحد وانتقلت هذه الشعوب الاخرى وإن لم يشاركوا في المبدأ ولكن نيران الحروب مست الانسانية بشكل أو بآخر⁽³⁾ ، وهذا ما يعكس خطابا غربيا قاتما يهندس لجعل السلام والحرب بين البشرية في يديه ، لأن طغوة سلطان المادة جعل الانسان حبيس الفهم الطبيعي المادي وتحولت بذلك المعاني الانسانية من القيم الى التشيوات هذا ما خلق طورا جديدا في التثاقف الحضاري المبني على الاستهلاك و القوة المادية في نمط تصوير العلاقات بين الشعوب ليكون نتاج هذا حال عالم فراغ من القيم والاخلاق لصالح

(1) - بول ريكور: فيلسوف فرنسي وعالم إنسانيات معاصر (1913-2005) ، رائد المدرسة التأويلية

(2) - بول ريكور: الذات عينها على الآخر، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة ،بيروت، ط1، 2005، ص49

(3) - سماعيل صبري عبدالله: التنمية المستقلة من منظور المشروع الحضاري، مجلة المستقبل العربي، العدد269،

عالم تقوده معايير الكم لا کیف في تنظيم العلاقات وتقييمها وحتى استصدار الحكم فيما بعد، فهنا نلاحظ غياب الانسان لصالح الرافد الجديد هو عالم الماديات المتوحشة .

وعطفا على ما سبق يتشكل لدينا بروز معالم ثقافة ما بعد الحداثة والتي عملت على تجاوز التراث الحداثي بالتحول من اللإنسانية الى اللاعقلانية بعد موجة تاليه الانسان في العصر الحديث وهذا ما دعا "سترواس"⁽¹⁾ وغيره لتحدث على موت الانسانية الفلسفية⁽²⁾ ، أما بالنسبة لرفض العقل فهو متولد عن تحرك نحو المادة كقيمة حضارية ، ليتواصل هذا التتميط بإخضاع المعرفة للقوة وذلك بأن القوي هو من يملك العلم ويديره ما نجم عنه ضياع القيم الاخلاقية وبروز اللاأخلاقية في هذه الحقبة وهذا مما توضح مع تقديم الرذيلة على الفضيلة في النظرة النتشوية التي عرفت فيما بعد بنظرية الأخلاق الجديدة.⁽³⁾ كما شهدت ذات الحقبة انقلابا واضحا على المرجعيات بالتخلص منها متمثلة في قواعد العقل و القيم الاخلاقية و المبادئ الانسانية في تخريج أقرب لاستحداث ثقافة عالمية جديدة تسقط معنى المقدس عند البشر، فهذا خطاب الجديد يعتمد في محتواه على التفكيك الشامل لكل معايير المجتمع التقليدي بما يتميز به من روابط اجتماعية وأسرية وثقافات متعددة.⁽⁴⁾

وفي حوصلة الحال نجد أن الميتافيزيقا الغربية تولدت تاريخيا عند تقسيمات مرحلية للذوات من اجل تحقيق تفوقها المنشود وافضليتها على الاخر ، فعملت على ربط الأنا الغربي بجسور الحضارة الاغريقية التي تعكس لدة الغرب العصر الذهبي ،وبذلك تم إعادة قراءة شاملة للحضارة اليونانية بما يتماشى مع المجد الغربي المنشود من خلال النظرية

(1) - كلود ليفي ستروس: عالم اجتماع فرنسي (1908-2009)، يعتبر رائد المدرسة البنيوية المعاصرة .

(2) - محمد سبيلا وعبدالسلام بن عبد العالي: ما بعد الحداثة ،ج2، دار تبوقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2007 ، ص38.

(3) - أحمد ديدات : شيطانية الآيات الشيطانية ،تر: علي الجوهري ،دار الفضيلة، القاهرة، د.ط ، 1990 ، ص40.

(4) - عبد الوهاب المسيري : الحداثة وما بعد الحداثة ،سلسلة حوارات القرن الجديد، دار الفكر، دمشق، ط1 ، 1424هـ ،

التطورية التي صنفت الأمم على ضوءها بأسس متميزة بين البربرية والتمدن وبهذا بدأت معالم الفكر التمرکز الغربي تتولد وفق تسميات اسطورية للبشر كأحرار بالطبيعة وعبيد بالطبيعة ، لتتطور فيما بعد هذه الثنائية مع الحقبة القروسطية المسيحية من اغريقي وبربري الى مؤمنون وكافرون هذا المعيار الأخير هو الذي كان سبب شن الحروب الصليبية على ضوء التمرکز اللاهوتي والقوانين الكنسية ، ليكون عصر النهضة فاصلا بتحول من التمرکز اليوناني واللاهوتي الى تمرکز عرقي والذي تم على ضوءه تقسيم الشعوب من جديد مع تعالي نزعة غربنة العالم بمختلف أساليب الهيمنة والاستعمار وتم إعادة قراءة العالم في مرحلة ما بعد الحداثة بمعيار التقدّم والتخلف واعتبار الغرب نموذج للعالم وهذا جوهر الفلسفة الغربية المعاصرة .⁽¹⁾

وعلى ضوء منطق التفرد والانقسامات برزت صورة مشوهة عن الأمة الاسلامية في الفكر الغربي في هذه الحقبة ويتمثل ذلك فيما طرح المفكر الأمريكي "صموئيل هنتغتون" حيث قدم الاسلام كبديل للشيوعية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي لذا كان لزاما على الأمم الغربية إعادة إحياء الحروب الصليبية ضد العالم الاسلامي في كتابه الذي نشره عام 1996م بعنوان: "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام الدولي" ، والذي أسس فيه خطابا عدائيا بين الاسلام والغرب لعدة مؤثرات سكانية واقتصادية وتكنولوجية في ظل انتعاش الصحوة الاسلامية آنذاك والهجرة نحو الغرب ، ليكون بذلك الاسلام البديل الحضاري لحمى الاستعداد الغربي ضد الآخر في شكل من أشكال الحرب الباردة الجديدة في ظل ترشيحه لزيادة العنف بين الطرفين مع إمكانية تربع المسلمين على رأس الثقل الديمغرافي، وبهذا المنحنى المفاهيمي نلاحظ إعادة ترسيخ مفاهيم المركزية الغربية بمضامين مستحدثة في مرحلة ما بعد الحداثة من

(1) - حسن شحاتة : الذات والآخر في الشرق والغرب ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ط1، يناير 2008، ص 28

خلال إشهار منطق الصدام ضد كل حضارة تخالف التحيز الغربي وتعرقل سعيه للهيمنة والتفرد على الانسان والعالم.(1)

فلو وقفنا على نظرية الصراع الهنتغوني لوجدناه يقسم الحضارات العالمية الكبرى الى ثمانية حضارات تتسيدها الحضارة الغربية كونها مركزا للحضارات، إذا لا يفوتنا في ظل هذا التقسيم للأمم كون كل واحدة تضع نفسها كمركز للعالم وتكتب تاريخها على أساس أنه الترابط المركزي لتاريخ الإنسان، ولكن رغم ذلك ما يثبت صدقية الطرح الغربي كونه مركز العالم أكثر حجية مقارنة بكل الثقافات الأخرى.(2) ولعل هذا التحول الحاصل في مفاهيم المركزة الغربية من الحداثة الى ما بعدها واضح ، فهو مجرد تمرد على الفكر الحداثي فقط ولا يتعداه الى أكثر من ذلك، إذ يمكن للمتفحص ملاحظة امتداد خطاب التمركز بأليات وصور جديدة وليس تخليا شاملا عن فكرة الغرب صاحب الحضارة والتفوق في التاريخ الانساني ، كما نرصد تغول خطاب التمركز المستجد عندما اسقط معالم عصر التحديث الغربي لكي يصعب رصده وفهمه بعد أن بدا الآخر يقاومه بمشاريع ثقافية واقتصادية وهذا كله يهدف لضمان استمرارية المركزية الغربية بوسائل وتصورات مختلفة .

المبحث الثالث: مرتكزات نزعة خطاب التمركز الغربي

إن الحديث على الركائز الأساسية لخطاب المركزية الغربية له أسس ومبادئ أولية لقد شاعت هذه النزعة على مر التاريخ ولازمت الغرب في الكثير من محطاته الهامة ،لأنها في حقيقة الحال فكرة ومسار يناضل الغربي على إرسائه في ذاته وفي غيره في ظل توفر الخلفيات والمذاهب التي تغذي هذه المرتكزات فكرا ودينا وعرقا وهذا ما جعلنا نعمل على

(1) - محمد ياسر الخواجة : تجديد الخطاب الديني وتصحيح صورة الاسلام لدى الآخر الغربي، مجلة مؤمنون بلا حدود

للدراسات والأبحاث، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة ،الرباط ، 25 نوفمبر 2016 ، ص 10

(2) - صموئيل هنتغتون: صدام الحضارات ،تر: مالك عبيد أبو شهيرة/محمد خلف، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع ،د.ط

1999، ص126،

الاستفاضة في هذه الأسس التي أسست لنزعة مازالت تحكم العالم حتى وإن تغيرت العصور و المفهوم البشرية ،وعليه سنطرح عليكم أهم مرتكزات خطاب التمركز الغربي فما يلي:

المطلب الأول: المرتكز الفكري.

من الشائع ان البعد الفكري أو الفلسفي لطالما ساهم في التأسيس لبناء أمة أو حضارة متقدمة، إذا يعتبر العامل الفكري من أهم الأسس التي تؤكد قيمة وجوهية أي حضارة في التاريخ البشري ، ولعل رهان العالم الغربي على ميراثه الحضاري لإيجاد حيز لائق له بين الأمم إن لم نقل تصدره معنى التاريخ والانسان ، فهذا التصور الأخير كان في أساسه وليد المعجزة اليونانية من حيث الأصل والمسار وذلك ما سنعمل على استعراضه في جنبات هذا العنصر الذي نسعى من خلاله لمعاينة المرتكز الفكري في بناء خطاب التمركز. لقد ترافق هذا الأساس مع الغرب لإظهاره كقوة اقتراح فكري انطلاقاً من كونه القدوة المعرفية والمعيار الذي تقاس به المناهج الفكرية والنظريات العلمية في فضاء المعرفة ليبرز في ذلك العقل الغربي وأكثر دليل على ذلك القول التالي: ((فالمرتكز المعرفي ليس مجرد مرجعية تواصلية بين الافراد والجماعات في الفضاء المجتمعي فحسب، بل هي تقيم ذاتها في نمذجة مطلقة تقاس على قاماتها النمذجيات شبه المعرفية غير المعترف بها خارج المشروع الثقافي))⁽¹⁾

ولعل ما يتفرد به الفكر اليوناني من عقلانية جعله يستحق أن يكون مرجعية فكرية للحضارة الغربية، وذلك انطلاقاً من كونهم أول من نقلوا البشرية من خرافات الأسطورة الى الفهم العقلي المدرك مع مختلف العلوم والفلسفات وهذا ما يؤكد الفيلسوف "راسل" عندما يرى أن أروع لحظات التاريخ هي رؤيته للعقل الانساني يتحرر من الخرافات والأوهام وينشا

(1) - مطاع الصفدي: نقد العقل الغربي ، مركز الإنماء القومي ،لبنان، د.ط، 1990، ص 206

العلوم المستجدة في لحظة فارقة تؤكد أن هذا التحول لم يصل له عقل شعب من قبل في كل الميادين ليكون نتاجها عبقرية متفردة تولدت عن الفكر الاغريقي⁽¹⁾

هذا ما جعل الباحثين يعتقدون أن العلم والفلسفة اختراعا تولدا من رحم الفكر اليوناني وذلك من خلال أن هذه القطيعة التاريخية في بناء المعارف الانسانية تؤدي بما لا يدع مجال شك الى قول بان الحضارة اليونانية كانت وليدة المفاجأة ومنقطعة عن رواسب الحضارية السابقة لها وبعيدا عن العوامل الخارجية التي تولد عنها التمدن حضاري ، فيرى "عبد الله ابراهيم"⁽²⁾ أن الفيلسوف راسل ذهب بعيدا بإلغاء كل المؤثرات السابقة ليجعل مفاهيم المعجزة اليونانية تصور عالي اخضع لها حركة التاريخ برؤية انفصامية عن الميراث التعاقب الفكري للتجمعات البشرية .⁽³⁾

وعليه كانت نقطة التحول مع "سقراط" و"أرسطو" في الفكر اليوناني وهما مؤسسي فلسفة الذات في خطاب الغربي، حيث انتقل الغرب من مركزية الأسطورة إلى مركزية الانسان في الوجود ، فأصبح الانسان مقياس كل الأشياء ومثال ذلك إعتبار الأخلاق جزء من المنطق البشري. أما الطبيعة فهي متروكة لجهد العبيد ، كما أن اللغة لا تخرج عن اللغة اليونانية وما عادها لا يعتبر سوى تهتهة همجية، ومن هذا التحولات برز تمركز الانسان الغربي حول ذاته بعيدا عن العالم المتعالي أو الطبيعي.⁽⁴⁾

ولكن الشاهد هاهنا ان الغربيين استخدموا خرافة الأسلاف كون الحضارة هي أساس التفوق الفكري والثقافي على الشعوب الاخرى خاصة مع بدايات عصر النهضة وذلك للبرهنة

(1) - برتراند راسل: حكمة الغرب، ج1، تر: فؤاد زكرياء ،المجلس الوطني لثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1983، ص65

(2) - عبد الله إبراهيم : مفكر عراقي، متخصص في الدراسات السردية ونقد المركزية الثقافية.

(3) - عبد الله إبراهيم : المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات ، المرجع السابق ، ص 44

(4) - روجي غارودي: كيف صنعنا القرن العشرين، تر: ليلى حافظ ،دار الشروق ،مصر، ط2، 2001، ص 37

أن الأوروبيين يمثلون الوريث الشرعي لليونانيين لما يتسمون به من ميل فطري للحرية والعقل على عكس الشرق العاجز عن التفكير الابداعي وبقائه محصورا في فضاء الاستعباد.⁽¹⁾

هذا ما دفع الباحث "عبد الله ابراهيم" يتتبع التاريخ الخطي لتطور مفهوم العقل من "أيونيا" إلى "إيليا" كأحد ركائز الاساسية في الفلسفة الاغريقية ابتداء من القول بالمبدأ الأول الى فكرة العقل المطلق، هذا ما يؤكد على ثبات استراتيجية مركزية العقل عند اليونان كونها المرجعية الأولى للغرب الحديث.⁽²⁾

وفي ذات الصدد جنح "أوغست كونت" لتقسيم الفكر الانساني إلى ثلاثة مراحل أطلق عليها اللاهوتية والميتافيزيقية و الوضعية كونها أساسيات صياغة القانون الطبيعي لتاريخ المجتمعات، من خلال تعاقب مرحلي حيث أن الحقبة اللاهوتية عكست فهما بسيطا للواقع بربطه بالسحر والإلهيات في تحكم بالطبيعة والانسان ، أما المرحلة الثانية فقد ارتكزت على الماورائيات في إدراك حقيقة الطبيعة والانسان بهدف صياغة رؤى نترفع بها على الافكار القديمة و يتبنى رؤى جديدة يقبلها الجميع ، لتتولد بذلك المرحلة الثالثة على اعتبار أن العقل هو الذي يتحكم في تقدم البشرية مع الوضعيين بمعرفة العلل الفاعلة في الطبيعة والانسان فهذا التقديم الكونتي يسعى لتثبيت وحدة التشكل التاريخي من الاغريقية الى وقتنا الراهن كمركز فارق في الفكر الغربي، ولا يحق للفكر أو للحضارة أو للعلم أن يخرج من فلك الموروث الحضاري عند الغربيين.⁽³⁾

ولعل هذه الخلفيات أنتجت معنى يتمثل في أن الحضارة الغربية هي الحقل الاساسي للمعارف، فأصبح بذلك إشعاعها العلمي أحد أنواع الهيمنة على العالم وتثبيت معالم التمركز الغربي على المجتمعات الهامشية حيث أن المفكر "مالك بن نبي" يطرح هذه الواقعة في

(1) - سمير أمين : نحو نظرية الثقافة ،معهد الانماء العربي ، بيروت ، د.ط ، 1989 ، ص96

(2) - عبد الله ابراهيم : المركزية الغربية-إشكالية التكون والتمركز حول الذات -،المرجع السابق ،ص156

(3) - غانم الهنا : فلسفة التاريخ -الموسوعة الفلسفية العربية -، ج2،معهد الانماء العربي، بيروت، د.ط ، 1968 ، ص988

قوله: ((وفي هذا الجو المفعم بشعور بالتفوق ، نشأت النفسية الأوروبية وظهرت كتابات تنظر الى تاريخ البشرية وكأنه بدأ مع الاغريق والرومان ، ثم حدث فيه تقطع وجمود ، ثم عاود الظهور في كل من باريس ولندن من جديد))⁽¹⁾ ، فمن هذا البناء المعرفي لدى الغربيين نصل الى أننا أمام حضارة تسعى لفرض إرادتها المعرفية على الآخر بقوة مركزيتها في العالم معتمدة في انفاذ على هذا التغول الفكري من تاريخها اليوناني الذي يستحيل إنتاجه مرة أخرى ، لكونها نقلت الذات الانسانية من الخرافات والميتافيزيقا الى تاليه الانسان في مواجهة الطبيعة وحتى الآخر لتكون بذلك ذاتها هي معيار التفوق على أساس أن الحضارة الغربية فلسفة امبريالية تتحكم في الكون باسم الحقوق المطلقة للغربي وتفوقه الحضاري.⁽²⁾

وفي إطار منهجة الغرب لخطابهم الفكري حول ذاته استحدثوا منهج الوحدة والاستمرارية في القرن الثامن العاشر ، حيث عملوا على الغاء التقليدية السردية للوقائع والظواهر من خلال استنباط الأنساق الداخلية التي تؤسس العمليات الفكرية مع إبراز النظام الموجه للأحداث والظواهر لوصول الى وحدة الاحداث وتجانس الظواهر هذا ما ينتج عنه تماسكها فيما بينها ليصير الفكر خاليا من التناقضات الداخلية ثم اعادة صياغته بشكل متدرج في نظام زمني محدد، ولقد انطلق هذا المنهج من مسلمة ترى بأن التاريخ له قوانين ثابتة في اتجاه غاية محققة وعليه قسم البشر بحسب الغايات الى ثلاثة مجموعات :

أ- مجموعة تعمل وتعجل لتحقيق هذه الغاية.

ب- مجموعة أخرى هدفها تعطيل هذه الغاية.

ج- مجموعة أخيرة لا تؤثر لا سلبا ولا إيجابا.

(1) - بدران بن الحسن: الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري "مالك بن نبي نموذجا"، دار الكتب القطرية، قطر، ط1، 1999، ص123

(2) - عبد الوهاب المسيري : العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ،دار الشروق ،مصر، ط1، 2002، ص 266.

ومنه تكون المجموعة المحققة جيدة تستحق الثناء أما المجموعة المعرقلة فذميمة تستحق اللعن ، بينما المجموعة الثالثة فلا حكم لها و بالتالي يرى هذا المنهج أن كل من يعارض هذا المسار هو مجرد مغامر يعارض حكم وغاية مرسومة لا يمكن معارضتهما.(1)

ونجم على هذه المبادئ منهج يعكس عمق الذاتية الغربية من خلال إعلان متدخلان أولهما التأسيس غائية جديدة في الطرح التاريخي من خلال بعث الغرب ككيان موحد ثقافة ودينا وعرقا في الحدث التاريخي ، هذا ما نتج عنه الفعل الثاني باختصار باقي العالم الخارجي عن ذاته بالاحتلال انطلاقا من كونه تابع له ولا بد على الغرب أن يبت فيه غائيته المحتومة التي تتماشى مع الحتمية التاريخية ، ومن هذا المنهج انطلقت كل البواعث الغربية في تمجيد الذات والغاء الآخر الهامشي ، لتكون الذوات الأخرى مجرد حواشي تمثل شرا محققا ينافي الغاية التي رسمها الغربي في تأسيس لمجده في تغريب العالم ، ليكون الفهم الغربي للآخر يفترض غاية ويقدمها كمسلمة للتاريخ ويؤسس من خلالها مساره الحضاري بإقصاء الطرف المقابل من عجلة التراتب التاريخي في خضم ثقافة اختزالية تعكس العالم وفق مقارنة غريبة التاريخ والامتداد الانساني وهذا ما يمثل لب المركزية الغربية وخطابتها المعاصرة.(2)

ضف الى ذلك الخلفية الفكرية للمتخيل الغربي عن الآخر بما فيها الاسلام ، فلو أخذنا على سبيل المثال الروافد الإستشراقية في هذا الصدد ، الذي يمثل انشغال طائفة من الباحثين الغربيين بدراسة علوم الشرق وحضارته وديانته بعيون غربية خالصة ، وتبرز بقوة ماهية التمركز الفكري في المشروع الاستشراقي في كونه أسلوب مواجهة فردية ضد الإسلام

(1) - عبد الله إبراهيم : المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات ، المرجع السابق ، ص 36

(2) - عبد الله إبراهيم : المرجع نفسه ، ص 38

منذ القرون الأولى لظهوره ، بتشكيك في معالمه الثقافية والعقدية ومحاولة تصحيحها بما يخدم تغريب الشرق.(1)

إلا أن هنالك جمهور من القائلين بوجود الإيمان بالغرب كقدوة ثقافية للإنسانية في حداته ونقل تجاربه دون تمحيص من خلال أن العالم الغربي بلغ مرحلة النضج الفكري والثقافي الكاملة مقارنة بالآخرين ، ولعل ذلك ما يبرز في جعل الإنسان كمواطن وفاعل اجتماعي في هذه الحياة العملية ، إلا أن حقيقة الأمر أن النموذج الغربي لا يتخطى كونه نسق ثقافي خاص جاء وفق سياقات تاريخية معروفة بدأت مع عصر النهضة لا غير، هذا ما يجعل المؤيدين لمشروع تغريب العالم يعانون من أزمة قبول في المجتمعات المستقبلية بسبب اختلاف الخصوصيات بين الحضارات فيبقى حال الرفض قائما ما دام الغرب يعتقد بصفوته على الأمم واعتبار الآخر هامشا وتابعا في سياق العرض الحضاري .

ثم إن المغذيات الفكرية قد تتبلور أحيانا في تصوير العالم الغربي في دور الضحية لجهالة الآخر المعادي للقيم الحضارية والآداب الإنسانية وهذا ما برز قبل وبعد متغيرات أحداث 11 سبتمبر 2001م وبرز تنظيم جديد للنظرة العلائقية بين الغرب والإسلام بشكل أوضح على ضوء مقولات "هانتجتون" وأنصاره ، ونقل الفضاء الفكري والحضاري للعالم نحو مبدأ الصراعية المفتعلة بداية من التسعينات بكون العالم تحكمه نظرية الصراع بدل الحوار ولعل تعزز هذا المشروع الفكري كان بعد الهجمات على برج التجارة العالمية بالعاصمة الأمريكية واشنطن بتوصيف الهجوم على أنه دليل على الغضب الإسلامي من سيطرة القيم الحضارية الغربية على العالم من جهة ومن جهة أخرى رأى الباحثون الآخرون أن ما حدث هو مجرد صراع مصالح بين الشبكات الإرهابية لإعادة رسكلة نظم العلاقات الدولية بما يتماشى مع نظرة الغربية وتشويه الآخر المعادي لقيم التميز الغربي على ضوء التضاد

(1) - محمد السماك : الدين في القرار الأمريكي ، طبعة بيروت ، 2003، ص 60

الثقافي بين الخطاب الإسلامي والغربي ، ما جعل الغربي ينجح لمواجهة وكان بداية ذلك مع غزو العراق وأفغانستان وتوجيه الآلة الاعلامية الغربية بما يتماشى مع السياسة الأمريكية التسلطية التي تدعو لتهديب الآخر وترويض الإسلام وعموم الشرق فكريا وثقافيا لتجنب مثل هذه السيناريوهات الدموية بين المجتمعات الإنسانية ونقل العالم بمن فيه نحو نظام القرية الكونية المتماهية في التصورات والمبادئ الحضارية الثقافية .(1)

رغم هذا كله يبقى الخطاب الفكري عند الغرب يراوح مكانه حول ذاته وهذا يتبدى مع مشروع "فرنسيس فوكوياما" الذي رأى النفس التي تبحث عن الآخرين هي من لا بد أن تحكم التاريخ وتعمل دوما على انتزاع الاعتراف من الآخر وفرض سيادتها عليه في فضاء الديمقراطية الليبرالية لتسود بذلك منهج وثقافة واحدة في العالم يكون فيه نهاية التاريخ تتجلى في السمو الأوروبي والنقطة النهائية للإيديولوجيا البشرية .(2)

ففي ظل هذه المفاهيم تأكدت المعجزة اليونانية كأحد اهم العناصر تأثيرا في بناء المرتكز الفكري في خطاب الغربي، حيث لعبت دورا محوريا في نقل الذات الغربية من الانحسار والنيولوجيا الى العقل والانسان فانقلنا بذلك من الذات متوقعة حول الاله الى الانفتاح مع الانسان ادراكا وثقافة، فكل هذه التحولات ساهمت في تثبيت الذات الغربية مقابل الاخر الذي لا يمثل سوى تابع للفعل الحضاري تاريخا وفهما، وعلى ضوء هذا التصور تعززت حقيقة الغربي في بناء العلوم وقيادة الانسانية نحو التحضر المنشود بعيدا عن مطبات الحضارات الأخرى.

(1) - نادية محمود مصطفى : جدالات حوار/صراع الحضارات ، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، د. ط، يوليو 2006، ص 09.

(2) - فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، تر: فؤاد شاهين، مركز الانماء القومي، بيروت، د. ط، 1999، ص 23.

المطلب الثاني: المرتکز الديني

في إطار عملنا على حصر أهم الركائز التي صاغت خطاب المركزة الغربية في العالم ، لا يفوتنا استحضر الجانب الديني كأحد أهم المكونات التي ساهمت في إرساء هذه النزعة في العالم الغربي ، لأنه لطالما لعبت الخلفية الدينية دورا هاما في صياغة أمجاد أي حضارة معينة ، لأن المكون الشعوري للدين دائما ما يصنع الفارق في اثبات الهوية الثقافية لأي امة تسعى لإقامة مجدها لما يحققه ذلك من وحدة واستمرارية على مستوى الامم المختلفة، ومن بين هذه الأمم الامة الغربية بكل تشعباتها والتي عملت على تصدير تفوقها عن الحضارات الأخرى من خلال تراثها الديني كحافز نفسي داعم لمسار الفكري الذي يسعى لبناء التفوق الغربي على الآخر بكل تشعباته. إذ يعتبر الدين في ذاته ظاهرة اجتماعية عرفتها كل الحضارات السابقة قديمها وحديثها، ولهذا تعتبر الظاهرة الدينية قديمة قدم الوجود الانساني في الكون لتكون بذلك معيارا عاكسا لقيم اغلبية الافراد والمجتمعات التي تكونت عبرها في كل تشكيلاتها ، فالدين عنوان تقويم الأمم هذا ما يؤكد كلاك هون بقوله: ((الإنسان حيوان مقوم ومن بين ما يقومه الدين أو المعتقد))⁽¹⁾

وعلى ما سبق نتوصل الى ان الحمولة الدينية متمثلة في التراث اليهودي -المسيحي هي من شكلت مجد الغرب الطارئ، فاليهودية هي العهد القديم والنصرانية هي العهد الجديد من خلال ما جمعه القديس بولس بينهما لإنفاذ موعد اسرائيل لاعتبرهما دينا واحدا ،خصوصا مع كون الديانة اليهودية تؤمن بفكرة شعب الله المختار التي تساهم في صناعة الذات الغربية المتفردة عن الامم الاخرى.⁽²⁾ كما لا يمكننا إنكار الدور الذي لعبه المكون اليهودي عند الغرب في بناء معالم الحضارة الغربية من خلال صياغة مختلف السياسات

(1) -أنور الجنيدي: مقدمة في العلوم والمناهج ،د.ط، القاهرة ، 1979 ، ص 165.

(2) - روجي غارودي : نحو حرب دينية بجدل العصر، تر: صباح الجهيم ،دار عطية للطباعة والنشر، لبنان، ط 2

الغربية، ومن بينها خطاب التمركز حيث يصعب قراءته بعيدا عن النصوص التوراة والانجيل التي ساهمت في بناء وحدة شعورية متفردة بين الحضارات الانسانية.⁽¹⁾

فمن أهم الروافد الدينية التي عززت التمركز الديني في التاريخ الأوروبي ما تسمى الحروب الصليبية حيث انبعثت من الغرب كحركة مسيحية ذات طابع هجومي واستعماري على الاخر الاسلامي بداية من القرن الحادي عشر الميلادي لعدة بواعث منها الحقد على المسلمين أو سعي لاسترجاع ارض المسيح في ظل التأثير البالغ للحكم البابوي على السياسة الغربية، ضف الى ذلك الخلفية المادية بسبب الازمة الاقتصادية آنذاك، فعمد رجال الدين على تبرير للحروب ضد الشرق الغني اعتبارا على انه ارض اللبن والعسل ودعم الاقطاعيون هذا المسار لما له من عوائد اقتصادية عليهم، كما لا يخفى على الباحثين الباعث السياسي والذي يتوضح في سيطرة رجال الدين على الحكم السياسي في العالم الغربي في تلك المرحلة الوسيطية التي اجبت عدة موجات من الحروب ضد العالم الاسلامي من اجل الهيمنة عليه وفرض الخلفية الدينية والثقافية عليه بما يخدم مصالحهم التوسعية والنفعية في عموم الشرق، الذي لطاما حكم عليه الغرب بالدونية والرجعية وحاجته الدائمة للفاهمة الغربية ليرسم له قواعد في الوجود الحضاري.⁽²⁾

ويعزز هذا المنطلق الفيلسوف الالمانى "ايمانويل كانط" بتأكيده على أنه لا يوجد في التاريخ اطروحة جسدت معالم المركزية الغربية أكثر من دور الكنسية التي حملت في ذاتها منذ البداية مبادئ الوحدة الموضوعية لإيمان ديني يتسم بالعالمية، لكون كل الأديان الأخرى

(1) - سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي الغربي، المغرب، د.ط، 2007، ص 41

(2) - علي سعود عطية : تاريخ الحروب الصليبية، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، ط1، 2010،

يوجد بها شيء من النصرانية، فهو بذلك يؤسس لكون هذه الاخيرة هي المرجعية الدينية الوحيدة التي تتسم بالموضوعية والعالمية في إثبات التمركز الديني الغربي.⁽¹⁾

ولعل هذا العنصر الفارق نقل الغرب الكنسي من مجرد تعاليم لعيسى عليه السلام الى إيديولوجيا وتنظيم ساهم في تأثيرا في أكثر الأحداث العالمية قيمة، ما يعكس عمق التحول في التدين الغربي الذي كان محصورا في الهيكل الكنسي ليخرج الى الفضاء العالمي فيساهم بمؤثراته في صياغة أهم معالم التغيير في العالم والحضارات البشرية.⁽²⁾ وهذا ما يقتضي منا التعرف على الديانة المسيحية بوصفها مكونا هاما في الهوية الثقافية الغربية المتركة حول ذاتها، فهذه الخلفية التي كانت دوما منطلقا لمنهج الوحدة والاستمرارية بتسخير تعاليم الدين لأغراض دنيوية كالتوسع والتفوق الحضاري، في ظل تحالف استراتيجي بين اليهودية والنصرانية من خلال اعتقاد اليهود بان الله يختار من البشر أناسا محددين لاستحلافه في الارض يختلفون عن بقية البقية البشر في الفكر والطباع.⁽³⁾ كما برز في الفكر الديني الغربي مع مرحلة عصور الظلام الانا المسيحية اتجاه الاخرين من خلال تشجيع محاكم التفتيش في عموم الفضاء الأوروبي في فرنسا وإسبانيا وأمريكا، لسجن أو إعدام كل فرد يخالف القواعد الكنسية وتعاليم البابا، حيث أجبر العلماء والباحثين على صياغة أفكارهم ونظرياتهم بما تراه الكنسية لأن مخالفة التعاليم المقدسة سيؤدي الى النهاية المحتومة والرفض الاجتماعي.⁽⁴⁾

(1) - إدريس هاني: أخلاقنا في حاجة الى فلسفة أخلاق بديلة، مركز الحضارة للتنمية الفكر الاسلامي، لبنان، ط1، 2009، ص 64،

(2) - علي عزت بيكوفيتش: الاسلام بين الشرق والغرب، تر: محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريبا، مجلة النور الكويتية، 1994، ص 351

(3) - برتراند راسل: حكمة الغرب، المرجع السابق، ص 189

(4) - مراد وهبة: ملاك الحقيقة المطلقة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1999، ص 35

وفي ظل الترابط بين العهدين القديم والجديد في العالم الغربي نشأ في مراحلہ المتقدمة عالم خالي من الاله بصورة أو بأخرى مع بقاء الالتزام الديني اختياريا بوجود المعالم دون الأخلاق في الدين وهذا ما يخدم توسعية خطاب التمرکز مع مساهمة مختلفة الأيدولوجيات ووسائل الاعلام في تمرير فكرة أن الغرب هم شعب الله المختار وهذا ما يعزز تلقائيا خطاب التمرکز في المخيال الغربي و إلغاء الآخر من المعادلة الحضارية (1)

إن تعمقنا في هذا خطاب يؤدي بنا إلى الوقوف على المباني الأساسية للأصولية المسيحية والتي تحصر مظاهر التدين في الكنائس والبعد عن ضجيج المجتمعات في شكل من الانفصال عن العالم وتقرب من الله انطلاقا من أن العالم بكل ما فيه مصدر للنشر والسماء هي مفتاح الخير المطلق في مرحلة من المراحل الزمنية وكان عاكسا بذلك لتمرکز ديني متطرف حول الذات المسيحية ورافضا للآخر إن لم نقل مقصيا لكل من هو خارج حلقة الكنسية بجعل التصير حركة دينية يراد من خلالها تبديل دين البشرية نحو المسيحية بعد تراجع الحروب الصليبية من اجل نقل العالم الثالث بما فيهم المسلمين لديانة الغرب لفرض هيمنتهم على هذه الشعوب. (2) ومن بين المعتقدات الدينية عند المسيحية التي اسهمت في صناعة المركزية الغربية فكرة الخلاص التي تعتبر تحرر من الخطيئة في ثلاثة أزمنة: تخلصنا في الماضي ويقصد به التجديد، ونحن نتخلص في الحاضر وهذا هو عمق التقديس واخرها المستقبل الذي سنتخلص فيه وهذا هو التمجيد، وهذا الأخير لعب دورا بالغا في بنية

(1) - روجي غارودي : أمريكا طليعة الانحطاط، تر: صباح جهيم، دار عطية ، بيروت ، د.ط، 1998، ص 208

(2) - عبد الله شقري: الأصولية الدينية حول العالم "الأصولية الإنجيلية نموذجا"، مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات، قطر،

التمركز الديني كإيدولوجيا تحولت معها المسيحية من مجرد قداسة وتمجيد الى شعور ذاتي بالتفرد والتفوق على الآخر الدوني. (1)

ففي عمق دراستنا للبعد العقائدي في المسيحية الذي يروج له على أساس انه خطاب جامع أساسه الحب والتسامح مع الآخر ولكن الواقع يعكس هذه النظرة الشكلية، فنجد القديس "أوغسطين" يعتبر الحرب أداة إنفاذ للعدل بين البشر في ظل اقراره بالزامية العبودية والرق في المجتمعات البشرية في هذا العالم الناقص، هذا يؤيده التاريخ، فرجال الدين شنوا الحروب الدينية على الشرق لنهب خيراته وثوراته تحت عدة مسميات ومشاريع وهمية. وفي هذا السياق لفت انتبهنا الدور الذي لعبته عقيدة الاختيار اليهودية في الوعي الغربي، فكون أن الغربي يمثل الوريث الشرعي لله في الأرض هذا ما يتوافق حصرا مع نراه من ميل عنصري يترجم الأنانية وحب تمركز حول الذات عند الغرب ما جعله يشرعن للوصاية والهيمنة في كل الميادين. (2)

ففي الظل هذه الاستقراءات لعبت الكنسية دورا هاما في إقامة خطابات التمركز الغربي وتكوين الغرب الحديث لكونها عناصر هامة مشكلة لعمق ذاته، ولكننا نعلم كلنا أن المسيحية لم تولد على شواطئ نهر الراين أو السين بكل كانت شرقية منشئ هذا ما جعل المشروع الغربي المتمركز حول ذاته يبتكر حيلة لدمج الفكر الكنسي كإضافة في مسيرة صناعة التفوق الأوروبي وربط الحضارة الغربية كونها الوريث الشرعي لميراث المسيح. (3) ولعل بوادر هذا النقل للمسيحية من بلاد المنشأ في الشرق نحو العالم الغربي لتبنيها بدأت ارهاصاته منذ اعتناق قسطنطين في القرن الرابع لها وجعلها الدين الرسمي للإمبراطورية

(1) - أحمد علي عجيبة: الخلاص المسيحي ونظرة الاسلام إليه ، موسوعة عقيدة الأديان ، العدد 11 ، دار الأفاق العربية ، د.ط ، ص 50

(2) - حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب ، المرجع السابق ، ص 149

(3) - سمير أمين: نحو نظرية للثقافة ، معهد الانتماء العربي ، بيروت ، د.ط ، 1989 ، ص 99

الرومانية ما جعلها غطاء شرعيا لممارسة النفوذ السياسي والأخلاقي، وعليه كان دخول إمبراطور الدولة الرومانية للنصرانية نقطة محورية في تعزيز العلاقة بين الشرق والغرب، لكن ملابسات العنصريين والتسييس الحادثة أنزل حاجزا بين العالمين الى درجة تزيف اصول الديانة واعتبار الآخر مجرد هامش لا يرقى لمجد روما.

وبهذا لا يمكننا إغفال ان الفكرة الدينية عند الغرب شكلت بصورة أو بأخرى ما يسمى الأنا الفردي من خلال تصورات الفكرة المسيحية برسم الأنا المتفوق الذي ساد و يسود العالم الغربي، هذا ما يدفعنا إلى القول بأن التمرکز حول الأنا عند الغربيين صفة ملازمة لحضارتهم في الفكر الانساني وما المرحلة الدينية إلا مجرد استكمال لاستمرارية التاريخية عند الغرب.⁽¹⁾ وما يعزز هذه النتائج ما طرحه "هنتغتون" في الأبعاد الدينية لمشروعه صراع الحضارات بكون الإسلام هو العدو الأول للغرب، إذ يريد من خلال هذا بلورة صورة عدائية عن الإسلام في المخيال الغربي بحصره في كونه مجال تهديد دائم لمعالم الحضرة والمجد الغربي وبالخصوص الامريكي وذلك في قوله: ((أربعة عشرة قرنا... أثبتت أن العلاقة بين الاسلام والمسيحية كانت غالبا عاصفة كل واحد كان نقيضا للآخر))⁽²⁾

وعليه نلاحظ الكم الهائل من تزيف الآخر في الذاكرة الغربية مقابل تمجيد الغربي لذاته في شكل من الاقصائية غير المفهومة، فنجد الغرب يدعو للوحدة الإنسانية والتسامح بين البشر ولكن نجد حقيقة الحال عكس ذلك بإقامته لمرتكزات حضارته على التفوق الفكري والمجد الديني ليس كتعاليم دينية فقط بل كإيديولوجيا خفية اتجاه كل ما ليس غربي ورسم الآخر كهامش لا يتصف إلا بدونية وتبعية للحضارة الغربية فهذا التناقض دليل على أن نزعة الغربية ماهي إلا عملية لتعويم العالم في الاغتراب دون سواه.

(1) - بدران بن الحسن: الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري "مالك بن نبي نموذجا"، المرجع السابق، ص 103

(2) - صموئيل هنتغتون: صدام الحضارات، المرجع السابق، ص 371

المطلب الثالث: المراكز العرقية

إن المرجعية العرقية تولدت على تبلورات تاريخية ودينية عميقة في الفكر الغربي، فلقد لعبت فكرة الاصطفاء الرباني لله لبني اسرائيل في التراث اليهودي-المسيحي أحد المحولات الدينية لتبني هذه النزعة، كما لعبت فكرة الجنس الآري النقي والفكر القومي في العالم الغربي نقطة فاصلة في تعميق هذه النزعة مؤمنة بقابلية الغربي وحده لصناعة التميز الحضاري دون سواه. فقبل توغلنا في استطرادات المراكز العرقية في خطاب الغربي، سنخرج على القصد من معنى العرقية والتي يكون فيها التمييز على أساس عرقي أو أن البشر يمكن أن يقسموا على عدد معين من أنماط التشكل، وبهذا يصير التمركز العرقي يقصد بها أي تفریق أو تمييز على اساس اللون أو العرق أو النسب أو الجنس.⁽¹⁾

لقد لعب التراث الغربي في شقيه اليوناني العلماني واليهودي-المسيحي دورا هاما في التعيد للبعد العرقي من خلال رؤية الأوروبيين لأنفسهم كورثة شرعيين للحضارة الاغريقية وأكثر الأجناس تميزا عن الشعوب الأخرى، وهذا ما يظهر مع ارسطو الذي يعتقد أن غير الغربي لا يمكنه أن يكون إلا عبدا للشعوب اليونانية في ظل منطقتي التفاوت والتراتب الطبقي في المجتمعات الانسانية حيث يقول: ((اليونانيون اعلى بطبيعتهم من البرابرة))، أما دينيا فبرزت مع فكرة شعب الله مختار في التوراة والانجيل التي تبني على اصطفاء الله لفئة من الناس متمثلة في الغربيين كأبناء واحباب لرب يسايرون مشيئته في الأرض و إستخلافه بطبائع متفردة تمكنهم من قيادة الانسانية نحو الأحسن.⁽²⁾ فلطالما ارتبط ميلاد معنى الغرب بالتأصيل العرقي بوجود طبائع معينة لدى جنس معين في تحقيق العمق الحضاري، فبهذا يمكننا مناقشة نظرية الطبائع من مرتكزين أو لهما الثقافة الغربية التي تعرضت لجملة من التطورات الشاملة ساهمت في تجانسها الثقافي أكثر من نظيراتها ومن جهة أخرى ما مارسته

(1) - عمر أزراج: مشكلة التمركز العرقي في الدراسات الكولونيالية وما بعدها، مجلة الجديد، العدد 22، 2016، ص 16

(2) - برتراند راسل: حكمة الغرب، المرجع السابق، ص 189

هذه النظرية في كونها تمثل دورا فاعلا في بناء التاريخ الغربي المتولد عن مميزات بشرية معينة متصلة بمجموعة عرقية مخصصة، فهذه الحثيات هي التي تنتج التمركز سواء كان عرقيا أو دينيا أو ثقافيا، فالهدف من هذا المسار خلق انتماء صافي ومميز بعيدا عن الشروط التاريخية في تكوين هذه الظاهرة المتمركزة.⁽¹⁾

ومع طلائع عصر النهضة برزت نزعة التمركز الغربي في ميلها لاقتصار العمل الحضاري وسياقه التاريخي في منجزات الغربية مع بروز تمثلاتها في القارة الأوروبية ، وهذا ما نجم عنه فيما بعد نظرية الطبائع التي تنظر الى الشعوب بخصائص تتوارثها جيل بعد جيل في تقارب وظيفي مع ما طرحته النظرية الداروينية، هذا ما عزز فكرة وجود سلالة عريقة تتمتع بالحضارة وتصنع التاريخ مقارنة بغيرها، وعطفا على ما سبق تؤسس نظرية الطبائع العرقية نظرتها على ميزتين أولها الميزة الايجابية وتتماهى مع الشعوب الأوروبية التي تتوافق مع منطلقات الفكر والحرية والسمة السلبية التي تعكس الشعوب السامية أي الشرقيون وهم الميالون للعبودية وغياب الممارسة المنطقية في سلوكياتهم⁽²⁾، وبهذا يظهر الجنوح نحو التفريق بين البشر وتقسيمهم عرقيا وفق الخصائص الموروثة حسب المدركات الغربية.

وفي الذات الصدد برزت أطروحة الفيلسوف "أرنست رينان" كأحد النماذج التي عززت الخطاب العرقي في الفكر الغربي بداية من منتصف القرن التاسع عشر، حيث كانت أوروبا تشهد حالة من التفوق العام مقارنة بباقي المجتمعات البشرية، ما جعل مفكرنا يعتقد بان الجنس الأوروبي يختلف عن بقية الأجناس البشرية وله قدرات فائقة في توليد الفعل الحضاري مقارنة بالجنس السامي الذي يتنافى مع النسق الابداعي وهذا ما يبرز في رؤيته بأنه ليس العرق السامي هو ما ينبغي أن نطالبه بدروس في الفلسفة ولم تكن الفلسفة لدى

(1) - عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية اشكالية التكون والتمركز حول الذات، المرجع السابق ، ص 229

(2) - حسين مروة: النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية، دار الفارابي، بيروت، د.ط، 1985، ص 113

السامين غير استعارة خارجية صرفة خالية من الخصوبة، وماهي إلا اقتداء بالفلسفة اليونانية، وهنا يتوضح البعد الإقصائي بتمجيد العرق الآري الغربي و دونية العرق السامي الشرقي العاجز عن بناء فلسفة مقارنة بالحضارة الغربية الوريثة الشرعية للفكر اليوناني.⁽¹⁾

وبهذه المرجعيات العرقية يعتبر الشرقي باحثاً عن مطلقه بينما الأمم الغربية تشق طريقها نحو المعرفة والتقنية، ولكن الناظر بتفحص للقراءات الغربية يستقن أنها عرقية خالصة حيث تجدها أحياناً تبالغ حتى في تخصيص بعض الأمم الغربية عن أخرى إلى درجة اعتبار الانجليز والألمان أكثر أوروبية من الفرنسيين والروسيين وهذا ما تعزز في التاريخ مع مشروع هتلر النازي الذي لم يقدم للبشرية إلا الخراب و الإبادة الجماعية والحروب الدموية التي شملت العالم، هذا كله من أجل اشباع الرغبات الغربية المتطلعة لتمرکز حول الذات واستئصال الآخر ثقافياً من المسار التاريخي والحضاري.

ومن أكثر اللحظات التي تؤكد على هذا الفهم الغربي ما طرح في شكل مجازي مع مشروع نهاية التاريخ للمفكر الأمريكي "فوكوياما" وهو يصف هذه النهاية بشكل طفولي من خلال تصويره أن الجنس البشري هو قطار طويل من عربات الخشبية تجرها الأحصنة في عمق الصحراء، فبعض هذه العربات لها وجهة محددة بدقة وهي تمثل الرجل الأوروبي الأبيض فوصلت للمدينة بأسرع وقت، وبعض الآخر تعرض لهجوم من أوباش الهنود الحمر فظلوا الطريق وهم سكان أمريكا الجنوبية، أما مجموعة العربات الثالثة فقد أتعبتها الرحلة فقررت الارتياح وسط الصحراء وتنازلت فيما بعد عن فكرة الوصول للمدينة وهؤلاء يمثلون أهل الشرق الذين بقوا حبيسين لعاداتهم وتقاليدهم، ولكن في الأخير تصبح المجموعتين

(1) - الطيب بوعزة ، في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة " نقد التمرکز الأوروبي " ، المرجع السابق ، ص155

الضاليتين مجبرتان على العودة للمدينة عن طريق منفذ الليبرالية والديمقراطية ليكون الجميع قد توفقوا عند نهاية التاريخ في مدينة الغرب ذات العرق السامي.⁽¹⁾

على ما سبق نتوصل إلى أن الميل العرقي لدى الغرب له علاقة بأبعاد تاريخية مرت بها أوروبا في ظل تراجع النزعة الدينية و خروج الأوروبيين من قارتهم واختلاطهم بالشعوب الأخرى ومثال ذلك الكشوفات الجغرافية والحملات الاستعمارية الساعية لإيجاد مصوغات شرعية لاستغلال الآخر، فمن الملاحظ بعد تراجع الموجة الدينية أصبح الغربي يميل لتصنيف البشر على أساس عرقي في تقديم تصنيفاته بمكونين علمي بيولوجي واجتماعي دارويني من جهة أخرى فكان هذا عاملا في تمرير العقل الغربي للفتاوت البشري.⁽²⁾

إذا لابد علينا أن ندرك أن العرقية ليست محصورة دوما في العرق فقد تجاوزت الشكل واللون وحتى البعد الثقافي أو الاجتماعي ومما يثبت ذلك ما ذهب إليه الفيلسوف "أنتوني كويم" حول أنواع العرقية التي حصرها في ثلاثة أنماط أولها العنصرية التقليدية والتي تعكس تمييزا عرقيا صريحا وتمثل بعد سليما لا يرقى للكراهية أما النمط الثاني فهو يكون بخلفية ايديولوجية تضمن تمايز الأعراق فيما بينها على أساس الفتاوت المفروض نظرا لاختلاف الخصائص بين الأجناس المتعددة أما النمط الأخير فهو يحدد لكل عرق وضع اخلاقيا مستقلا عن الآخر، ما يجعل النوع الثاني والثالث هما ممثلان لكل أنواع العنصرية وصناعة الجنس المنفرد عن الآخرين خصائصا واخلاقا ما يجعلنا أمام حتمية الأجناس العليا والسفلى وحتى الوسطى، هذا ما ينتج عنه شيوع البعد العرقي مقارنة بالإنسان كقيمة وجودية.⁽³⁾

(1) - فرنسيس فوكوياما : نهاية التاريخ والإنسان الأخير، المرجع السابق ، ص 278

(2) - عبد الوهاب المسيري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، دار الشروق، القاهرة، د.ط، 1997، ص 30

(3) - عمر أزراج: مشكلة التمرکز العرقي في الدراسات الكولونيالية وما بعدها ، المرجع السابق، ص 16

وفي ذات الصدد قدم "مارتن برنال"⁽¹⁾ في كتابه "أثينا السوداء" حول العرقية الغربية التي ظهرت بشكل جلي مع القرن 18م و19م في شكل رؤية مغايرة قلبت أصول النشأة للحضارة اليونانية فتم من خلالها اقضاء المؤثر الشرقي لصالح أن هذه الحضارة تعتبر نتاجا إغريقيا خالصا في تشكل معالم الغرب الحديث في ظل بروز هاجس التأصيل الغربي ما نتج عنه فكرة العرق الاري الأوروبي المحتكر لصفات فريدة لا توجد عند غيره خاصة مع بروز النزعة العقلية الإنسانية التي تثبت تلك الطبائع المتميزة من الحقبة الإغريقية إلى العصر الحديث ما يعكس ان تفسيرها لا يخرج عن خصائص عرقية ثابتة لدى الغربي مقارنة بالآخر الشرقي.⁽²⁾ وتتضح الخلفية العنصرية أكثر في الفكر الأوروبي مع الحملات الاستعمارية، وذلك من خلال أن العداء العرقي الذي صار أكثر تأثيرا على أساس اللون بعد حكم أوروبا اليا على القارتين الإفريقية والآسيوية، فتحول معه الصراع العنصري بين العرق الأبيض والأسود أو حتى الأصفر في محطات أخرى، هذا ميز ذاكرة القرن العشرين بين المكون الغربي والمكون الشرقي بكل امتداداته الفكرية والجغرافية .

فمن هذه التصورات برزت مع عدة نماذج ومذاهب فكرية سعت لتثبيت هذا التأصيل في المخيال الغربي خطابا وممارسة وعلى سبيل المثال ما ذهب إليه العالم الفرنسي "آرثر غوبينو"⁽³⁾ الذي يعتبر أحد أكبر المنظرين للنزعة العرقية في مؤلفه " محاولة في تفاوت العروق البشرية " حيث قسم في كتابه البشر إلى جزئيين أعراق عليا وأعراق دنيا في سعيه الدؤوب لتبرير اللامساواة بين البشر، فالعرق الأبيض حسبه لا يحمل جنيات البدائية عكس

(1) - مارتن بيرنال: مؤرخ أمريكي (1937-2013) ، باحث في تاريخ العصور الكلاسيكية .

(2) - عبد الله ابراهيم : المركزية الغربية إشكالية التكون والتمرکز حول الذات، المرجع السابق ،ص 230

(3) - جوزيف آرثر دو غوبينو: أرسقراطي فرنسي (1816-1882) ، عرف بالنظرية العنصرية العلمية ويشرعن للعرقية.

العروق الأخرى فمن البداية يرصد الإنسان الأبيض بمميزات ثقافية وإدراكية عالية ومنتشعبة تعكس نوعية التفرد الذي سيتولد منه في الإنشاء الحضاري.⁽¹⁾

وفي ظل هذه التجاذبات ظهرت عدة مدراس عرقية في أوروبا ومن دعاة هذه المدرسة "غوبينو" في كتابه "بحث في تفاوت العروق البشرية" حيث يطرح فكرته من خلال أن التفاوت الطبيعي بين البشر وبذلك فالعروق الدنيا لا تؤسس حضارة لكونها غير مؤهلة للتحضر وتتأقلم مع روح العبودية، فهي في أمر حال مجرد حيوانات مسخرة للعروق العليا على اعتبار أن العروق البيضاء راسمة لمسار التاريخ ولا يوجد للعرق الزنجي أو الأصفر أثر يذكر، فالذات العليا تتميز باستعداد فطري ثقافي وقيمي إذ يقول في هذا الصدد "فولتمان": ((العرق الشمالي - الغربي هو جوهرها مستودع الحضارة الأمين.))⁽²⁾ وفي المقابل نجد خطاب الثقافة الغربية المتمركزة حول ذاتها تختزل الحضارة الإفريقية في تصوير أكثر بشاعة ودونية من الحضارة الهندية، حيث يرى "هيغل" أن القارة الإفريقية ترقد فما وراء التاريخ الواعي بذاته ويغطيها حجاب دامس من الظلام ، في ظل غياب كل معاني الله أو القانون اللذان يرتبطان بالمصلحة الإنسانية، وبهذا يكون الرجل الزنجي وجوده دوما مترتب بالتخلف أو ما يمثل الانسان في بدايته الهمجية الأولى إذ لا يوجد في الشخصية الإفريقية ما يربطها مع معاني الإنسانية.⁽³⁾

ومن هذا الفهم الغربي لكل ما هو خارجه نلاحظ مدى الاقصاء والتهميش لغير المنتمي للحضارة الأوروبية، حيث تلصق به كل صفات الدونية والهمجية والبربرية لا شيء سوى أنه لا يؤمن في حضارته بضرورة إتباع المجد الغربي العنصري والعرقى، ثم أن تؤكد من هذا ميل ضد الآخر هو عقيدة لها ترسباتها في العقلية الغربية قبل خطابتها الثقافية

(1) - جورج لوكانتش: تحطيم العقل، تر: إلياس مرقص ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ،لبنان ،ط2، 1982، ص71

(2) - جورج لوكانتش: تحطيم العقل، المرجع السابق ،ص81

(3) - عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المرجع السابق ،ص 258.

والفلسفية في الحضارة الانسانية، حيث جعلت من هذا المرتکز سبيلا لتبرير نشر التحضر والتقدم في العالم بحيث أن الفضاء الهامشي لا يمكنه ان يتقدم بعيدا عن مفاهيم المعجزة الغربية .

المطلب الرابع: المرتکز الجغرافي

لقد لعب البعد الجغرافي للعالم الغربي دورا هاما في تصدير ما يريده من العالم، نظرا لموقعه الهام الذي سهل له الوصول لمختلف القارات مع الكشوفات الجغرافية أو الحملات الاستعمارية ضف الى ذلك القوة الصناعية مع بدايات عصر النهضة، فلو اعتبرنا أوروبا كونها عمق الغرب فقد لعبت دورا هاما في تطور الحضارة الانسانية ذلك لتوفرها على الظروف الملائمة متمثلة فيما يلي:

*- فالقارة الأوروبية تمتاز بأراضيها الواسعة والصالحة للزراعة بعيدا عن المناطق الصحراوية والهضاب في آسيا وإفريقيا، زد إلى ذلك غنى المناطق الغربية من القارة بالمعادن الهامة كالفحم والحديد.

*- يعرف عن أوروبا تعدد مواردها الصناعية والفلاحية مما جعلها تسيطر على اغلب المشروعات العمرانية والاقتصادية في العالم بفضل وفرة رؤوس المال، كما لا يفوتنا استذكار تواجد غالبية الامتداد الجغرافي لأوروبا في المناطق المعتدلة طوال السنة ما سهل تعرفها على أجزائها المترامية من جهة وعلى اكتشاف العالم الخارجي من جهة أخرى في ظل موقعها المركزي في العالم، الذي أتاح لها دورا قياديا بعد القرن الخامس عشر، خاصة بعد اكتشاف الأمريكيتين وأستراليا ورسم الطرق البحرية عبد المحيط الأطلسي⁽¹⁾.

(1)- حسن عبد العزيز أحمد: جغرافية أوروبا - دراسية موضوعية -، دار المريخ، الرياض، د.ط، د.س، ص 21

فلقد تضافرت الجهود الغربية لتمكين لفكرة امتدادية أوروبا وشموليتها، كونها مركز العالم وذلك مع بدايات القرن الثامن عشر، وفق نظرية السيد المعطاء والوسيط الكوني الذي ينبغي على الكون مسابرتة في كل المجالات حسب "دوفيز" ومن جهة أخرى يدعم "توينبي" جعل العالم البشري كله رهين الحضارة الغربية في مجتمع واحد كبير بالسيطرة على كل ما تحمله الجغرافيا فوق وتحت الأرض في البحار والأجواء ليكون بذلك تصدير معاني الانسانية للآخرين متاحا عبر التقنية الغربية الفريدة.⁽¹⁾

فلو وضعنا مقارنة مع انسان العصور الوسطى لوجدناه خاضعا للسكون، فكل شيء في وظيفته المقدره بداية من النجوم التي تبقى تسير في فلكها الى الانسان الذي لا بد عليه أن يبقى رهين مركزه الاجتماعي الذي ولد فيه، غير أن عصر النهضة صنع الفارق وزعزعة هذه الرؤية المسالمة، فبدأت تتشكل فكرة اصح عن الارض التي يعيشها بها الفرد الغربي وبدأت مع هذه الاستفاقة نزوح نحو الخارج عبر الكشوفات الجغرافية والاندفاع نحو الغايات التوسعية ومن ذلك الاعتماد على التحسينات الفنية بصناعة السفن وتطوير علم الملاحة، ليكون ظهور البوصلة علامة فارقة في علوم الملاحة لاكتشاف المناطق المجهولة عند الإنسان الغربي عبر المحيطات العالم.⁽²⁾

وبعد هذه الاضاءة يمكننا الجزم أن أوروبا هي نواة الغرب، ذلك من خلال أن التطور التاريخي للقارة الأوروبية هو في ذاته تاريخ ولادة الغرب الحديث حيث يقول "بيتر جران": ((إن الغرب هو مفهوم يتساوى تقريبا مع مفهوم أوروبا))، كما يورد في ذات الصدد أن كل

(1) - عبد الله إبراهيم: نقد التمرکزات في العالم المعاصر، المرجع السابق، ص 212

(2) - براتراند راسل: حكمة الغرب، ج2، تر فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، يناير

الأحداث المؤثرة في العالم الثالث ماهي في حقيقة إلا مجرد انعكاس وظيفي لأفعال العالم الغربي.⁽¹⁾

ولكن رغم ذلك إلا أن هنالك لحظة تاريخية ومفارقة جغرافية مع القرنين الخامس عشر والسادس عشر تولد عنها أن الوضع الغربي خرج من إنعزاليته الطويلة عن العالم من خلال مد الكشوف الجغرافية بالتفافه حول العالم الإسلامي إلى اكتشاف رأس الرجاء الصالح طريقا نحو بلاد الهند والمحيط الاطلسي، فهذه المكتشفات التي تصدر كأحد اسس النهضة الأوروبية هي مجرد عنف موجه ضد الحضارات المهاجمة بما يقارب اليات نهب الثروات والقرصنة ضد الآخر الشرقي بما فيه العالم الإسلامي إذا لا يمكننا تجاوز فضائع حروب المغول والمد الصليبي رغم ما مثلته الدولة العثمانية في ذلك الحين، لكن العلامة الفارقة هي ثبوت الاختراق الغربي الذي كان اعمق واشد قسوة في تقويض التوسع التجاري ومنه الثقافي والديني في ارجاء العالم في ظل الانفتاح الذي شهدته التجارة الغربية آنذاك، ولعل هذان الوضعان الجغرافيان انتجا مسارا تاريخيا وحضاريا كون أن التجربة التاريخية الغربية هي النموذج القائم الذي يصلح ليكون مثلا يحتذى به في ظل غلبة التراجع والضعف في عموم العالم الشرقي والإسلامي.⁽²⁾

ويبرز خطاب التمرکز الجغرافي في العالم الغربي مع ما ذهب إليه "هيغل" بربطه مسألة التطور العقلي بجغرافيا العالم، حيث يقسم العالم إلى قسمين عالم قديم وعالم جديد، ويتربع العالم الجديد في بعده الجغرافي على الأمريكيتين واستراليا لحدثة وجودها وهشاشة طبيعتها وضعف ثقافتها ذلك ما برز مع دخول العنصر الأوروبي لأراضيهم، حيث لوحظ انحسار الهنود وطاعتهم للرجل الأبيض ونقص حيويتهم وتخلفهم في شتى الميادين حتى في الاحجام، فهذه النظرة الدونية عند "هيغل" من العرق الهندي قابلها تفضيله للعرق الزنجي

(1) - بيتر جران: ما بعد المركزية الأوروبية "نظرة في تاريخ العالم الحديث"، المرجع السابق، ص22

(2) - وجيه كوثراني: الإسلام والمركزية الغربية، معهد الانماء العربي، مجلد3، العدد21، يوليو1981، ص 255-256

لاستعباده وكونه الأقرب لتقبل المدنية الغربية، أما العالم القديم فهو موطن تاريخ العالم الذي عرف بالممارسة العقلية وبناء النظم الحضارية حيث ركزه في القارة الأوروبية على إعتبار أنها أرض سهول ساحلية معتدلة بعيدا عن الفوارق الجغرافية في إفريقيا وآسيا ويخص هنا من تقسيمه للقارة الأوروبية إلى عدة قطاعات الأوسط وقلبه ألمانيا أو الإمبراطورية الجرمانية فهي وريث الشرعي لميراث الحضارة الرومانية واليونانية ثم تحولها لمركز النشاط الانساني في العصر الحديث لما لها من مؤهلات، فنلاحظ بذلك أن التمرکز العرقي لم يلف فقط بطبائع معينة بل تجاوزه لمؤثرات جغرافية لخدمة بقعة معينة وشعب معين.⁽¹⁾

وبهذا كانت صورة أوروبا الغربية أكثر ميولا إلى شروط الجغرافيا في إثبات تفردتها في ظل سعيها الدؤوب لتخلي على كل الصراعات الحاصلة داخلها لمواجهة المختلف التحديات المفروضة من الآخر وغير مثال على ذلك ما ورد في قاموس تريفو عام 1773 م إذ رأى أن أوروبا أصغر قارات العالم، لكن لها على الأجزاء الأخرى مزايا كثيرة...المزية الرئيسية هي الدين الحقيقي الذي حفظته على النحو الأفضل، والذي تنتشره بشكل رئيس منذ قرنين في أجزاء الكون الأخرى، وهذا ما ارتبط بالتصور الجغرافي للحملات التبشيرية باعتبارهم أورشليم مركز العالم انطلاقا من اعتقادهم أن أوروبا بلاد المسيحين ويجب تنصير باقي العالم في إفريقيا وآسيا انطلاقا من كونها إمتداد لجغرافيتهم قديما، هذا ما عزز في القرن الخامس عشر الكشوفات الجغرافية خارج أوروبا وتصنيف هذا العالم الهامشي بكونه ثري وخامل ووثني، حيث رافق المستكشفين الباحثون عن الذهب وهؤلاء غايتهم نقل الثروات إلى أوروبا والفئة الثانية حاملو الإنجيل ودورهم تنصير الآخر وتحريره من خمول الوثنية.⁽²⁾ وهذا يؤدي بنا إلى إعتبار الحضارة الأوروبية قد قامت بعملتي استغلال واستنزاف للآخر على ضوء روح التحضر ومنهج الكشوفات الجغرافية التي سادت مجتمعهم آنذاك، ولعل تحديد بداية

(1) - عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية إشكالية التكون والتمرکز حول الذات ، المرجع السابق ، ص 237-240

(2) - عبد الله إبراهيم : المرجع نفسه ، ص 14-18

دقيقة للعصر الحديث كانت سنة 1492م مع "تودروف"⁽¹⁾ متمثلة في لحظة عبور الكشاف "كولومبس" قطاع المحيط الأطلسي وهو ما مثل فتحا جغرافيا ساهم في تقوية الحضارة الغربية ذاتا وموضوعا ،مما فتح عيون الانسانية على أجزاء جديدة من العالم ولعبت أدوارا هامة في تاريخ البشرية فيما بعد .⁽²⁾

لكن من المفارقات التي تعكس نرجسية الغرب ان كل السكان الأصليين للعالم الجديد مكتشف تم إبادتهم مع إطلاق أسماء جديد تعكس الموروث الثقافي والكنسي للغرب، فالمستكشف كولومبوس كان يعتقد أن البلاد الجديدة ماهي إلا مجرد أملاك للكنسية عامة وإسبانيا خاصة، فمن المتعارف عليه أنه من يطلق الاسماء على الأشياء سيكون هو مالکها⁽³⁾ هذا ما يعكس الترابط بين الكشف الجغرافي والخلفية الدينية في الكشوفات الجغرافية عكس ما يروجه له علماء الغرب أنه ما جرى هو مجرد توسيع لرقعة البشرية ونشر لمعالم التمدن في الفضاءات المجهولة. وبهذا نتأكد من كون أن المرتکز الجغرافي زاد عمقه في خطاب الغربي مع عمليات التوسع الجغرافي عبر الكشوفات المختلفة خاصة مع طلائع العصر الحديث بكل ما فيه من تحولات في مجال الاقتصادي والاجتماعي والعسكري والسياسي، ما جعل الغرب يسعى لإيجاد ركيزة امتدادية في دعم افكاره الممجدة لذاته من خلال البعد الاستعماري والتصيري تحت قبعة الغاية الاستكشافية ليحقق مقاصده في قارة متفردة عن قارات العالم الأخرى التي تنتظر المدد التنويري والحضاري من المعجزة الغربية.

كما أن هناك من يعتبر أن هذا المرتکز قد دعم في حد ذاته الظاهرة القومية في أوروبا وأن اختلف الباحثون في جعلها أساسا أو نتيجة لمرتکز الجغرافي، فالمعلوم أن الظاهرة القومية تعتبر أحد إفرازات التحيزات الجغرافية، حيث قامت النزعة القومية الأوروبية

(1)- ترفيتان تودروف: فيلسوف فرنسي-بلغاري (1939-2017)، يكتب حول صراع الأنا والآخر وإشكاليات الحضارة .

(2)- ترفيتان تودروف: فتح أمريكا ومسألة الآخر، تر: بشير السباعي ،دار سينا ، القاهرة، د.ط، 1992، ص 11

(3)- عبد الله ابراهيم : المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات ، المرجع السابق، ص 19

على تمجيد الذات بحكم تجانس عناصرها في مجال جغرافي محدد ورفض الآخر وهذا ما تعزز في الفضاء الأوروبي بصور ومشاريع متعددة بجعل القومية الغربية هي وحيدة مؤهلة للإنشاء الحضاري في كل المستويات الحضارية والسياسية، إذا لا يمكن أن يتحقق البعد القومي إلا عند الأوروبيين لكونهم الأمة الوحيدة أكثر تجانسا وإبداعا بين الأجناس البشرية.⁽¹⁾

فالملاحظ بعد الصراع المرير بين الغرب والاتحاد السوفياتي عسكريا وتوسعا إلا أن المركزية الجغرافية لطالما كانت دافعا للوحدة في العالم الغربي رغم كل الحساسيات السياسية والايديولوجية ومثال ذلك ما طرحه "ميخائيل غورباتشوف" في باريس عام 1986 م بكون أن أوروبا هي وطننا المشترك، فرغم الخلافات الحادة بين القطبين إلا أن الجغرافيا عملت على ترجيح المركزية الغربية في شقيها الرأسمالي والاشتراكي ومناداتهم بالوحدة الوطنية ضمن الفضاء الأوروبي لما ذلك من ضمان مصالحهم المشتركة وتصدير مظهر خارجي موحد للحضارة الغربية وأن تعددت الاختلافات فيما بينهم.⁽²⁾ فمع نهاية القرن التاسع عشر تربع الدول الغربية على عرش السيادة العالمية من خلال كثرة مستعمراتها وامتداداتها الجغرافية، وما يبرز لذلك أن الدول الخاضعة إما استعمارا أو انتدابا للنفوذ الغربي شكلت غالبية العالم وبشكل أوضح قاربت مساحتها مساحة المملكة المتحدة بمئة وأربعين ضعفا، فمستعمرات بلجيكا تبلغ مساحتها ثمانين مرة من ساحة الدولة البلجيكية أما هولندا فستون ضعفا، وأما الدول الخاضعة للنفوذ الفرنسي فكانت مساحتها مجتمعة تزيد عن مساحة فرنسا عشرين مرة

(1) - علي عباس، مراد حسن فياض: القومية والأمة "مدخل إلى الفكر السياسي والقومي"، العربي للنشر والتوزيع، العراق،

د.ط، 2017، ص10

(2) - كيث روبنس: تغيير وجه العالم، تر: هبة حاتم، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2018، ص393

وبهذا أصبحت المملكة البريطانية وفرنسا روسيا القيصرية تستحوذ على أكثر من نصف العالم.⁽¹⁾

ومنه نصل إلى أن العامل الجغرافي ساهم في نقل نزعة الأنا الغربية المتعالية من فضاءات التفكير ومجالات التداول البيولوجي والنفسي إلى أرض الواقع، حيث عمل الغرب بجهد لتوسيع امتداده الجغرافي سواء عبر الكشوفات الجغرافية أو الحملات الاستعمارية تارة وتارة أخرى الموجات التبشيرية لكل أصقاع المعمورة حاملين لواء العلم والتحضر للبشرية من جهة ومن جهة أخرى تقديم مزايا الموقع الاستراتيجي للغرب كسمة هامة تساعد في تثبيت أركان المشروع الغربي الذي يسعى للتفرد والريادة العالمية في موقعه الأصيل أو عبر مكانه المستجد متمثلاً في المجال الجغرافي للمستعمرات، حيث نتج عن هذه التحولات تعزيز خطاب التسيد الغربي كونه القائد الأمثل للحضارة الإنسانية.

ورغم ذلك إلا أن الناظر لواقع العالم المعاصر بأبعاده الجغرافية يستنتج بكل سهولة أنه يعيش على صراع هوياتي من خلال سعي كل جماعة بشرية لإثبات حضورها وعلى سبيل مثال عرضنا المكون الغربي الذي عمل على إثبات جذوره وتاريخه برسم حدود لوجوده خوفاً من فقدان بريقه، هذا ما يؤكد حجم التنازعات الدولية الحاصلة بين الهوية الغربية والهوية الشرقية ما جعل الشعوب تعيش حالة من تخبط بين مختلف التمثلات الأساسية في غياب إدارة حكيمة للتنوع الثقافي بين المجتمعات البشرية ما نشأ عنه حالة من الصدمة الدائمة بين الملقي والمتلقي للفعل الحضاري المعاصر.⁽²⁾

وفي ختام عرضنا يمكن أن نقول أن البعد التكاملي بين المرتكزات الأربعة فكرياً ودينياً وعرقياً وجغرافياً هي التي تمثل الأسس العامة لتصدير خطاب التمركز الغربي للعالم،

(1) - تيبور ماند : خلاص العالم ،تر: هاجر نجدة وطارق هشام ،المكتب التجاري، بيروت ،د.ط، 1960،ص 19.

(2) - بريجة شريفة : الهوية الثقافية بين استراتيجيات التشكيل ورهانات الصراع ، مجلة مؤمنون بلا حدود، بحث محكم

،الرباط ، 2020/02/27.

ولعلنا نسأل كيف تم حجر الفلسفة والعلم والثقافة في قالب الغرب الرائد فقط دون إسهامات الشرق المشهود لها عبر التاريخ الانساني وبعد ذلك استخدام غطاء الدين لتبرير نزعة السادية المفروضة على العالم بعدة صور في مرحلة من المراحل الى درجة تشريع الحروب ضد الآخر باسم قداسة الرب الراعي وما هذا إلا ادعاء فحواه التقييد للمركزية الغربية لتكتمل الصورة بنزعة عنصرية وعرقية حصرت التحضر والقابلية للتقدم في عرق دون آخر أو شعب دون آخر في شكل من الانحطاط البشري وتبرير لهذا على أنه سنة من سنن التفاوت بجعل الغرب سيدا على الشرق مع استخدامهم للمجال الجغرافي كميزة اختصاص وتفرد للحضارة الغربية لتفود عالمنا بسلاسة وهدوء نحو التفرد الحضاري في كل المحطات.

خلاصة:

نستنتج مما سبق أن ناقشنا معالم خطاب التمركز الغربي بين السياقات اللغوية والاصطلاحية، مع التعرّيج على الدلالات التاريخية لخطاب التمركز إنطلاقاً من الحقبة الرومانية واليونانية إلى مرحلة ما بعد الحداثة في ظل إستظهار مرتكزات هذه النزعة الغربية في مختلف المجالات الفكرية والدينية والجغرافية والعرقية لبناء صورة مكتملة في مخيلة القارئ حول خطاب التمركز الغربي تاريخاً ومفهوماً.

الفصل الثاني

آليات خطاب التمركز الغربي في الهيمنة على الآخر

المبحث الأول: الغرب من النزعة الاستشراقية إلى ظاهرة الإسلاموفوبيا

المبحث الثاني: الفكر الغربي ما بين توطين العلمانية والعولمة

المبحث الثالث: هوية العالم بين إفتعال صراع الحضارات وإنفعال نهاية التاريخ

إن الاستفاضة في معالجة خطاب التمركز الغربي يحتم علينا التطرق إلى أبرز الآليات التي انتهجها في فرض هيمنته على الآخر ، فدلالة التاريخ والمفهوم لا تكفي وحدها لإفهام هذه النزعة بدون تناول آثار المدرسة الاستشراقية سابقا وتبعات ظاهرة الرهاب من الإسلام حاليا، مع تعزيز هذا الطرح عبر مشروع العولمة والعلمانية كأداتين في تصدير التميز الحضاري الغربي، ليكون ختام هذا التدافع المعرفي في نهايته يربط هوية العالم بالمؤثرات الغربية حصرا عبر استقطابات مشروع صراع الحضارات ونهاية التاريخ ، وعلى ذلك فما تتجلى آليات الهيمنة على الآخر في خطاب التمركز الغربي؟

المبحث الأول : الغرب من النزعة الاستشراقية إلى ظاهرة الإسلاموفوبيا

إن الباحث في الفلسفة الغربية يقف عموما على عدة آليات اعتمدها الغربي لتصدير مكتسباته الثقافية والدينية في العالم ،حتى وإن اختلفت الأساليب لكن بنية الخطاب واحدة تدور حول تمجيد الذات والسعي الدؤوب لرهن الآخر وفق مقارنته الفكرية التي تركز على سيادة وتفرد الحضارة الغربية على باقي الحضارات الأخرى ، ولعل هذا التصور ظهرت له عدة تنازعات علائقية بين الغرب والشرق وبالأخص العالم الإسلامي ،حيث انتقل هذا الخطاب المركزي وظيفيا من شرقنة الشرق ماضيا إلى رهاب من الآخر معاصرا ونخص بالذكر هنا ظاهرة رهاب من الإسلام ،فهذا الانتقال كان أحد أبرز الآليات في صياغة خطاب التمركز الغربي اتجاه الآخر الإسلامي .

المطلب الأول : النزعة الاستشراقية:

يعتبر الاستشراق أداة ثقافية استخدمها الغرب لمعالجة التراث الاسلامي بروية من الداخل تحقق له فهم الآخر الإسلامي الذي رآه دوما يمثل عنادا فكريا وحضاريا لا يساير ما تصبوا إليه الذات الغربية في مشاريعها نحو الريادة وصناعة المجد الانساني وفق بنية

عمل الفكر الغربي على إرسائها لتوضيح مدى الإضافة الغربية في الإرث الانساني واعتبار الهامش الإسلامي مجرد معيق وظيفي لحقيقة السيادة الغربية على الحضارة الانسانية.

أ/ تعريف الاستشراق

لغة: اختلفت الدلالة اللغوية لمعنى الاستشراق في الجانب اللغوي في عدة تأويلات من بينها: الاستشراق من الفعل (شرق) وفي معاجم اللغة شرقت الشمس بمعنى طلعت وبابه نصر ودخل. وشرق أخذ في ناحية المشرق و الشرق، كما أن الشمس وجهة شروق الشمس، وشجرة مشرقة تطلع عليها الشمس من شروقها إلى نصف النهار، وعلى هذا فالاستشراق وما يتصل به على نحو لفظ مستشرق يعد من التسميات المستجدة وإن كان مدلولها غير حديث (1)

إذ نجد لفظة الاستشراق على وزن استفعال فهي بالأساس مستمدة من كلمة الشرق ثم أضيف لها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء ويقصد منها طلب الشرق أي شرقت الشمس شرقا أو شروقا بمعنى طلعت ، وليس طلب الشرق سوى الاهتمام بعلمه وآدابه ولغاته وأديانه. (2)

كما وردت لفظة الاستشراق من لفظ استشرق المأخوذة من أصل شرق أي مستشرق ، فالكلمة استخدمت ترجمة لكلمة "Orientalism" التي تحمل دلالة معنوية يقصد بها لفظ مستشرق، أما المدققون فيميلون إلى ترجمتها بمعنى "علماء المشرقيات" بدلا من لفظ المستشرقين الأكثر شيوعا. (3)

(1) - إسماعيل علي محمد : الاستشراق بين الحقيقة والتضليل "مدخل علمي لدراسة الاستشراق"، ط3، 2000، ص 8

(2) - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ، ج1، دار الدعوة ، مجمع اللغة العربية، القاهرة ، ص 482

(3) - عمر رضوان: آراء المستشرقين حول القراءان الكريم وتفسيره "دراسة ونقد"، ج1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،

وإذا اعتبرنا كلمة الاستشراق مأخوذة من الشرق الذي هو خلاف الغرب والشرق كالطلوع، وشرق يشرق شروقاً، ويقال لكل شيء طلع من قبل المشرق وعليه يقصد بالشرق ذلك الحيز المكاني من الكون.

فالتشريق هو الأخذ في ناحية الشرق ولذلك يقال شتان بين المشرق والمغرب ، وشرقوا: أي ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق، فكل ما طلع من المشرق فقد شرق.(1)

إصطلاحاً: تنوعت الشروحات فيه حسب مناهج الباحثين والفلاسفة ، ولكن اجتمعت في كونه آلية غربية خالصة في فهم العالم الشرقي ذلك ما يتضح فما يلي:

إذ يعتبر الاستشراق ظاهرة معرفية ومنهجية ساهمت في دراسة الثقافات المتنوعة ضمن المسارات التاريخية والحضارية للعالم الشرقي ،حيث اعتبر بذلك المستشرقون جماعة من المؤلفين الأجانب والمؤرخين الذين خصصوا حياتهم لتتبع التراث الشرقي بكل ما فيه في سبيل تأكيد مشروعية الطرح الغربي في الهيمنة على الآخر من خلال معرفة تفاصيله الاعتقادية والتاريخية والاجتماعية وترويضها بما يتماشى مع التفرد الحضاري الغربي.(2)

وهناك من يعرف الاستشراق بكونه مجرد مصطلح أو مفهوم عام يطلق على كل اتجاه فكري يهتم بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ،ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة دون تتبع المنطقة التي تصدر منها الدراسات أو المكان الذي جاء منه الدراساتون في إلغاء التحديد المكاني لهوية المستشرق.(3)

(1) - محمد إبن منظور: لسان العرب، ج10، دار صادر، بيروت، ط3 ، 1414هـ ، ص 173

(2) - لخضر شايب : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكة ، الرياض، ط1، 2002، ص 26

(3) - عدنان محمد وزان: الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر، ج24، رابطة العالم الاسلامي ،سلسلة دعوة الحق ،مكة

المكرمة، د.ط، 1984، ص 15

ولعل من أكثر التعريفات تخصيصاً لمعنى الاستشراق ما طرحه المفكر " مالك بن نبي" إذ يرى بأن المستشرقين هم أولئك الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية، حيث صنّفهم إلى صنفين أولهم من حيث الزمن مع طبقة القدماء مع كل من "جرير دور بياك" والقديس "توما الأكويني" صف إليهم طبقة المحدثين مثل "كاره دوقو" و "جولد تسيهر" وثانيهم من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين في كتاباتهم بين طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة الناقدین لها.(1)

ومنهم من رأى أن الاستشراق هو معرفة الشرق ودراسته ولكن رغم ذلك إلا أن هنالك جمعا من الباحثين يرون أن دلالة المصطلح المحصورة في البعد الجغرافي والفلكي قاصرة في بلوغ المعنى الحقيقي للاستشراق، فالسياق اللغوي يدور حول كلمة "orient" في اللغات الأوروبية الثلاثة ذات الأصل اللاتيني والتي تفضي في معناها إلى أن الظاهرة الاستشراقية مجرد طلب للعلم والمعرفة والتوجيه والإرشاد.(2)

وفي ذات السياق نجد من ربط معنى الاستشراق وفق عدة خلفيات تجاوزت السياق الجغرافي والزمني إلى المجال الوظيفي بجعل المستشرق باحثاً مشتغلاً بالعقليات الشرقية عموماً والسامية على وجه الخصوص، وذهب بعض الدارسين إلى تحديد هوية المستشرق كونه مجرد عالم غربي يعمل على دراسة العلوم المرتبطة بالشرق لاسيما العالم الإسلامي وبهذا صار الانتماء للعالم الغربي قرينة ثبوت الفعل الاستشراقي، وجماعة أخرى أضافت تعلم أقوام من أوروبا للغة العربية رفقة لغتهم الأصلية إن لم نقل باقي اللغات الشرقية للبحث

(1) - مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1969، ص5.

(2) - عبد الله محمد الأمين النعيم : الاستشراق في سيرة النبوية، دراسة تاريخية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997، ص15.

في مجالات التاريخ والدين والاجتماع كعلماء يأترون ويتأثرون في العالم الشرقي بمختلف إسهاماتهم المعرفية الجادة .(1)

ويعرف المفكر "إدوارد سعيد" الاستشراق بأنه مجرد نتيجة حتمية وقوية لنشاطات سياسية معينة ، فهو بذلك أقرب إلى كونه مذهبا سياسيا مارسه الغرب المتسلط على الشرق الضعيف.(2)

ب/ علاقة الاستشراق بخطاب التمركز الغربي

إن التموضعات المعرفية والثقافية لظاهرة الاستشراق عبر أبحاث وتحليلات المستشرقين ساهمت فعلا في فهم العالم الشرقي من جهة ومن جهة أخرى سعت إلى رسم صورة منفرة للحضارة الشرقية بما فيها الإسلامية كون الفكر الشرقي لا يمثل منظومة حضارية متكاملة تخدم التطور والتقدم الإنساني ، فلهذا عمل المستشرقون على دراسة و نقد الحضارات الشرقية الهمجية وإيجاد البدائل لتطهير الإنسان الشرقي من برائث الجهل والتخلف عبر العودة للتراث الغربي الذي يمثل ماكنة النهضة وسبيل التفرد الانساني المنشود .

لذا يرى الباحثون أن أول اتصال وقع بين العالم الإسلامي ممثلا للشرق مع العالم الغربي لما فتح المسلمون الأندلس حيث حدث هنالك تلاقح فكري وثقافي بشكل سلمي في أيام زهوة الحضارة الإسلامية ولكن لم يدم ذلك الحال حتى دخلت الكنسية على الخط لتشوّه صورة الإسلام في العصور الوسطى ، إذ تحولت هذه العلاقة الثقافية التي يحكمها المد والجزر في حدود القرن الثامن عشر إلى علم يعرف بالاستشراق ، والذي ظهرت من خلاله نظرة تحليلية دقيقة لواقع الشرق والمسلمين فكرا وحضارة من خلال صدور مختلف الأبحاث

(1) - خليل القيسي، سعد وهيب: الاستشراق إشكالية المفهوم، مجلة ديالي، العدد60، جامعة ديالي العراقية، 2013،ص5

(2) - إدوارد سعيد: الاستشراق (المعرفة -السلطة -الانتشار)، تر: كمال أبو ديبب، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت

والدراسات وتحقيق المخطوطات الهامة ليكون بذلك أول مؤتمر علمي جامع لمستشرقين عام 1873م بباريس للتشاور و تبادل الآراء في الأبحاث المتوصل إليها حول التراث الشرقي.⁽¹⁾

رغم ذلك إلا أن تتبع دوافع النزعة الاستشراقية سيصل بنا إلى كونه أحد مشاريع التي اختفى الغرب خلف دراساتها لتمرير خطابه التمركزي في العالم الشرقي ، فكان الدافع الديني مهيمنا على العلاقة بين البحث الاستشراقي والإسلام حيث سعى المستشرق المسيحي إلى نشر النصرانية وفق الدعوة التبشيرية من خلال تشكيك في العقائد الإسلامية هذا ما أسهم في التقاء مصالح المبشرين والمستعمرين وذلك من خلال أن القاعدة الاستعمارية الغربية سهلت للحملات التبشيرية دورها و هذا ما يؤكد أن بدايات الاستشراق كانت دينية خالصة في المحتوى وإن كان ظاهرها التعرف على التراث الثقافي الشرقي.⁽²⁾

وفي ذات السياق لعبت الخلفية الاستعمارية دورا بارزا في دفع المستشرقين لاكتشاف كنوز الشرق خاصة بعد ما وصل إليه العالم الإسلامي من تطور وقوة بسبب الخيرات التي يحوزها ،حيث عمل الفكر الاستعماري على تشخيص مواطن القوة والضعف لتسهيل عملية التحكم في الحضارة الإسلامية معتمدا بالأساس في ذلك على الدراسات الاستشراقية بعد فشل الحروب الصليبية لتكون الموجة الاستعمارية بعد ذلك معززة بروح الاستشراق فتمت لهم المنعة العسكرية والسيطرة السياسية على الحضارة الشرقية بعد بث مواطن الفشل معنويا وماديا خاصة في الحضارة الإسلامية والترويج لتميز الحضارة الغربية ما يجعلهم يخضعون لمستلزمات الخطاب الغربي .⁽³⁾

لكن رغم ذلك إلا أن الآلة الاستشراقية لم تحركها فقط الخلفية الاستعمارية أو الدينية بل تميزت كذلك في أحد جوانبها بدافعية العلمية الخالصة ،حيث تميز الشرق الإسلامي

(1) - محمد أركون وآخرون: الاستشراق بين دعائه ومعارضيه ،تر: هشام صالح ،بيروت ،1994، ص173

(2) - محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط11 ، 1985، ص340

(3) - مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الاسلامي، د.ط، ص22

أذلك بمرحلة تاريخية فريدة مليئة بالعلوم والمعارف المتنوعة بتشديد المراكز البحثية والجامعات التي مثلت في وقتها منارة علمية وحضارية في العالم خاصة مع كون أوروبا في ذلك الوقت محصورة بين عوالم الجهل والتخلف في عصور الظلام ، هذا ما دفع الغرب ساعيا لتعلم علوم الشرق لبلوغ إلى ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية ، حيث نعلم أن هنالك فريقين من المستشرقين المسيئين و هم أرباب الاستعمار والتبشير والمنصفون وهم علميون الذين اجتنبوا الدسائس والتحريفات للتراث الإسلامي وجنحوا إلى الموضوعية في تناول المادة الشرقية لأنهم انطلقوا من مبدأ صحيح هو مبدأ معرفة الحقيقة وإظهارها وإنصاف الشرق بما له وما عليه حيث قدموا إسهامات بليغة للفكر الشرقي بمسحتهم العلمية المعتدلة .⁽¹⁾

كما برز الدافع السياسي للظاهرة الاستشراقية لما خضع العالم للاستعمار الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث وجد المستعمر نفسه مرغما على تدريس لغة وتاريخ وثقافة مستعمراته لوكلائه بها لكي يستطيعوا التأقلم مع واقعهم الجديد بالمساهمة في قبول السياسة الاستعمارية في هذه المناطق المستعمرة ، حيث امتدت هذه العملية حتى بعد نهاية الاستعمار فانتقلت من الميدان إلى مباني السفارات والقنصليات الغربية بالاعتماد على رجال متمكنين من الدراسات الاستشراقية لبث سمومهم وخدمة المصالح الغربية في مختلف الأقطار الإسلامية من خلال تقريب رجال الفكر والإعلام واستخدامهم بما يتوافق مع مصالحهم أو حتى تجنيد العملاء لقيام بمهمة خدمة الغرب من خلال إحداث الفتن الداخلية والانقلابات السياسية والثقافية في العالم الإسلامي، فهذه التحركات السياسية في المرحلة الاستعمارية وما بعدها كانت وليدة الدافع الاقتصادي والتجاري لما يملكه الشرق الإسلامي من ثروات بالغة ستساعد الغرب لا محالة في تطوره الصناعي والاقتصادي من جهة ومن جهة أخرى السعي لحرمان المجتمعات الشرقية من مقدراتها لبقائها تابعة للحضارة الغربية وتعزيز امتدادات الأسواق التجارية في هذه المجتمعات الاستهلاكية و القضاء على أي شكل

(1) - صالح حمد الأشرف: الاستشراق مفهومه وآثاره، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية، 2016، ص19

من أشكال التصنيع المحلي معتمدين على ما توصل إليه المستشرقون في أبحاثهم عن ثقافة و عادات الشرقيين عامة في لباس وطعام وعلى وجه الخصوص المسلمين لإيجاد طرائق السهلة لاختراقهم وتبديل عاداتهم وسلوكياتهم بما يخدم السياسة الغربية و طموحاتها الاقتصادية في ظل خطاب إقصائي للآخر الشرقي مقابل الذات الغربية المتميزة سياسيا واقتصاديا .(1)

ففي ذات المنحى لعب الدافع التاريخي دورا هاما باعتباره محركا اساسيا في ميلاد الاستشراق نتيجة الصراع الأزلي بين العالم الشرقي والغربي الذي كان فحواه سعي كل منهما للهيمنة على الآخر ،فالباحث في روابطهما التاريخية يجد نفسه بين اتجاهات متنوعة في نظم علاقتهما بين حب وعداء وهدم وبناء ،فكان أساس هذه المتغيرات منذ القدم عملهما على إثبات ذاتهما لكل منهما على الآخر ، ولكن الثابت أن الغرب كان أكثر ميولا للتسلط و السيطرة على الآخر الشرقي بناء على فلسفته في الحياة فهذه الوقائع أكدتها مختلف الأحداث التاريخية .(2)

إلا أن المتمعن في دوافع الاستشراق يصل لا محالة لفكرة تعالي الأنا الغربية على كل ما هو غير غربي ، ولعل هذا راجع لسعي الغربي لإيجاد هويته المنشودة كونه متفوق على الآخر بكل ما فيه ، حيث عمد الغرب لمعرفة ذاته من خلال دراسة الآخر ليس فقط كعدو بل كطريق لفهم ذاته الحضارية وإثبات تفردا حيث يقول "الجابري" في هذا الصدد: ((إن الأنا الأوروبي سيظل عملية ناقصة تكملها عملية أخرى ضرورية ، هي عملية تفكيك الآخر من خلال سلبه أناه وإقصائه وتحويله إلى مجرد موضوع)) وهنا ندرك أن الفعل

(1) - صالح بوسليم : حركة الاستشراق، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 11-12/03/2016، الجزائر، ص 238-239

(2) - أحمد سمايلوفنتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص43

الاستشراقي الهدف منه تحويل الذات الغربية إلى مركز فاعل والشرق إلى هامش لا يتعدى مجاله إلا أن يكون موضوعا لدراسة عند الغرب.(1)

ومما سبق يمكننا أن نصل إلى كون الاستشراق قضية إبستمولوجية ومنهجية تناقش القضايا التاريخية والحضارية والثقافية مستندا على التمركز حول الذات الغربية في ظل هيمنة المنظور الحضاري والعرقى للباحث على أركانه ، وهذا ما جعل الفعل الاستشراقي أحد آليات الهيمنة في المركزية الأوروبية ، حيث يسعى دوما لوحدة التاريخ الانساني بنقد المفاهيم المخالفة مع التحليل والنقد المعرفي للظواهر التاريخية لتثبيت النزعة الاستعلائية في الفكر الغربي.(2)

لقد كان الخطاب الاستشراقي محملا بجملة من الدوافع التي استعرضناها، ولكن لتحقيق هذه الغايات اعتمد جملة من الوسائل لتزييف العقائد والأصول والثقافة الإسلامية وتقزيمها في الفكر الغربي حيث عمدوا في شكل العام إلى ضرب المنظومة الفكرية والثقافية عند المسلمين بنشر النظريات الفاسدة التي تتماشى مع التراث الإسلامي كمشاريع العلمنة والحجاب وحصر الدين في المساجد دون المعاملات الاجتماعية والسياسية وتصوير هذا التغيير كأحد أبواب الولوج للتحضر معتمدين على القطيعة التي حدثت في أوروبا بين الدين والحياة فنتج عن ذلك الغرب المتطور تقنيا وعلميا لكونه تتحرر من برائن النزعة الدينية و نفتح على مفاهيم المعرفة والحرية، فوجد الانسان الغربي حقيقته التي مزال العالم الشرقي يتخبط بعيدا عنها ،ضف إلى ذلك سعي المستشرقون لتعزيز الهيمنة الفكرية الغربية عبر

(1) - محمد عابد الجابري: مسألة الهوية :العروبة والاسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت،1995، ص135

(2) - سالم يفوت: حفريات الاستشراق "في نقد العقل الاستشراقي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1، 1989 ،

اختراق مختلف التيارات الثقافية والأدبية والعلمية في المجتمع الإسلامي وجعلها أبواباً لنشر القيم الغربية تحت غطاء الانسانية والتحضر .

أما على الصعيد العملي فقد توجه المستشرقون لتأليف الكتب والموسوعات والمعاجم حول التراث الإسلامي لتقديم وجه نظرهم في عدة مسائل بهدف زعزعة اليقين في عدة قضايا ثابتة في الفكر الإسلامي وترويج للفكر الأوروبي بقلم عربي خالص كمركز للتطور المنشودة من خلال التجربة الفكرية الغربية، ولعل ما ساهم في انتشار هذه المؤلفات امتلاكهم لدور نشر خاصة بهم لإذاعة فكرهم وترويج لأبحاثهم حول الإسلام وذهبوا أكثر من ذلك في اعتماد المجالات المتخصصة حول التراث الإسلامي التي بلغ عددها حول ثلاثمئة مجلة بمختلف اللغات في العالم الغربي لتقريب نتائج دراساتهم للقارئ الغربي من جهة ورسم صورة بدوية وهمجية عن المسلمين كونهم لا يصلحون إلا لاستتباع الحضاري وأن المجد الإسلامي المزعوم ما هو إلا مجرد مغالطة أبانت بحوثهم عن هشاشته مقابل التفوق الغربي.⁽¹⁾

وفي ذات الصدد تعتبر الظاهرة الاستشراقية أحد الأدوات الثقافية لخطاب التمرکز الغربي وذلك ما يبرز من خلال خصائصه المختلفة حيث لعب دوراً بارزاً في إرساء نظرية إيديولوجية استعمارية قيماً وفكراً، فلا يوجد أكثر راديكالية من تشكيك الشعوب المستعمرة والمقهورة في خلفياتها الدينية والثقافية بهدف ترويضها بما يخدم المستعمر الغربي إلى درجة إثارتها لجملة من القضايا العلمية والفلسفية والمشكلات الاجتماعية التي أفرزت فيما بعد خلافاً قومية في العالم الإسلامي لازالت رواسبها إلى الآن ما أفضى إلى نقل العلاقة بين الغرب والإسلام من منطق التجاذب الفكري إلى الصراع المتطرف ومع هذا كله إلا أنه استطاع رسم منهج مستقل في الدراسات الإسلامية و أسهم في تنظيم الكتب العربية في

(1) - سعد آل حميد: أهداف الاستشراق ووسائله ، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية ،جامعة الملك سعود، السعودية،

المكتبات الأوروبية وإماطته اللثام عن كثير من العادات والأجناس والقوميات في العالم الشرقي كميزة موضوعية إلى درجة ما ، إلا أن هذا لا ينفي عنه كونه مجرد وسيلة لخدمة الطرح الذي يدعو دوما لتمجيد الذات الغربية من خلال البحث والنقد في تراث الآخر وتصدير الأنا الأوروبية كأداة لتقويم والتقييم في الفكر الانساني.(1)

كما لا يفوتنا التعرض للأهداف التي تصبوا الظاهرة الاستشراقية للوصول إليها خدمة لخطاب المركزية الغربية ، حيث لعب الهدف الديني دورا حاسما في ميلاد الاستشراق من خلال محاربة الإسلام بالبحث عن نقاط ضعفه وإبرازها واعتباره مجرد مقتطفات من اليهودية والنصرانية مع حجب حقائقه عن العالم الغربي حماية لهم من الاستسلام لهذا الدين الهمجي والسعي في نفس الوقت إلى تعويم الديانة النصرانية في العالم الإسلامي من خلال تشكيك المسلمين في دينهم ونبیهم وتراثهم (2) ، كما مثل الاستشراق هدفا محوريا في خدمة المخططات الاستعمارية بقيام صراع واسع بين الشرق والغرب عموما وإدخال الإسلام في صراع مرير مع الديانة اليهودية والنصرانية بنعت القرآن بالتحريف وتشكيك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وسعي الدائم لهدم الأركان العقائدية للمسلمين لتمرير أفكارهم وإرساء هيمنتهم المنشودة حيث يقول " لورانس بروان " : ((الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قوته على التوسع والإخضاع وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي)).(3)

أما في الجانب العلمي فقد قدمت البعثات العلمية الغربية للعالم الإسلامي دورا في خدمة أهداف الاستشراق ، حيث لعب تنوعها وتعددتها في تطوير المدارك الباحثين عن

(1) - أحمد سمايلوفنتش : فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب المعاصر ، المرجع السابق ، ص 104

(2) - محمد حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة ، الكويت، ط1، 1983،

(3) - مصطفى خالدي ، عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية ، القاهرة، 1986 ، ص37

التراث الشرقي خاصة بعد عودتم لأوروبا حيث تحولوا إلى شموع أضاعت عصور الظلام الأوروبية خاصة مع المحاولات الجادة من المنصفين من أهل الاستشراق الذين قدموا دراسات موضوعية خدمت قيمة الفكر الإسلامي عند الغرب وساعدت الغربيين في تجاوز تخلفهم خصوصا مع استعراضهم لمختلف التجارب والأبحاث العلمية التي كانت أهم محركات النهضة الأوروبية في العصر الحديث⁽¹⁾، ضف إلى ذلك الهدف السياسي الذي قدح كثيرا في المرامي العلمية للبحث الاستشراقي من خلال عمله على تحقيق الطموحات السياسية لخطاب التمركز الغربي بفرض إرادة الهيمنة على الشرق بمعرفة كل شيء حول الشرق قوة وضعفا من داخله ليكون جهازا صالحا لتوريد كل التفاصيل السياسية والدينية والثقافية و الاجتماعية حول الآخر الشرقي ليسهل السيطرة عليه و تثبيت دعائم الذات الغربية في وصايتها على التحضر الانساني ولهذا يقول مفكرنا " إدوارد سعيد " : ((إن الاستشراق في جوهره مذهب سياسي فرض فرضا على الشرق لأن الشرق كان أضعف من الغرب ، وإن تجاهل اختلاف الشرق الراجع عن ضعفه))⁽²⁾.

واعتبارا على أن أغلب النزعات الغربية طالما كان يحركها عامل الاقتصاد والتجارة لتحقيق المكاسب وجني الثروات من ورائها فلقد كانت للمشروع الاستشراقي نصيب في هذه الغايات ،حيث مثل المستشرقون عيوب أرباب المال والتجار في معرفة العالم الشرقي لجعله سوق واعدة لمنتجاتهم ولتوسيع تجارتهم ولقد كان أبرز مثال على ذلك ما ورد في تقرير المراجع الأكاديمية بجامعة كامبردج ببريطانيا حيث قاموا بإنشاء كرسي للغة العربية هدف منه اقتصادي يتجلى في تقديم خدمة نافعة للملك والدولة عن طريق ضمان تجارتهم في العالم الشرقي ، كما أن المستشرقين مع بدايات القرن التاسع عشر والعشرين عملوا على

(1) - أنور محمد زنتاتي: دراسة جديدة للاستشراق ، مكتبة الأنجلو-مصرية ،القاهرة ، ط1 ، 2006 ، ص 40

(2) - إدوارد سعيد : الاستشراق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع ،القاهرة ، ط1 ، 2006 ، ص 321

التركيز على الدراسات ذات الجدوى الاقتصادية من هذا العالم الهامشي لتحقيق مكاسب استهلاكية تخدم الغرب .(1)

ولعل من أكثر الأمثلة التي استوقفنا في بيان علاقة الاستشراق بالنظرة الاستعلائية للغرب إتجاه الشرق بما فيه الإسلام ما كتبه المستشرق "أرنست رينان" في بيان الاستعلاء الغربي بقوله أن العالم ينقسم إلى قسمين كبيرين هما: القسم الآري والسامي ، فالجنس السامي حسبه هو الذي يندرج الإسلام ضمنه فهو لم يقدم للحضارة الانسانية شيئاً غير الأساطير والأدب ما يعكس البساطة المريحة للروح السامية أمام العلم والتحضّر وهذا ما أورده كذلك في محاضراته المشهورة "الإسلام والعلم" والتي أبرز فيها أن كل شرقي أو إفريقي مغلول بطوق حديدي يمنعه عن كل أسباب إبداع الأفكار الجديدة ، غير أن روح الآرية ممثلة للغرب هي من أبدعت كل جديد في السياسة والعلم و الأدب والفلسفة مقارنة بالساميين الذين لا تتعدى معارفهم إلا أن تكون امتدادات نقلية للتراث الإغريقي وهذا ما يجعل مستقبل العالم مرهون بالشعوب الأوروبية لا غيرها في ضمان الفعل الحضاري مع تحطيم العنصر الشرقي الذي يمثل الإسلام فيه ديكتاتورية دينية عقيمة .(2)

وعلى ما سبق نقف على التجلي الواضح لخطاب التمرکز الغربي في الظاهرة الاستشراقية من خلال جعلها معولاً ثقافياً يخدم المصالح الغربية الساعية لتأكيد نزعتهم الفوقية اتجاه العالم الشرقي تاريخاً وثقافة ، حيث ناقش المستشرقون بنية الحضارات الشرقية بما فيها الإسلامية برؤية استعلائية فحوا النقد والتقييم لكل ما يمثل ذا قيمة لدى الشرقيين في الدين والفكر والتاريخ بتقديم البدائل الفكرية وتصحيح البديهيّات التاريخية حتى تتلاءم مع صلب الفكر الغربي المتطلع للريادة والتصدر ، فالشرقي حسبهم يبقى مجرد تابع ضمن

(1) - إسماعيل علي محمد : الاستشراق بين الحقيقة والتضليل "مدخل علمي لدراسة الاستشراق"، المرجع السابق، ص 77

(2) - محمد عبد الله شرفاوي : الاستشراق "دراسات تحليلية وتقويمية"، سلسلة في الفكر الاسلامي المعاصر ، القاهرة ،

موروثه الهامشي الذي لا يستطيع الخروج من تخلفه وجهله إلا من خلال اعتماد المنهج الغربي في الوصول إلى التحضر والتفوق خاصة مع كون حقيقته ميالة بالفطرة لروح الركود أكثر من التحرر والتطور ما يجعله مجبرا على اقتفاء النموذج الغربي المثالي في إقامة حضارته ومجده التاريخي المنشود .

وعلى الرغم من ذلك إلا أن آثار المدة الاستشراقي بقيت إلى وقتنا المعاصر انتجت عدة مظاهر ومشاريع في تعزيز خطاب الأنا الغربية بتفسير الغربي من كل ما هو إسلامي وعلى سبيل المثال ظاهرة الإسلاموفوبيا ، وذلك ما سنعمل على مناقشته فيما يلي لاستبيان حقيقة الرهاب من الإسلام لدى الغرب كأداة معززة لخطاب التمرکز .

المطلب الثاني : ظاهرة الرهاب من الاسلام

وفي هذا الصدد تعتبر الإسلاموفوبيا هي الوجه المعاصر للظاهرة الاستشراقية فإذا كانت الأولى حالة من الخوف العام من كل ما يمثل الحضارة الإسلامية فإن الثانية هي جوهر هذه الحالة بل هي الأساس الدافع الذي شكل لدى الغرب روح التريب والشك من الإسلام للتطور مع الزمن لحالة من رهاب من كل مظهر إسلامي لأنه يمثل مرادفات الإرهاب والرجعية .

ا/ ظاهرة الإسلاموفوبيا:

لغة: فمصطلح الإسلاموفوبيا "Islamophobie" مركب من لفظتين هما كلمة "إسلام Islam" وهي كلمة ذات دلالة عربية واللفظة الثانية وهي كلمة "فوبيا phobie" وهي يونانية الأصل مستلة من كلمة "فوبوس" والتي يقصد بها الرهاب أو الخوف أو الهلع من شيء ما أو جماعة معينة ، ويصنفه علماء النفس على أنه خوف لاشعوري لا يوجد تفسير

له سوى أنه مرض بسلوكي ينبغي معالجته⁽¹⁾ ، وعليه يكون القصد من المصطلح بشكل عام يقصد به الخوف من الإسلام أو المسلمين ، خاصة مع ورود عدة ترجمات لكلمة "فوبيا" لكن المعنى هو "رهاب" وبذلك يصير معنى الإسلاموفوبيا هو رهاب من الإسلام بكل ما يتبعه من تخويف منه وكرهية له.

اصطلاحيا: لقد تعددت التعريفات الصادرة فيه معناه بين مختلف الباحثين كما يلي :

فهناك من رأى ان هذا المصطلح يستخدمه أهل الغرب لإظهار عدائهم للإسلام و المسلمين فهو مصطلح يعكس عمق الكراهية و العنصرية ضد المجتمعات الإسلامية وذلك من خلال طرح الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كدين همجي ووحشي يدعو للقتل والإرهاب من خلال القتل الجماعي للأفراد أي كانت هوياتهم لنشر الفوضى في المجتمعات الانسانية مستندا على الأصولية الدينية المتطرفة وكل هذه الادعاءات الإسلام منها براء ، ضف إلى ذلك وصفهم الثقافة الإسلامية بأنها نتوء حضاري يتوسع يوما بعد يوم لأخذ البشرية إلى الانهيار المحتوم.⁽²⁾

وفي ذات المعنى تم تصوير الإسلام كمشروع محل رفض من الغرب كديانة وطريقة حياة اعتمدها مجموعة من البشر في ظل امتداد ثقافي محدد نتج عنه تشكل هاجس وخوف من التواصل والتبادل والحوار مع المسلمين ، مع تحميل الفرد المسلم المسؤولية عن كل عيوب المجتمع والعالم خاصة أن مرتكزات الإسلام تتناقض مع ضرورات العقل وتصطدم مع كل منتوجات العلم التجريبي ، وبالتالي يصير الإسلام في الفهم الغربي دين لا حضارة لمجابهته للعقل ما يجعل الآخر المسلم معزولا بسبب جموده الحضاري وهو ما يعكس

(1) - روجي البعلبكي: قاموس المورد، دار العلم للملايين ، بيروت ،7،1995، ص 836

(2) - مراد وهبة ،منى أبوسنة: ابن رشد اليوم "الإرهاب وتدریس الفلسفة" دار قباء، القاهرة، 2000، ص 24

أيضا في العقلية الغربية الرهبة والتخوف من حملاته الفكرية وهذا يؤدي في الأخير لرفضه سواء كدين أو مجتمع إسلامي له خلفيته الثقافية الخاصة به.⁽¹⁾

كما ورد تعريفها حسب مركز التقدم الأمريكي في تقريره السنوي لعام 2011 حول "شركة الخوف: جذور شبكة الإسلاموفوبيا في أمريكا" وهكذا ورد نصه: ((إن الإسلاموفوبيا هي خوف وكرهية أو عداا مبالغ فيه ضد الإسلام والمسلمين ، وتقوم على صورة نمطية سلبية وتؤدي إلى التحيز ضد المسلمين والتميز عليهم وتهميشهم وإقصائهم من الحياة الأمريكية الاجتماعية والسياسية العامة))⁽²⁾.

ب/ الإسلاموفوبيا هاجس المركزية الغربية :

إن الخوف من الإسلام لدى الغرب كان بسبب تصوير عدة دوائر غربية أن الإسلام هو المارد الجديد القادم من عمق البداوة والصحراء ليدهم المجد الحضاري الغربي وتعزز هذا الطرح مع الصعود السياسي لحركات الأصولية الإسلامية في أواخر السبعينات وبدايات الثمانينات والعنف الذي أنتجته بإيعاز وتكوين من المخابر الغرب الاستعماري الطامح لتشويه صورة الإسلام و السيطرة عليه ، فبدأ المخيال الغربي يتعاطى مع مشروع رهاب من الإسلام ما جعل مصطلح الإسلاموفوبيا أمرا واقعا في علاقة بين الغرب والإسلام.⁽³⁾

رغم ذلك كله إلا أن الملاحظ أن ظاهرة الإسلاموفوبيا ماهي إلا مجرد استشراف ما بعد حدائي في نظم العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي ومسايرة طبيعية لتطور الحياة بداية من الألفية الميلادية الثالثة ، فما قدمه الاستشراف كان بأسلوب مدرسي بسيط على عكس نزعة الرهاب من الإسلام التي شملت الجغرافيا الإسلامية بكل ما فيها مع تعقيد

(1) - فائز اللهيبي: إشكالية الخوف من الإسلام بين الرؤية والواقع الإسلامي ، دار النهج للدراسات والنشر والتوزيع ، حلب، ط1، 2009، ص7

(2) - علاء بيومي : شبكة الإسلاموفوبيا في أمريكا ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2012، ص03

(3) - إبراهيم نافع : جنون الخطر الأخضر وحملة تشويه الإسلام ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 2004، ص 50

في الطرح ووصف بالإرهاب خاصة بعد هجمات 11 من سبتمبر 2001م ، لتعود بذلك ثنائية الإسلام والغرب للواجهة بعد سنوات من التراجع في ظل الحربين العالميتين الأولى والثانية و الحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة .

كما أن ظهور إشكالية الإسلاموفوبيا بدأت بنحو متقطع في سبعينات القرن الماضي وأصبح هذا المصطلح أكثر شيوعا عقب تقرير عام 1997م " الإسلاموفوبيا: تحد لنا جميعا " الصادر من قبل المنظمة غير الحكومية للعلاقات العرقية البريطانية حيث عمد هذا التقرير إلى الإشارة إلى تزايد التحيز ضد المسلمين بسرعة كبيرة ووجب على إثرها إيجاد مصطلح يحدد هذه الوضعية المستجدة ، لتكون بعد ذلك هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001م لحظة محورية في تموقع هذا المصطلح كظاهرة في العالم الغربي، ألا أنه هنالك من يرى أن هذه الظاهرة لم تكون مستحدثة بل لها جذور تاريخية مرتبطة بمعاداة السامية و كراهية الأجانب وهذا ما يثبته تقرير "رونيميد" لعام 1997م إلى وجود مسلك متواصل من الحروب الصليبية في المرحلة القروسطية مرورا بالإمبراطورية العثمانية و الاستعمار الأوروبي لنصل ختاماً إلى ظاهرة رهاب من الإسلام في التسعينيات (1) ، وهو ما يؤكد نظرية المواجهة بين الغرب والإسلام الممتدة على مر التاريخ والتي تعكسها نظرية صراع الحضارات التي دعا لها "هنتغتون" مع الحضارة الإسلامية ومواصلة المشاعر المعادية للمسلمين منذ القرون الوسطى.

فكل هذه التحولات ما هي إلى خدمة لخطاب الغربي المؤدلج الذي يعتبر عماده تمجيد الذات مقابل تصغير الآخر ولو برسم صورة مشوهة عنه كما يحدث مع ظاهرة الخوف من الإسلام ، فلو ذهبنا إلى تشخيص أكثر دقة لرهبة من الإسلام لوجدنا العامل التاريخي مبني على العداء بين الغرب والإسلام منذ زمن الكشوفات الجغرافية والحروب

(1) - إديس دوداريجا، حليم راني: الإسلاموفوبيا، تر: بدر الدين مصطفى ، مجلة مؤمنون بلا حدود ، قسم الدراسات الدينية

الصليبية وهو ما اسفر عنه سعي دائم لاستعمار الدول الإسلامية ونهب مقدراتها كأحد مولدات هذه الظاهرة في ظل جهل الشارع الغربي بحقيقة الإسلام مع حملة واسعة من الإعلام الصهيوي-أمريكي لتشويه الإسلام خدمة للأجندات البرغماتية للدول الغربية ،ضف إلى ذلك جهود المستشرقين الناقدین للحضارة الإسلامية تاريخاً وثقافة مع محاولات المتعددة لمغالطة الرأي العام الدولي بخلط بين الدين الإسلامي و واقع المسلمين الذي يشهد حالة من التخلف الصارخ ثقافياً واجتماعياً ، هذا الأخير كان حجة لدى المنظمات أو المفكرين الغربيين لربط الإسلام بالتخلف والرجعية بسبب ما خلفه على مجتمعاته من تراجع وضعف في المجال العلمي والحضاري ، فهذه الصورة القاتمة أسهم فيها بعض أبناء المسلمين في خلق الخوف المرضي من الإسلام عن طريق الجماعات الإرهابية مع سلوكيات متخلفة لبعض المسلمين في العالم الإسلامي أو العالم الغربي ما عكس نظرة دونية عن الشخصية الإسلامية في المجتمعات الغربية أساسها الرهاب والاحتقار.⁽¹⁾

وفي ذات الموضوع نجد الغرب عاملاً أساسياً في تعزيز صورة الخوف من الإسلام من خلال تشكيل ودعم وتدريب الجماعات الإسلامية المتطرفة ،التي دوماً ما تقوم بعمليات همجية باسم الإسلام في العالم وهي حقيقة حال لا تمت بعلاقة للإسلام إنما هي صنعة استخباراتية غربية خالصة لتشويه صورة المسلمين ، وما يؤكد هذا قيام ذات حركات بهجمات دامية في العمق الأوروبي في فرنسا وبريطانيا وبلجيكا لنقل الرعب إلى العمق الغربي ودعم فكرة الخوف من الإسلام في المجتمعات الغربية بعد هذه التفجيرات وتوجيه الاتهام دوماً للإسلام كحاضنة للإرهاب عن طريق وسائل الإعلام المختلفة و هو في حقيقة الحال صناعة غربية وهذا ما نتج عنه تعزيز روح الكراهية ومهاجمة العقائد الإسلامية باسم حرية التعبير ومثال ذلك ما نشرته صحيفة "يولاندر بوسطن" الدنماركية عام 2005م من

(1) - نبيل السمالوطي : العداة للإسلام قديماً وحديثاً "الإسلاموفوبيا"، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، عدد

صورة مسيئة للنبي عليه الصلاة والسلام تضم 12 صورة هزلية يعلق بعدها رئيس التحرير بوجوب فضح هذا النبي ومتعجبا من القداسة التي يحيطه بها المسلمين ، كل هذه التحولات جعلت الغرب يخلق المبررات لبعض الساسة والمفكرين العرب والمسلمين للإيمان بالعلمانية وترويج لها وعزل الدين عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية بناءً على ما حدث في النهضة الأوروبية ، حيث تحررت أوروبا من براثن الجهل والتخلف بعزل الدين واحتضان العلم والفلسفة والحرية إلا أن الفرق كبير بين العصور القروسطية و مرحلة الرسول عليه الصلاة والسلام وتاريخا و حضارة.⁽¹⁾

لكن لا بد أن نقف كذلك على أن خطاب الغربي في هذه الظاهرة لم يكن بأسباب دينية او اجتماعية وسياسية وإعلامية فقط بل كان المنظور الفلسفي في الرهاب من الإسلام حاضرا ، حيث لعب الاستشراق دور مهما في رسم صورة خاطئة عن التراث الإسلامي في مؤلفاتهم و عبر منابرهم في العالم الغربي من خلال رسم صورة سلبية عن المجتمع الإسلامي بانه لا يحمل لا ثقافة ولا حضارة وهم من وراء ذلك يهدفون لتحطيم الإسلام حيث حاولوا تفسير القرآن كونه أقوى سلاح لدى المسلمين بشروحات تحمل مغالطات فضيحة لضرب البديهيات عند الفرد المسلم والوصول إلى تفريق الوحدة الإسلامية وذلك كله نابع لمعرفتهم بأن هذا هو الدين الكامل الذي بقي في توسع دائم ومتواصل ، إذ لا بد من الحد منه باختراقه وتشويهه لما يمثله من خطرا محقق بالمصالح الغربية ، ولعل بروز مشروع نهاية التاريخ مع "فرنسيس فوكوياما" بفكرتي نهاية التاريخ وخاتم البشر عن طريق تمجيد الغرب ممثلا بالولايات المتحدة كونها راعية نهاية التطور التكنولوجي للإنسان والحضارة واعتباره الإسلام هو العدو الأول للنظام الليبرالي مستدلا بالهجمات الإرهابية المختلفة من بعض شباب المسلمين المغرر بهم ، فهم في رأيه نتاج مجتمع إسلامي منغلِق لا يؤمن بالتححرر والديمقراطية لذلك لا يمكن للقيم الغربية أن تتعايش مع المسلمين باعتبارهم خطر حقيقي

(1) - نبيل السمالوطي : العداة للإسلام قديما وحديثا "الإسلاموفوبيا" ، المرجع السابق، ص 21-24

ودائم وجب خوف منهم وسعي لتدجين عقائدهم العرقية والقومية. وعلى ذلك توالت المشاريع التي تعزز الخوف من الإسلام وهذا ما اتضح مع فلسفة صراع الحضارات مع "هنتنغتون" الذي يرى جوهر العلاقة بين الغرب والإسلام هو صراع العميق مقارنة بين الليبرالية والاشتراكية ، حيث حملت فلسفته نظرة معادية للإسلام وسعي لفرض الهيمنة الغربية على العالم في ظل التهديد الشرقي متمثلاً في الحضارتين الإسلامية والصينية ، حيث سيواصل الغرب مواجهة التمدد الإسلامي تحت شعار مصالح المجتمع الدولي لما خلفه في الشرق الأوسط من دموية وعنف ما جعل حشود من المسلمين تهجر نحو التحضر الغربي ، فكل هذه الخلفيات والرؤى ولدت ظاهرة الإسلاموفوبيا فلسفياً وأسهمت في الرهاب الغربي من الإسلام.⁽¹⁾

كما كان لتمدد المسلمين في المجتمعات الغربية وبروز الاختلاف الثقافي والديني بين الغرب والإسلام محورا مساهما بما لا يدعى مجال لشك في نشر الريبة والخوف لدى الغربي من المهاجرين والثقافات الوافدة معهم ، خاصة مع تراجع سطوة الكنسية لصالح العلمانية في المجتمعات الأوروبية ما جعلهم أكثر اقبالا على الدخول للإسلام ما جعل دوائر الحكم والسياسة الغربية تدق ناقوس الخطر لسعي لتحجيم دور الإسلام بأي طريقة كانت ، فكانت نشر ظاهرة الخوف من الإسلام عن طريق الإعلام وبعض النماذج الإسلامية السلبية متمثلة في الحركات التكفيرية والإرهابية والتفجيرات التي رافقتها في العالم الإسلامي والغربي لتعزيز منطق الرفض لكا ما هو إسلامي ، ولعل أبرز عامل جلب الملاحظ الأوروبي لرهاب من الإسلام الصحة الإسلامية التي بدأت تعم العالم العربي والإسلامي بدايات من الثمانينات وعودة الحركات الإسلامية إلى الواجهة و تجهزها للحكم ما دفع الغرب للعمل دؤوب لكسر هذا التمدد الداخلي لتيارات الإسلامية و التمدد الخارجي مع المهاجرين

(1) - الدراجي زروخي: خرافة الإسلاموفوبيا ، منشورات مخبر الدراسات الأنثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية ، جامعة المسيلة، ط1، مارس 2021، ص31-40.

بإحاطة الحضارة الإسلامية بفزاعة الإسلاموفوبيا في ظل هالة إعلامية مشوهة لكل ما يمت للدين الإسلامي بصلة معتمدين على كل الوسائل والطرق لكبح جماح المارد الأخضر الذي سيمثل البديل الإيديولوجي فيما بعد لسقوط المارد الأحمر الاتحاد السوفياتي.

ومن جانب آخر فإن تواصل الخطاب المركزي الغربي في العالم عبر مشروع الخوف المرضي من الإسلام هو مجرد خدمة لغايات الذات الغربية المنزعجة تاريخيا من أمجاد الحضارة الحضارية الإسلامية ، فالكل يعلم أن بواكير الكراهية للمسلمين بدأت من عصور الظلام الأوروبي بخلفيات دينية وثقافية خالصة بعيدا عن الهواجس النفسية التي يحاول الغرب التبرير لها ولكن الواقع يؤكد أن الوعي الغربي يسعى لتسويد صورة الإسلام بكل ما هو متاح حيث أثبت بعض الدراسات ن هنالك حوالي عشرة آلاف موقع مخصص للإساءة للمسلمين من وسم بالإرهاب وطعن في القرآن والسنة النبوية والصحابة رضوان الله عليهم إلى درجة تصوير بعض الآيات الكريمة بصور حيوانية قبيحة وجعل الإسلام دينا للعنصرية والتمييز ضد مخالفيه من اتباع الديانات الأخرى مع هضمه لحقوق المرأة واستعبادها، وفي الوقت ذاته تمثل هذه التحركات تعريفا لهاجس أوروبا في نشر الكراهية ضد الآخر وصناعة الرهاب من لمسلمين في المخيلة الغربية بهدف التصدي حسب زعمهم لمشروع أسلمة أوروبا خاصة مع النمو الديمغرافي الكبير للمسلمين بثلاثة أضعاف على غيرهم ما سينتج عند بعد سنوات اكتساح الإسلام للمجتمعات الأوروبية على حساب أصالة أوروبا الغربية، فاصبح هذا الخطاب يمرر عبر كل البلاطوهات والجرائد والمجالات الفنية والأدبية خوفا من هذا الزاحف الجديد الذي يثير الهلع في العقل الأوروبي ما يدعو لتوحيد الغرب ضد هذا المارد بكل أساليب (1).

(1) -عباس مخلوف، عبد السلام بوزيرة: تجليات خطاب الكراهية "ظاهرة الإسلاموفوبيا نموذجا"، سلسلة أعمال المؤتمر الدولي قضايا وإشكاليات فلسفية ، دار قاضي للنشر والترجمة ، ورقة ، 2021، ص478-479

وفي ذات الصدد سعى الغرب إلى فرض شعور العقدة بالذنب لدى المسلمين بعد حدوث كل عمل إرهابي من خلال اغتنامه لتشويه صورة الإسلام في الفكر الغربي وإسقاط مثاليته وحصره في كونه عقيدة تسعى لغزو الفضاء الأوروبي على عكس تعاملهم مع اليهود الذي يقدمونهم دوماً في دور الضحية الأبدية بعد ربطهم بمزاعم محرقة الهولوكوست والتدمير لعدم نصرتهم آنذاك بل سنوا مختلف القوانين لمضادة أي سلوك يعادي اليهود أو السامية ، فهذه الازدواجية في الطرح أدت ببعض المسلمين لتتصل من الإسلام عبر الخطابات والتنازلات عن القيم العقائدية والمبادئ الاجتماعية والثقافية لتكفير عن هذه العقدة التي تلاحقهم ، هذه التنازلات فتحت شهية الغرب لإيجاد مشروع أوربة الإسلام والمسلمين وذلك بسعي لوضع الإسلام تحت وصاية الثقافة الغربية في شكل إسلام أوروبي جديد مفرغ من محتواه الحقيقي وتصديره للعالم كنموذج للإسلام المعتدل برويتهم ليتولد عن ذلك مسلمون بالديانة وغربيون بالثقافة وهذا ما يساهم في التغلغل القيم الغربية التي أساسها العلمانية والإباحية في استباحة شاملة للقيم الإسلام وتحطيم لخصوصية المجتمعات الإسلامية من أجل تقوية خطاب التمركز الغربي.(1)

في وقت ذاته ذهبت هذه العلاقة المتوترة بين الغرب والإسلام إلا ربط الإرهاب بالإسلام الذي يعتبر في حد ذاته خطراً محدقاً بقدر ما يحمله من خلفيات فكرية وعقائدية ينجم عنها توليد دوري لمعاني التطرف والهمجية ، هذا ما جعل الأوروبيين يرون المسلمين في بلدانهم في شكل غزاة أو كائنات دخيلة عن الثقافة الغربية يجب محاصرتها بكل الطرق التي كان من بينها مصطلح الإسلاموفوبيا الذي عكس حالة من التعصب والتحيز ضد الإسلام والمسلمين تطورت فيما إلى رهاب نفسي في الذهنية الغربية في شكل فوبيا ضد أي

(1) - عباس مخلوف، عبد السلام بوزيرة: تجليات خطاب الكراهية "ظاهرة الإسلاموفوبيا نموذجاً"، المرجع السابق، ص480

مظهر إسلامي في ظل تأثير الدعاية الإعلامية الموجهة لتعزيز التضاد الحضاري بين الغرب والإسلام (1)

لقد تجلّى التحيز الغربي حول ذاته وثقافته في خطابه المؤدلج اتجاه الآخر الإسلامي منذ بدايات النزعة الاستشراقية حيث عمل ضمنه على استحضار الذات الغربية وإقصاء الآخر الشرقي والإسلامي في دراساته ليؤكد فوقية الفكر الغربي ، ولم يلبث كثيرا في إطار تجديد استراتيجياته العدائية وتعصير مشاريعه عبر استحدث ظاهرة الإسلاموفوبيا لينتقل بذلك من الأسلوب المدرسي والثقافي إلى المنهج النفسي والإعلامي في إثارة الغربي ونقل صورة معادية له عن كل مظهر إسلامي عن طريق التشويه و الترهيب من المد الإسلامي في المخيال الغربي لتحقيق غاية موحدة تتجلى في أن الغرب هو صانع التاريخ وقائد الإنسانية و لا يعكس المارد الإسلامي ممثلا عن الشرق إلا مجرد حضارة هامشية صدرت عن ترسبات التخلف والرجعية وها هي اليوم تنتج الإرهاب والتطرف في ربوع العالم .

المبحث الثاني : الفكر الغربي ما بين توطين العلمانية والعولمة

لقد كانت بواكير عصر النهضة في الفكر الغربي عاملا محوريا في تنظيم العلاقة مع الآخر ، فتحول بذلك الأوروبي المنغلق في دركات عصر الظلام إلى ذلك الإنسان المنفتح نحو العلوم والتقدم نتيجة الترسبات التاريخية والتحويلات المعرفية التي حدثت في الفضاء الأوروبي ،حيث عمل في الحقبة الحديثة على توطين العلمانية نكاية في التراث الكنسي الموسوم بالرجعية والظلامية وتصدير مغامر فصل الدين عن الحياة فيما بعد للآخر كوسيلة من وسائل التحضر ، لتكون هذه الإفرازات المتتالية في العقل الأوروبي في المرحلة المعاصرة عبارة عن عولمة لأفكاره وثقافته مع الآخرين خدمة لمشروعه المركزي وفرض

(1) - عبد السلام بوزيرة: الإسلاموفوبيا وحوار الحضارات " مفارقة الضرورة والإمتناع " ،مجلة الإناسة وعلوم المجتمع ، العدد01، جويلية 2017، ص06.

نظرته الفوقية على العالم الهامشي ككل ، كما ساهم هذا الانتقال الوظيفي من العلمنة إلى العولمة في تثبيت وشائج الطموح الغربي في كونه صانع التاريخ والحضارة .

المطلب الأول : توطين العلمانية

تعتبر العلمانية أحد الأدوات التي عمل الفكر الغربي على محاربة الحضارات الأخرى بها من خلال فصل المجتمعات عن دينها بحجة نشر العلم والتحضر، إذ اعتبرت الحضارة الغربية بقاء أي مجتمع متمسكا بأصوله العقديّة أو خلفياته الدينية الموروثة إصرارا على بقاءه في التخلف وهذه الفكرة التي جعلت العالم الغربي يسعى لفصل الدين عن الممارسات الواقعية لتحريره من تلك المخلفات الميتافيزيقية التي جعلته أسيرا لها و لا يستطيع أن يساير مقتضيات العلم والتمدن المنشود.

أ/ تعريف العلمانية:

(1) لغة:

- ورد مصطلح العلمانية في المعجم الوسيط بأنها مأخوذة من كلمة العلماني "بفتح العين" بدلالة أقرب إلى العلم و بمعنى العالم بناءً على أن العلم هو من حرر الإنسان من سلطة الكنسية وغير نظرة الإنسان من النزعة الدينية الى الدنيوية المنفتحة على العالم، فهي تفارق الديني والكهنوتي.⁽¹⁾

- وفي ذات الإطار اللغوي تطورت الكلمة الفرنسية (لاييك - **laïque**) التي صارت تعني جمهور المؤمنين المشكلين لطبقة متميزة في اللغة الانجليزية ، أما لفظة "**laïcisme**" فيقصد بها ذلك النظام السياسي الذي يقصي الكهنوتية عن الدولة ، أما فعل "**laïcise**"

(1) - شوقي ضيف: المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط4 ، 2004 ، ص624.

فيعني نزع صفة الكهنوتية عن القانون والتعليم ، فيما تدل كلمة "laïcisation" على نقل وظائف رجال الدين إلى رجال الميدان بمنظومة دنيوية لا علاقة لها بالدين .⁽¹⁾

- وهذه العلمانية التي تعني إبعاد الكنيسة عن الدولة، ضُبِطَتْ بالفتح "العلمانية"، وضُبِطَتْ بالكسر "العلمانية"، وبين الكلمتين - باعتبار حركتهما - فزقٌ كبير، وبون شاسع، فهي توجد في المعجم العربي بترجمات مختلفة: العلمانية - بكسر العين - نسبة إلى العلم أما العلمانية - بفتح العين - نسبة إلى العلم بمعنى العالم وعليه فالعلمانية بمعناها العام هي فصل الدين عن الدولة، نجدها قد استهلكت استهلاكاً واسعاً من طرف المختصين، فهي عندهم لا تعني أكثر من هذا، أو بمعنى آخر: ضيقوا دائرتها؛ لتقتصر فقط على النظرية القائمة بإبعاد المقدس الديني عن الممارسات السياسية، غير أن "عبدالوهاب المسيري" أعطى تفسيراً آخر للظاهرة، وقسمها إلى قسمين، حصر في القسم الأول التعريف المتداول على ألسنة أكثر الباحثين، ووسّع القسم الثاني ليشمل القيم الإنسانية، والأخلاق، والطبيعة، فقال: "ويوجد في تصوّرنا علمانيّتان، لا علمانيّة واحدة، الأولى جزئيّة، ونعني بها: العلمانية باعتبارها فصل الدين عن الدولة، والثانية شاملة، ولا تعني فصل الدين عن الدولة وحسب، وإنما فصل كلّ القيم الإنسانية والأخلاقية والدينيّة، لا عن الدولة وحسب، وإنما عن الطبيعة وعن حياة الإنسان في جانبيها العام والخاص، بحيث تنزع القداسة عن العالم، ويتحوّل إلى مادة استعمالية يُمكن توظيفها لصالح الأقوى".⁽²⁾

- وفي معجم آخر عرفت العلمانية بأنّها لفظة صادرة من كلمة علمن ، يعلمن ، علمنة ،فهو معلمن والمفعول معلمن ، فالمقصود من علمن الدولة أو نظام الحكم أي جعله غير ديني لا يهتم إلا بشؤون الدنيا ،فتعلمن :يتعلمن تعلمنا، فهو متعلمن ، فالمعنى من تعلمن الشخص أي صار مائلاً بكله لملاذات الدنيا فقط ، أمّا لفظة علماني: فهي اسم منسوب إلى علم

(1) - عبد الوهاب المسيري: العلمانية رؤية معرفية ، مجلة الغدير، مجلد4 ، العدد 26/25، 1994، ص66

(2) - عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والشاملة ، ج1، دار الشروق، القاهرة ، ط1، 2002، ص16، 61.

بمعنى عالم غير ديني يعتقد بفصل الدين عن الدولة وبالتالي تحقق ظاهرة العلمانية بفتح العين كمذهب يخرج كل الاعتبارات الدينية من جملة العلاقات المدنية فنصير بذلك إلى دولة علمانية. (1)

(2) اصطلاحا:

تعدد التعاريف الاصطلاحية لمعنى العلمانية وتختلف حسب السياقات المطروحة ضمنها لهذا نجدتها تتقاطع في المعاني وتختلف في الجزئيات إلى أن وقفنا على معنى العلمانية جعلنا نصل لكون أصولها واردة من اللغة الفرنسية كمصطلح بيداغوجي يعكس النزعة اللاتينية التي شاعت في الفضاء الأوروبي في الفترة الممتدة ما بين 1882-1887م تحت إشراف "فريدنيا"، خاصة مع مباشرة العملية الإصلاحية للتعليم التي قادها الجمهوريون بتغيير المدرسة الدينية السكولائية إلى سلطة الدولة المدنية في أواخر القرن التاسع عشر إلى غاية القرن العشرين ليتم إعلان هذه النزعة بشكل رسمي في عام 1905م.

- كما عرفها المفكر "عبد الوهاب المسيري" أنها انتقال من الإنساني إلى الطبيعي /المادي، أي نقل التمركز حول الإنسان إلى التمركز حول الطبيعة إلى درجة إذعان الكلي لكل قوانينها وحتمياتها، وهذا ما جعله يقسم العلمانية إلى قسمين أولهما العلمانية الجزئية متمثلة في فصل الدين عن الدولة، وثانيها العلمانية الشاملة وهي رؤية شاملة لكل الكون بكل مستوياته ومجالاته تمهيدا لإلغاء كل جوانب الحياة الخاصة والعامة بهدف نزع القداسة عن العالم. (2)

- وهناك من رأى أن العلمانية تتجلى في رفض كل شخص لتشكّل معاملاته السياسية بناءً على مصادر أخرى لا يكون فيها القرار فاصلا لإراداته الحرة، أمّا من الجانب العام فهي

(1) - أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 2008، ص1545

(2) - عبد الوهاب المسيري: العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير سوزان حرفي، حوارات، ط1، 2013، ص98.

مذهب يرى بإقصاء المؤسسات الدينية عن تأثير في أي ممارسة في المجالات الحياة المختلفة سواء التعليم أو التشريعات أو الإدارة وبالخصوص شؤون الحكم و السياسة.(1)

- مصطلح العلمانية هي ترجمة غير دقيقة لكلمة "sècularisme" بالإنجليزية أمّا بالفرنسية فمعناه "science" بمعنى العلم ، كما ورد تعريف لفظها "sècularisme" في دائرة المعارف البريطانية بأنها حركة اجتماعية تهدف على أبعاد النظر الإنساني عن كل ما هو غيبي والاهتمام بالملذات الدنيوية ، فمن المعلوم أنّ الغربي في العصور الوسطى كان ميالا لعزوف عن الدنيا والتأمل في الذات الإلهية و اليوم الآخر ، لتأتي هذه النزعة كمقاومة صريحة لهذا التوجه من خلال تنمية النزعة الإنسانية التي تمثل أبعادا للطبيعة والإنسان عن الأمور الغيبية.(2)

- وقدم "تشارلز تايلور" العلمانية بأنها مفهوم يسوده الغموض والتعقيد في العالم الغربي في ظل ثنائية الديني والعلماني التي مثلت انفصالا صارما بين النزعة الدينية المتعالية و المسار العلماني الواقعي ، هذا ما يجعل العلماني يمتلك تلك المؤسسات التي لا غنى عنها إذا ما أردنا العيش في هذا العالم بينما لا يمثل الديني - الكنسي إلا مجرد لواحق اختيارية للبشر من شأنها أن تشوش على النظام العام الذي يحكم الحياة .(3)

- في حين يرى "محمد أركون" أنّ العلمانية طرح يتعلق أساسا بإرادة المعرفة والفهم ، فهي بذلك نضال من أجل تحرير هذه الإرادة من كل عائق. فالعلمنة ينبغي أن تكون أساسا

(1) - محمد كامل ظاهر: الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي المعاصر ،دار البيروني للطباعة والنشر ،

ط1 ،1994، ص113

(2) - عدنان صمد زرزور: جذور الفكر القومي والعلماني ، المكتب الاسلامي ،بيروت ، ط3 ، 1999، ص 130

(3) - تشارلز تايلور: العلمانية الغربية ، تر: طارق عثمان ، مركز نماء للبحوث والدراسات ، أوراق نماء 120، ص 08

للحرية الفكرية ومجال خصب لانتشار هذه الحرية التي تجابه كل تمركزات السلطة الدينية (1).

ب/ العلمانية واجهة فكرية لإثبات الذات الغربية :

لقد كانت بواكير العصر النهضة معلما مفارقا في الفكر الغربي الحديث وذلك من خلال بروز عدة تحولات فكرية في القارة الأوروبية أهمها نظرتة الناقمة على المؤسسات الدينية التي استبدت بالحكم في القرون الوسطى فأقصت العلم و نكلت بالعلماء وضيقت على مختلف الحريات ونهبت الثروات باسم الرب والقداسة ، ليأتي عصر النهضة كثورة عملية وفكرية على المد الثيوقراطي الذي حكم الغرب بالحديد والنار وجعله يعاني لقرون في ظلمات الجهل والتخلف بعد زهوته الحضارية في العهد الروماني واليوناني ليكون هذا التحول مسارا جديد في الفكر الغربي نحو إعادة ذاته الحضارية مقابل الآخر بالأخذ بسبل العلم والمعرفة مرتكزين على الزاد المعرفي الغزير عند المسلمين أنذلك و ليتحول هذا الانقلاب المعرفي إلى إقصاء كلي للكنسية من الحياة العلمية والعامه وشق الغربي طريقه التي تستند على ذاته ومجده الإغريقي في بناء معالم حضارته الناشئة .

ومن بين أبرز هذه التحولات مشروع علمنة الدولة والمجتمع الغربي، بالفصل الشامل بين مؤسسات الدولة ومجامع الكنسية ودسترة هذا التحول في كل المنظومات القانونية الأوروبية وبداية الأمر كانت من البرلمان الفرنسي عام 1905م الذي شرع قانون يضمن حرية المعتقد للجميع وإجازة الإلحاد لمن يريده وهو محمي بسلطة القانون والدولة ، فبعد أن دسترت الغرب العلمانية و بدأ تعميمها في كل المجالات الحياة العامة والخاصة ورفض كل المتعلقات الروحية السابقة لصالح الفكر الإنساني الحر و العقل المبدع ، ما ساهم في تغييب

(1) - محمد أركون: الفكر الاسلامي قراءة علمية، تر: هشام صالح، مركز الانماء القومي ، ط2، 1996، ص183

كل دلالات الدين في الفنون والثقافات الغربية فيما بعد ،فكل هذه المتغيرات جعلت فصل الدين عن الدولة والحياة أحد ركائز الأساسية للذات الغربية في العصر الحديث.⁽¹⁾

إذ أنّ وقفنا على التأسيس الفلسفي الصلب لميلاد العلمانية في الفكر الغربي يقف عند ثلاثة رواد كبار هم "توما الأكويني" و"نيكولا ميكافيلي" و "باروخ سبينوزا" ، فهؤلاء الثلاثة نقلوا الفكر العلماني من التصورات إلى الواقع فأصبحت العلمانية ممارسة حياة ،حيث قام " الأكويني" بعمل فلسفي بسيط مؤسس على الفصل بين السلطتين الدينية والسياسية في تسيير شؤون العامة من خلال جعل الله هو سبب الأول الذي ينفصل عن الأسباب الثانوية التي تعكس القوانين المدنية والاجتماعية ضمن سياق السلطة الزمنية في تسيير أمور الناس ، فهذه الفكرة تولدت عنها فما بعد ما ذهب إليه "ميكافيلي" بنزع القداسة عن السياسة بفصلها عن العوامل الأخلاقية والنزعات الدينية في إدارة شؤون الدولة و العمل السياسية وهذا ما ورد في كتابه المشهور "الأمير" ليكون نهاية الأمر مع الفيلسوف "باروخ سبينوزا" الذي أقر فصل مهام الدين عن السياسة للوصول إلى حقيقة الحداثة السياسية التي لا يمكن أن تتجسد إلا بإبعاد معضلة ما قبل العصر الحديث وهي تداخل الدين والسياسة في الحكم هذا ما أكده في مؤلفه المعروف عام 1670م "رسالة في اللاهوت والسياسة" ، فهؤلاء الثلاثة شقوا طريق الفلسفة العلمانية في الفكر الغربي بامتياز من فكرة فصل السلطتين الدينية والسياسية إلى إلغاء القداسة عن الممارسة السياسية وأخيرا إلى الفصل النهائي للدين عن مؤسسات الدولة تحت شعار الدين لله والوطن للجميع .

ولكن هذه المشاريع لم تكن وليدة الصدفة في الفكر الغربي بل كانت نتيجة عوامل أساسية ساهمت في تحقيق هذا الانتقال المعرفي في الفهم الأوروبي أهمها النزعة الإنسانية التي تمحورت حول جعل الإنسان محور عملية الحياة فكرا وممارسة ،فلقد كان الإنسانون

(1) - جوزيف مغيزل:العروبة والعلمانية ، دار النهار ، بيروت ،د.ط، 1980،ص 21

متمردين على حكم الكنسية في العصور الوسطى نظرا لسعيهم دؤوب لنقل الفكر الإنساني من الله إلى الإنسان معتمدين على تراثهم الإغريقي الزاخر بالحرية و الفكر، لتتعرز هذه النزعة مع حركة الإصلاح الديني خاصة في المانيا التي انتقضت على ارتباط الدين بالسياسة واستبداله بمشاعر القومية والفكر التحرري عوض هيمنة رجال الدين على شؤون الحياة والتخلي عن الحروب الطائفية و سير نحو التسامح الديني في ظل الوحدة القومية التي تحد من نفوذ رجال الدين في الحكم وتفصلهم عن الحكم السياسي في إشارة فعلية إلى مضمون العلمانية وهذا ما عززه فيلسوف التسامح الديني "جون لوك" الذي دعم فكرة حد من سلطان الكنسية إذا عرقلت الغايات الوطنية الاجتماعية العامة أو لوحظ تهديد رجال الدين للمصلحة القومية اعتبارا على أنَّ مهمة الدولة الأساسية تكمن في تحقيق سلامة المجتمع بعيدا عن فرض العقائد الدينية. (1)

ولم تتوقف عوامل ظهور العلمانية على موجة الإصلاح الديني ونزعة الأنسة بل ساهم في ذلك الطغيان الكنسي ،حيث عمد رجال الدين إلى الاستبداد والظلم وحشدت الجيوش لكل من يخالفهم و إقرار التصفيات الجسدية على كل من يعارضهم من العلماء والمتفقين حتى صارت تسعى لسيطرة على كل شيء وحكم المجتمعات الأوروبية بيد من حديد ،فأصبحت بذلك الكنسية تتحكم في الحياة العامة للناس وتوجيه أفكارهم بما يخدمها ويضمن نفوذها في العالم الغربي، هذا ما تولد عنه لاحقا صراع مرير بين دعوة العلم الموضوعي و عقيدة الكنسية الدينية في عموم أوروبا ،إذ كانت بدايته ذلك مع نظرية "كوبرنيك" التي أحدثت زلزلة قاسية في البديهيات المسيحية التي رات العالم وفق نظرية "بطلميوس" فقط وتعالق إنجازات "غاليليو" و "برونو" ما خلق حالة من التشكيك في مبادئ الكنسية ورجحان التجربة والمنطق العقلي على منطق المسلمات الدينية في القرن السابع عشر وتولد على ذلك عند المفكرين والعلماء أولوية اعطاء قيمة للعقل وجعله مصدر المعرفة

(1) - شبلي العيسمي: العلمانية ودولة الدينية، دار الشؤون الثقافية العامة " آفاق عربية" ، بغداد ، 1، 1986، ص21

ما خلق ارتباك شديدا لدى رجال الكنسية في ظل عودة العقل والإنسان لساحة الفكر الغربي.⁽¹⁾

وفي ذات المنحى لعبت الثورة الفرنسية دورا بالغا في القضاء على المد الديني في العالم الغربي ، وتولد عنها لأول مرة في تاريخ أوروبا دولة جمهورية لا دينية يقوم مشروعها على الحكم باسم الشعب وليس باسم الله مع ضمان حرية التدين للجميع في كنف القانون والدستور بعيدا على منهج الكتلثة ، معززين هذا التحول بتوسيع الحريات الشخصية بعيدا عن الأخلاق الكنسية المغلقة ، كما اعتبر المؤرخون أنّ عوامل بروز العلمنة في المجتمعات الغربية اتضحت مع نظرية التطور و أصل الخلق مع "تشارلز داروين" التي ساهمت في انهيار القيم الدينية وتراجع تعاليم الكنسية لدى الغربيين في ظل شيوع الإلحاد وتغلغل النزعة المادية لدى الطبقة النخبوية ، وتحولت بذلك أوروبا إلى الانسان والطبيعة معتقدين أنّ الطبيعة تخلق كل شيء حتى الإنسان و لا مكان لتدخل الله في هذا الوضع الميكانيكي بحث ، وبالتالي حق لنا القول بأنّ "داروين" هو نبي الطبيعة الجديدة في الفلسفة الغربية التي تولدت عنها فيما بعد فكرة موت الإله مع "نتشيه" وعلى هذا يظهر قوة تيار العلماني الذي ساد أوروبا بعد هذه النظرية التطورية.⁽²⁾

عظفا على ما سبق فان تيار العلمنة وجد ذاته تطبيقا في فلسفتي المدرسة الماركسية والليبيرالية رغم تناقضهما في مبادئ إلا أنّهما يجتمعان في كونهما خياران يراهنان على علمنة المجتمعات الخاضعة لسيطرتهم ، حيث يدعون إلى إقامة الدولة المدنية المبنية على منطق المؤسسات والقانون بعيدا عن أي مؤثرات دينية كانت ، إذ ترى الاشتراكية أنّ الدين هو أفيون الشعوب انطلاقا من كون الدين هو مصدر إنتاج الأوضاع الاجتماعية المضطربة

⁽²⁾ - سفر بن عبدالرحمان الحوالي: العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة ، دار الهجرة، د.ط،

ص 128،152

⁽²⁾ - المرجع نفسه: ص 169،191

بسبب كونه مجرد تطورات تاريخية متراكبة لا تخلق سوى المشاكل والأزمات أمّا المدرسة الليبرالية فهي تترك باب الحرية الدينية ولكن بشرط أن تمارس في سياق فردي رافضة أي تدخل للدين في تسيير مؤسسات الحكم و تنظيم شؤون المجتمع.(1)

رغم ذلك إلا أنّ العلمانية تمثل بالنسبة للعالم الإسلامي استكمالاً صريحاً لمشروع الغرب في فرض ذاته وقيمه على الآخر ككل والمسلمون بالخصوص ، فلقد نظر الإسلام للمد العلماني على أنه خطر حقيقي على معتقداته واتباعه في ظل حملته الواسعة على الألوهية والأخلاق والبعث وإجازة الإلحاد والإباحية في المجتمعات في ظل احتواء القيم التربوية والتعليمية ما سينتج عنه أجيال لا تعرف الدين والأخلاق ، فهذه الدعوات تولد عنها انهيارات قيمية وانبهار لدى الكثير من المسلمين بعد ما وصلت اليه الحضارة الغربية من تقدم ورقي في ظل تأخر المسلمين حضارياً وهذا ما نتج عنه فيما بعد إقصاء الإسلام من دوائر الحكم وانخداع الكثير من المسلمين بالثقافات الغربية واتجاهاتها المنحرفة تحت غطاء الإيديولوجيات السياسية من القومية إلى الوطنية أو مسارات العلمية كالفرويدية و الداروينية ما خلق حالة من الالتباس بين الموضوعية والعلمانية مع سعي الغرب المتواصل لإزاحة المعتقدات الإسلامية في أصول الحكم والسياسة لدى الأنظمة العربية والإسلامية وحصره في المساجد والمناسبات .(2)

ومع ذلك إلا هنالك من يعتقد أنّ ظاهرة العلمانية وفدت إلى العالم الإسلامي عبر الغزو الاستعماري الذي كانت بداياته في مصر مع "نابليون بونابرت" عام 1798م ، حيث تميزت هذه الغزوة على الحروب الصليبية باستهدافها للعقل وسعي لتغيير الفكر والإنسان بما يخدم الغرب ومثال على ذلك الترويج لمشروع العلمنة بكل الطرق إلا أنّه وجد الأصول

(1) - محمد ظاهر كامل : الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي المعاصر ، المرجع السابق، ص 113-

(2) - علي فركوس: العلمانية حقيقتها وخطورتها ، دار الموقع ، الجزائر، ط3، 2013 ، ص 16-18.

الإسلامية في مواجهته الراضية لاتباع الموروث الثقافي الغربي الذي يرى الذات الإلهية عن طريق التمثلات الكنسية ، على عكس ما يوجد في الإسلام الذي يرى الذات الإلهية والدين يحملان معاني اسمى تتجاوز الخلق والمخلوقات إلى الرعاية الإلهية لكل فرد الذي جعله مستخفا فيها لعمارتها ويكون ختام حياته جزائه الحسن، كما بين ديننا دور الإنسان الراقى في الحياة وأعطى مكانة مميزة للعقل وللحرية في إطار أحكام الواجب الديني بما يتماشى مع الفطرة الإنسانية مع جعل التشريعات العلمانية ليست مثارا لانتباه لدى عامة المسلمين بل مضمارا للحرب ضد كل صورها في ظل الترابط الوثيق في بناء الدولة الإسلامية على مبادئ الإسلامية المعتدلة التي تحقق وجود الإنسان و أوامر الله بعيدا عن التصورات العلمانية التي نشأت تاريخيا عن صراع متطرف في الغرب بين الكنسية و العلماء لا يصدق تطبيقه على واقع المسلمين. (1)

وفي ذات الفكرة يبرز تيار الذي انبهر بالعلمانية الغربية ربط بين التطور الغربي و الحضارة ، وان المسلمين لا يمكن أن يتطوروا ما لم يأخذوا بطرق الغرب ليصلوا إلى التحضر و من بين هذه الوسائل تحييد الدين عن السياسة ، انطلاقا من أن العقل الشرقي والأوروبي واحد فكلهما أخذ الأدب والفن من الحضارة اليونانية والسياسة من الرومان و دعوة للخير والتسامح من المسيحية والدليل على ذلك أن الإنجيل لم يغير الطابع اليوناني للعقل الأوروبي فكذلك القرآن لم يغير الطابع اليوناني للعقل الشرقي ذلك لكون أن القرآن جاء متمما لما جاء به الإنجيل ، هذا ما جعل المتغربين يرون أن الحل العلماني أسهل طرق للنهضة على شاكلة الحضارة الأوروبية وهذا ما عكس استتباعا واضحا للغرب و ولاء أعمى للمركزية الغربية حيث يقول "طه حسين" : ((لقد التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم ونسير سيرتها في الإدارة ، ونسلك طريقها في التشريع فهذا التزامنا كله أمام أوروبا

(1) - محمد عمارة : العلمانية بين الغرب والاسلام ، دار الدعوة للنشر والتوزيع ، الكويت، ط1 ، 1996، ص 17

...إلتزاما صريحا قاطعا أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع ((⁽¹⁾.

لكن هذه الدعوة ناقضها الأصوليين لكونها نقيضا لتعاليم الإسلام التي لا تتلاءم مع الطبيعة المسيحية التي تحمل في طياتها ما يؤيد العلمانية بفصل بين السلطة الزمنية والروحية ، وبالتالي لا يحق لنا جلب هذه النموذج السياسي الخاص بالغرب ومطابقته على التجربة الإسلامية ذات الطبيعة الخاصة والمحددة ، فالتيار المحافظ لا ينظر فقط إلى العلمنة كقضية مخالفة لمقاصد الإسلام بل تعاكسه كليا فكرا ومسارا فهي مثال على سعي لمحاربة الإسلام وتحييده من المجتمعات العربية والإسلامية بكل الوسائل والطرق لإنفاذ المشروع الغربي المنشود .⁽²⁾

فهناك مفكرون يرون أنّ طرح إشكالية العلمانية في الدول الإسلامية تزييف غربي مفتعل لا يوجد له وجه مقارنة مع الإسلام ، فالدين الإسلامي لا يحتاج لزوائد الحضارة الغربية التي لا علاقة لها بأسباب عدم تطورها لأنّ سبب تخلفنا هو ربط الإسلام بالشكليات وشعائر والطقوس وخلو تاريخية ديننا من صدام الثنائيات الكنسية والدولة ، الدين والعقل ، الإيمان والعلم مع إغفال المحتوى السامي للإسلام المليء بالقيم العقلية والحضارية و الحريات ، فاعتقاد عدد من المسلمين بالعلمانية الغربية لا يعكس إلاّ مجرد عيب تحمله ذواتهم الناقصة و لا يقدم أيّ مبررات في تقليد الرواسب الحضارية لغيرنا مهما تعددت المضامين والحجج.⁽³⁾

(1) - ميلاس محمد زين: العلمانية والاسلام - دراسة مقارنة -، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، مجلد 05 ، العدد 01، 2020، ص 868

(2) - يوسف القرضاوي: الاسلام والعلمانية ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 1995، ص 47

(3) - عابد الجابري ، حسن حنفي : حوار الشرق والغرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1، 1990، ص 38

وعلى خلاف ذلك نرى خطاب العلمانية في المجتمع الغربي شهد حالة من التمايز مقارنة بغيره من المجتمعات الحضارية ، إذ توضح على أنّ ميله نحو الدعوة العلمانية لم يكن مجرد تأملات فلسفية بل هو تاريخ اجتماعي امتد مع نتائج الصراعات العنيفة في العصور الوسطى إلى غاية التحولات الكبرى في العصر الحديث ، وبهذا بلغت امتدادات العلمنة جميع المجالات في ظل التطور المتزامن في الفكر والمجتمع الاوروبي وهذا ما يبرر أنّ النزعة العلمانية لم تكن وليدة معاداة التراث وإقصاء الدين فقط بل ثمرة ممارسة متواصلة من التعاقب التاريخي و التطورات الاجتماعية الفعالة دون إقصاء متسرع للبنى التقليدية والخلفيات الدينية منذ القرن الرابع عشر على غاية القرن التاسع عشر ما خلق حالة من الاندماج الوظيفي بين ما هو ديني تراثي و ما هو علماني معاصر.(1)

كما يزعم العلمانيون ان العلمانية تعكس صفوة التطور في الفكر الإنساني في تنظيم علاقة الدين بالحياة حتى وإن كانوا يرون أنّ أساسها يرتبط بالفلسفة اليونانية و تطورت لتبرز كمشروع فكري متكامل مع عصر التنوير الاوروبي ، ولكن العلمانية الحديثة في نظرتها الإسلام لا تمثل إلا قريشا جديدة بفكر جاهلي متطرف يعارض الشرائع السماوية ويعلي من نزوات النفس والنزعات العنصرية من خلال تصديرها بقوالب عقلية ومنفعية للمجتمعات المستهدفة من خلال فصل الدين عن شؤون الدولة وممارسات الحياة لتحقيق المعاني الكاملة للتحرر الإنساني.(2)

وهذا ما يبرر نظرة العالم الإسلامي لمشروع العلمنة كونه جاهلية معاصرة أنتجت فيها أوروبا قريشا جديدة بسعيها لفصل العالم الإسلامي عن هويته الدينية باسم التحضر والتقدم وسعي الدؤوب لاختراق المؤسسات التشريعية والقضائية في ظل الاستعمار المباشر لأغلب

(1) - وفيق سلوم : في المسألة التراثية ، مجلة الطريق ، العدد 615 ، بيروت ، 1987

(2) - ميلاس محمد زين: العلمانية والاسلام - دراسة مقارنة -، المرجع السابق ، ص 878

الأقطار الإسلامية⁽¹⁾ ، هذا المسار العدائي اتجاه الإسلام متواصل داخليا في ظل محاولة التيار العلماني في الدول الإسلامية ترويض أفكارها بأسماء ملتوية كالعلمانية المحايدة والعلمانية العلمية التي ماهي إلا مجرد ذر للرماد في العيون واستكمال صريح للمشروع الغربي بفصل الإسلام عن المجتمعات العربية والمسلمة بغية تدجينها بما يخدم مصالحهم التوسعية و ما يتمشى مع قيم تمجيد الذات الغربية التي تلغي الآخر الهامشي في منظومة عولمة العالم إلى قرية كونية تنقاد بروؤية غربية خالصة ثقافة وفكرا.

لقد شكلت العلمانية موقعا مركزيا في بنية الفكر الغربي في إطار نزعتها نحو العلم والإنسان ، فسعت في الظاهر لتصدير مشروع العلمنة للآخر المتخلف بغية تحقيق تطوره المنشود ، وفصله عن تراثه الديني وعقيدته لتعميم نظرة علموية عن الاحكام والظواهر والاحداث التاريخية بعيدا عن الفهم الديني والايديولوجي المسبق وذلك ما أرادت انفاذه مع العالم الإسلامي عبر الحملات الاستعمارية أو الغزو الثقافي لاحقا لجعل هذا المسلم بعقيدة غربية وفكر علمي لا يرى الدين إلا في المسجد و لا يؤمن بالله إلا في محطات معينة ، ليسهل للعلمنة تمرير خطابها التمركزي في العالم الإسلامي وجعله تابع للعالم الغربي في قيمه وثقافته اللادينية .

المطلب الثاني : أجندات العولمة ومشروع الذات الغربية .

إن مشروع الغرب في صناعة عالم تجتاحه صور العولمة في كل المجالات يحمل في طياته خلفيات وأجندات متنوعة تشعبت معها طموحاته الحضارية نحو غرينة العالم في هوية واحدة وانتقال من الامتداد المكاني للقارات والثقافات نحو نظام القرية الكونية التي تكون متماهية في الفكر والقيم بعيدا عن تعدد الأمكنة والحضارات مع تغيير مسار عجلة التاريخ من الانحنائية المعهودة من الازدهار إلى الانهيار إلى المسار الخطي الثابت بجعل

(1) - أمين سامي باشا : تقويم النيل ، المجلد 01، الجزء الثالث ، القاهرة، ط1، 1936 ، ص160

حقيقة الإنسان والتاريخ حبيسة الرؤى الذات الغربية المتفوقة على الجميع فهي مركز الإبداع والاتباع وما على العالم إلا انفتاح على المد الحضاري الغربي ليعم العلم والتقنية وتندمج الحضارات والأديان في كيان واحد تعمه القيم الإنسانية ومنتقل بذلك من عالم الهويات المتعددة إلى النظرة الواحدة للإنسان في الحياة في ظل ثقافة العولمة.

إذ يرى المفكر "عبد الوهاب المسيري" أن العولمة ما هي إلا إيديولوجيا كامنة وراء العلمانية الشاملة في ظل نظرية التلاقي التي ترى بأن هنالك قانون موضوعي تخضع له كل الظواهر والمجتمعات لتشكل نمطا واحد يضمن تطورها وتقدمها وتحول بذلك علم الاجتماع الغربي بعد انهيار الاشتراكية الموجهة و التحول نحو نظام السوق مفتوح في إطار عولمة مادية لا تؤمن بخصوصية المجتمعات البشرية.⁽¹⁾

أ/ تعريف العولمة:

قبل الخوض في مشروع العولمة كآلية تسند مشروع الغرب في فرض ذاته في العالم لابد علينا ان نتناول دلالتها اللغوية والاصطلاحية عن طريق الأقوال المختلفة الواردة في التأسيس لضبط معانيها ومجالاتها المختلفة وذلك من خلال الآتي :

(1) لغة:

- هي ترجمة لكلمة "Globalization" المشتقة في الأصل من كلمة "Globe" أي الكرة والمقصود بها هنا الكرة الأرضية ، ويتحدث علماء الاجتماع في مجال التحديث عن

(1) - سوزان حرفي : العلمانية والحداثة والعولمة "حوار مع د. عبد الوهاب المسيري" ، دار الفكر ، القاهرة ، ط1 ، 2013 ،

"Global Culture" التي تعني الثقافة العالمية، إلا أن لفظة "Globalization" باللغة

اللاتينية تدل على مشروع لمركزة العالم في حضارة واحدة. (1)

- كما أنها واردة بالصيغة الصرفية "فوعلة" ولا يهم ان وردت هذه اللفظة في كلام العرب بحكم أن الضرورات العصر فرضتها، فهي بذلك تدل على تحويل الشيء إلى وضعيته الأخرى مثل "قولبة" من قولب أي وضع الشيء في صيغة قالب، ويستعمل الكثيرون هذه الصياغة اليوم على السبيل المثال لفظ أسلمة الواردة من أسلم أي من الإسلام، فالعولمة كلمة تقابل الخصوصية فهي مشتقة من فعل "خاص" مفرد "خواص"، وعلى ذلك فإن العولمة هي وضع الشيء على مستوى العالم مثلما هي الخصوصية وضع الأمر على مستوى الخاص. (2)

- وتعني العولمة كذلك في اللغات الأوروبية المختلفة بأنها تلك العلوم او السياسة بعدها العالمي "Globalisation" كما يراد بها إيضاح معنى السياسة الكونية أو الكوننة وهي متقاربة مع لفظ "Internationalisation" الذي يقصد به كل ما هو أممي أي التدويل، هذه الترادفات اللفظية تخدم طابعا فكريا عالميا او دوليا أو كونيا في النشاط الإنساني بين معاني الأنسنة النابعة من الإنسانية والعولمة الصادرة من العالمية. (3)

- كما أن لفظ العولمة مشتق من "العالم" ويتصل بها فعل "عولم" من صيغة "فوعل" وهي بذلك من أبنية الموازين الصرفية العربية، وهي بذلك تشير لوجود فاعل يفعل، وعلى ذلك

(1) - بركات محمد مراد : العولمة رؤية نقدية "بين رفض العرب والاسلاميين والترويج الغربي"، كتب عربية، ص 92

(2) - محمد عابد الجابري : قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1997، ص135

(3) - تركي الصقر: الاعلام العربي وتحديات العولمة، وزارة الثقافة، دمشق، 1998، ص178

تصير العولمة في منحها اللغوي تدل على تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله ، كما يحمل معناها دلالة الانتقال من المجال الوطني إلى القومي إلى الكوني .⁽¹⁾

(2) إصطلاحاً:

لقد تعددت تعاريفها حسب الأيدولوجيات والاتجاهات التي طرحتها وهي كالتالي:

- تشير العولمة إلى شيئين معا ، فهي عبارة عن انكماش العالم وازدياد الوعي بالعالم كله مما يشكل حالة إنسانية عالمية واحدة تجعل الأحداث السياسية والقرارات والنشاطات في مكان ما من العالم والتي تنعكس طرديا على الجماعات والمجتمعات الأخرى أمّا ثقافيا فهي ذلك التكوين الذي يؤدي إلى تبادل ثقافي دائم الفاعلية بصورة مستمرة ودائمة .⁽²⁾

- في حين اعتبرها "ريتشارد هجوت" على أنها غزو واستعمار غربي تقني وثقافي بدلالات سياسية واقتصادية أشد ضراوة من أي شكل من أشكال الاستعمار الغربي الذي شهدته البشرية سابقا ، فهي بذلك تحمل دعوة صريحة لنفي كل الحضارات الأخرى غير الغربية وإن شئنا تقريب المعاني بالخصوص أي الحضارة الأمريكية في العالم .⁽³⁾

- كما تعتبر العولمة مفهوم نظري عبر توجه إيديولوجي إمبريالي يعكس إرادة مركزية للاستقطاب وبسط الهيمنة الشاملة على العالم بأسره وذلك ضمن نموذج حضاري معين يعمل الغرب على إرسائه بمختلف الآليات السياسية و الاقتصادية والثقافية خاصة في ظل توفر إمكانيات هائلة لدى العالم الغربي في مقدمته الولايات المتحدة مستعينين بالثورة الواسعة التي

(1) - عبد الحليم عمار غربي: العولمة الاقتصادية رؤية إستشرافية في مطلع القرن الواحد العشرين ، دار أبي فداء ، سوريا ، 2013 ، ص 19

(2) - بركات محمد مراد : العولمة رؤية نقدية ، المرجع السابق ، ص 92

(3) - أحمد عبد العزيز وآخرون : العولمة الاقتصادية وآثارها على الدول العربية ، مجلة الإدارة والاقتصاد ، العدد 86 ، 2011 ، ص 64

تشهدها الأنماط البشرية في مجالي الاتصالات والمعلوماتية ما سهل امتداد المشروع العولمي لباقي المجتمعات اللاغربية في سرعة كبيرة.(1)

- صف إلى ذلك ان بعض رأى بأنّ العولمة تلك العلاقة بين عدة مستويات متنوعة يرجى منها تقديم رؤية تحليلية للأمور الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية والثقافية وذلك من خلال إعادة الإنتاج وتداخل الفعل الصناعي عبر الحدود في ظل انتشار أسواق التمويل وتشابه البضاعة الاستهلاكية بين مختلف الدول في ظل صراع قائم بين الجماعات المهاجرة والجماعة المقيمة .(2)

وبهذا نستنتج من هذه التعريفات تعدد المفاهيم حول ظاهرة العولمة باعتبارها متعددة الأبعاد بين الجانب التواصلي بين البشر وهناك من يتجاوز هذا الضابط ليحصرها في كونها امتداد طبيعي لثورة التي شهدها العالم في مجال التطور التقني والعلمي ما أفرز انفتاحا شاملا بين المجتمعات المختلفة وفريق من الباحثين قيدها في اعتبارها مشروع ثقافي توسعي يهدف لخلق نظرة واحدة في الإدراك الثقافي لمختلف الجماعات البشرية ، وفي ذات الصدد تحول بها آخرون من خلال اعتبارها تحولا اقتصاديا وسياسيا يهدف لترسيخ النظام العالمي الجديد الذي أساسه الرأسمالية وفرض هيمنة الدول العظمى كقوة مركزية مقابل المجتمعات الهامشية في الدول النامية .

ب/ رهانات الهيمنة الغربية في زمن العولمة :

لقد تقولبت العولمة زمنيا كأفكار متناثرة ولكن بروزها كظاهرة سادة العالم كان بداية من مطلع التسعينات من القرن الماضي ، حيث إرتبط ظهورها بشكل مباشرة بسقوط الاتحاد السوفياتي و اندلاع حرب الخليج و توجه العالم نحو أحادية القطبية بقيادة الولايات المتحدة

(1)- عمر بوساحة: العولمة الثقافية " المفهوم والتحديات " ، أشرة النور ،الجزائر ، 2012 ، ص 31.

(2)- نعيمة شومان : العولمة بين نظم التكنولوجيا الحديثة ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ط1 ، 1998، ص 40

الأمريكية ، فمن المعلوم أنّ النظام الدولي الجديد جنح نحو رؤية جديدة تجاوز فيها ثنائية العالم الغربي و العالم الشرقي بنظرة أمريكية تجعل منها شرطي العالم في ظل حيازتها لقوة العسكرية والتكنولوجية تحت غطاء رأسمالية التحضر وقد برزت معالم هذه الدعوة في خطاب الرئيس الامريكى جورج بوش الأب في عام 1990م عند إشارته إلى ميلاد نظام عالمي جديد مختلف تماما يحكم البشرية بالقانون وليس بنظام الغاية في ظل تحمل الأمم المتحدة لمسئوليتها المشتركة بين كل أعضائها في إرساء معالم الحرية والعدالة الإنسانية في كل مكان و عملها دؤوب على نصرته الضعفاء وإرساء العدل بين كل المجتمعات البشرية في ظل الاحترام المتبادل .⁽¹⁾

ولعل تعرضنا لهذا المشروع يرجعنا لا محالة للوقوف على مرحليات العولمة التي أحسن تقديمها المفكر البريطاني "رونالد روبرستون" في تطورها إلى خمسة مراحل بداية المرحلة الجينية وكانت في أوروبا من بدايات القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر والتي تفردت بغلبة النزعة القومية وعودة قيمة الإنسان في ظل نظرية مركزية العالم وبداية الفتح الجغرافي الحديث في العالم الغربي ،لتاليها المرحلة الثانية متمثلة في بداية النشوء التي امتدت زمنيا من منتصف القرن الثامن عشر إلى سبعينيات القرن التاسع عشر والتي شهدت ضبط أعمق لمعنى الإنسانية في ظل ارتفاع حجم الترابط بين الدول والمجتمعات البشرية أمّا عبر المؤسسات أو وسائل الاتصال ما أسهم فيما بعد في تفكك ظاهرة الرفض لغير الغربي وتحول تدريجيا من النزعة القومية إلى الوحدة العالمية ،وعليه كانت المرحلة الثالثة بمثابة انطلاقة فعلية نحو العولمة من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى منتصف عشرينات القرن العشرين التي شهدت اندماج عدة مجتمعات غير إوروبية في المجتمع الدولي ففي ذات الفترة ووقعت الحرب العالمية الأولى ونشأت بعدها عصابة الأمم كتجمع بشري جامع للتواصل والحوار ،لتبرز فيما بعد المرحلة الرابعة التي تميزت بروح

(1) - باسيل يوسف : النظام الدولي الجديد آراء ومواقف ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط 1، 1992، ص 47

الهيمنة والصراع منذ بدايات العشرينات في القرن العشرين إلى أواخر الستينيات من ذات القرن التي شهدت صراعات فكرية و سعي كل طرف لإثبات ذاته على الآخر في العالم في ظل صراعات كونية مريرة كانت كلها تهدف لفرض حياة الانسان النموذجية ليكون استخدام القنبلة النووية في اليابان فاصلا في بروز الأمم المتحدة لاحقا وبداية تشكل معالم ما يطلق عليه العالم الثالث ليكون ختام هذه المرحليات ما دعها المفكر "روبرستون" حقة عدم اليقين و هي التي بدأت من السبعينيات إلى التسعينات القرن الماضي حيث تجاوزنا فيها المرحلة المادية الإيديولوجية و انتهت فيها الحرب الباردة و سار العالم نحو الدعوة الكونية في تنظيم العلاقات الإنسانية بين مختلف المجتمعات في ظل احترام التعدد الثقافي و تثبيت قيم المواطنة في مجتمع مدني واعي ونظام إعلامي يتميز بكل قيم العالمية .⁽¹⁾

لكن الوقوف بشكل دقيق على هذه التحولات يجعلنا نرى أنّ هذه التشكلات الجديدة هي مجرد إعادة ترتيب للنظام الدولي السابق لنفسه وفق مستجدات العصر ما جعله مرغما على فرض عدة تغييرات فكرية وثقافية من ذاته فهو ليس نظاما عالميا جديد بقدر ما هو استمرار للهيمنة والتكبر الغربي في مفاهيم فضفاضة تحت دعوة الكوكبة لوصول إلى اختراق الآخر بأسهل الطرق الممكنة بمدعيات الإنسانية والتمدن.

لقد تبدى في المرحلة المعاصرة تحول العولمة من مجرد مشروع يسعى الغرب إلى تنفيذه إلى عصر كامل يدعى عصر العولمة حيث برزت معه عدة مظاهر كان أبرزها تحرير المعاملات التجارية وفرض عالمية السوق خاصة بعد تحول العالم نحو الرأسمالية بعد سقوط النظام الاشتراكي في أواخر الثمانيات من القرن الماضي وتعزز نظرية النهايات لدى الغرب بترويجه أنّ المجد الحضاري الغربي هو نهاية كل الأفعال الحضارية للبشر ، فكانت بذلك العولمة عاملا أساسيا في تدويل الإنتاج والمشروعات في ظل الفتح الشامل للأسواق

(1) - رأفت دسوقي : عولمة المدير في العالم النامي ، دار العلوم ، القاهرة ، ط1 ، 2006، ص 15-16

أمام حركة التبادلات الاقتصادية و المالية عبر البنوك العالمية على سبيل المثال البنك الدولي للإنشاء والتعمير وصندوق النقد الدولي وزيادة التوسع الاستثماري بين مختلف الدول عن طريق الشركات متعددة الجنسيات (1)

ومن بين أكثر المظاهر التي أدخلت العالم عصر العولمة القوانين التي جاءت مع النظام الدولي الجديد من خلال توحيد الأنظمة السياسية وتسيير العلاقات الدولية وفق نظرة عولمية أساسها الفعل الديمقراطي وحرية الأفراد من خلال عدة مؤسسات عالمية لحماية ما يسمى الشرعية الدولية على رأسها هيئة الأمم المتحدة وكل المؤسسات المالية لها بهدف إرساء الديمقراطية وضمان حقوق الإنسان ،ولكن واقع الحال يعكس أنّ هذه القوانين والمؤسسات تبرير واضح لهيمنة الغربية وسلوكها العنيف من خلال تبرير كل تدخلاتهم ضد المعارضين للسياسة الأمريكية أو رافضين للمد الغربي ضمن هذه المؤسسات تحت شعارات متعددة تتأرجح بين حماية حقوق الأقليات وحماية الشعوب من الأنظمة الاستبدادية أو تهم الجاهزة كتصدير الإرهاب للمجتمع الدولي في انعكاس واضح لهذه الطبقة الرأسمالية الجديدة التي تناور العالم برويتها المنفعية لما يخدم مصالحها فقط في هذه اللوائح القانونية الدولية(2)

إن ما شهده العالم في المرحلة المعاصرة من ثورة علمية و تكنولوجية لعبت دورا بالغا في نشر ظاهرة العولمة في كل المجالات إلى درجة توليد ثورة معرفية وصناعية جديدة تعتمد على الانتاج التكنولوجي المتدفق و التطور الفكري اللانهائي وهذا ما انعكس على المجال التواصلي بين مختلف الدول بتقريب المعلومة اعتمادا على الإلكترونيات الدقيقة مختلفة والوسائط التواصلية المتعددة لدرجة جعل العالم قرية كونية الغت الحدود في زمن الثورة الصناعية الثالثة التي اعتمدت على الشركات الدولية العابرة للحدود في توريد المنتجات و تقديم الخدمات لكل المجتمعات البشرية ، لكن كل هذا الزخم التقني لا يخدم إلا

(1) - بركات محمد مراد : العولمة رؤية نقدية ، المرجع السابق ، ص120.

(2) - محمد حسام الدين : العولمة وصورة الاسلام ، المدينة برس ، القاهرة، د.ط، 2003، ص 178

أمريكا والغرب في ظل ضعف العالم الثالث في الإمكانيات والاقتصاد وتحول الدول النامية إلى رهينة للنموذج العولمي ومؤسساته البرغماتية .

إنّ هذه المظاهر المتعددة للعولمة لا يمكن أن تحقق الأهداف المنشودة لكوكبة العالم في ثقافة عالمية واحدة في الفكر والقيم وسلوكيات الاستهلاكية إلاّ من خلال عولمة الإعلام بتوجيه خطاب متماثل في مختلف الأقطار الجغرافية يهدف لتوحيد الثقافة والفكر العالمي حول القيم الإنسانية و تحقيق معاني الحرية بعيدا عن تعقيدات القومية والهوية من خلال ضغط المكان والزمان في نمط واحد يتجاوز الأطماع السياسية والخلافات الثقافية والدينية والعاطفة الوطنية المرتبطة بالحيز المكاني لنصير من عالم المحدودات إلى عالم الإنسان فقط . (1)

وفي ظل هذه الرؤية عملت العولمة على بسط نفوذها في مجتمعات الحواشي بهدف تحقيق مصالحها عبر عدة طرق من أهمها خلق كوادر وطنية في بلدان العالم الثالث يكون ولائهم للسياسة الغربية أكثر من بلدانهم الأصلية بهدف السيطرة على صنع القرار بها وتوجيههم بما يخدم المصالح الغربية مثل تغريب المنظومات التربوية والتعليمية بما يتماشى مع القيم الحداثيّة بهدف إلغاء الهويات الوطنية أو القومية في ذاكرة الأجيال الصاعدة والوصول لغربنة الوعي الثقافي والحضاري لدى هذه الشعوب مع الحرص على أبعاد كل المفكرين والوطنيين الذي يحاولون الانسلاّل من دائرة السيطرة الغربية فهم يشكلون خطرا وشيكا على مشروع الهيمنة على هذه الدول سواء في قراراتها أو مقدراتها مع سعي الدائم لإفراغها من قيمها المحلية والتاريخية والثقافية في ظل الدور المحوري لوسائل الإعلام في إرساء غايات العولمة . (2)

(1) - رضا عبد الواحد أمين : الاعلام والعولمة ، دار الفجر ، القاهرة، ط1 ، 2007، ص 124.

(2) - هريرت شيلر: الاتصال والهوية الثقافية ،تر: روجيه سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2007، ص11

ورغم ذلك إلا أن الرؤية العملية لتغلغل المشروع العولمي الغربي يتجلى في تنوع مجالاتها ففي المجال الاقتصادي برزت مع الاقتصاد الحر الذي يحكمه النظام الرأسمالي الليبرالي المتوحش الناشئ على إنقراض النهب الاستعماري للدول الغربية التي لا تمثل سوى 20% من سكان العالم ، فالعولمة بذلك ماهي إلا مجرد بداية لعولمة رأس المال الإنتاجي والإنتاج في المجتمعات الموجودة خارج المركز الغربي لتكون بذلك عبارة عن تكتل اقتصادي للقوى العالمية للاستفراد بخيرات العالم على حساب الشعوب الضعيفة ما يجعل هذا المركز في حالة احتواء لهذه المجتمعات الهامشية التي حاربه بالأمس في نضالها التحرري كمستعمر وتعثرت في حلمها ببناء دولة وطنية ذات سيادة وخصوصية ، فسمحت العولمة الاقتصادية للمركز الأوروبي لاسترجاع ما ضاع منه هذا ما جعل مفكرنا "حسن حنفي" يؤكد أن مشروع كوكبة الاقتصاد يحمل سمتان هما تركيز الدول الصناعية وتهميش الدول الفقيرة وذلك بسبب هشاشة القدرات الاقتصادية لدول الاطراف في زمن العولمة .⁽¹⁾

ما تولد عنها نزعة للخصخصة بتحجيم دور الدول في إدارة اقتصادها و مؤسساتها الإنتاجية وأنماطها الاستهلاكية من خلال نزع نظام الملكية من الدولة إلى أيادي الخواص هم ليس بضرورة أبناء الوطن في زمن العولمة بقدر ما هم أصحاب رأسمال المنتج.

أما على المستوى السياسي فإن العولمة السياسية أعلنت نهاية منطق سيادة الأوطان والغاء نمط الحدود الجغرافي بين مختلف الدول في ظل اعتماد النظام الليبرالي في تيسير الشؤون السياسية مع ضمان حقوق الإنسان و مختلف الحريات الفردية في العالم الثالث ، مع توسيع النظام الحكم الديموقراطي ومحاربة الأنظمة الشمولية لكونها جوهر المعجزة الغربية التي أفرزت العملية الديمقراطية في المجتمعات الغربية ذلك لما وفرته من مجال

(1) - حسن حنفي ، صادق جلال العظم : ما العولمة ؟ ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 2000 ، ص 24

خصب للعمل والإنتاج ما أسفر عنه ميلاد عمالقة الإنتاج والتكنولوجيا في العالم الغربي⁽¹⁾ ، فهي في حقيقة الحال مجرد استكمالا لمشروع الهيمنة السياسية لدى الغربيين وعلى رأسهم الولايات المتحدة التي تؤمن بسيادة الأمة لا سيادة الدولة القومية بمعناها الكلاسيكي في توجيه الاقتصاد والثروات .

وعليه لا يمكن أن يكتمل مشروع العولمة بشقي السياسي والاقتصادي إلا إذا كانت نتاجها عولمة ثقافية للمجتمعات البشرية ، فالنزوع نحو عولمة الثقافة ما هو إلا غاية في حد ذاته للعولمة الاقتصادية والسياسية حيث يراد منها جعلها ثقافة انسانية موحدة على ضوء النموذج الغربي عن طريق قولبة الملابس والمأكل والذوق وحتى السلوك في محاولة جادة لتوحيد القيم المتعددة حول مفاهيم المرأة والأسرة والرغبات في المجتمع الكوني المنشود المتمركز حول الذات الغربية ضمن كيان النظام الليبرالي وهو ما يعرف بثقافة الاختراق التي تنتهجها الحضارة الغربية مع الأمم الأخرى لإثبات تفوق الإنسان الغربي⁽²⁾ ، فتعولم الثقافي لا يعكس إلا مجرد منظومة ايديولوجية تسعى لتصدير أي قيمة غربية للمجتمعات الأطراف الضعيفة والتي تعمل فذات الوقت على تفكيك كل القيم أو الثقافات التي تناهض أي دعوة غربية سواء كانت سلعة أو فكرة أو نظام سياسي بغرض الهيمنة على هذه الدول المستقبلية بما يراد لها بانتهاج نمط استهلاكي كامل في تعامل مع الواردات الفكرية الغربية و هو ما ينعكس على كل المستويات لدى هذه الشعوب المدججة وفق نظام القرية الكونية .

وعلى هذا نرى التناقض الكبير في موضوع العولمة في سياقها الثقافي والإيديولوجي فهي تؤسس لمعاني الحرية والتنوع بين البشر في الثقافات والسلوكات والمسارات السياسية

(1) - فؤاد البنا : العالم الاسلامي بين التخلف الحضاري ورياح العولمة ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، القاهرة ، ط1 ، 2006 ، ص235 ،

(2) - جيمس روزانو : ديناميكية العولمة "نحو صياغة علمية" ، تر: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، القاهرة ، 1998 ، ص 09

وفي الوقت ذاته تحارب لإرساء القيم الغربية وفق نظام الأمركة لكل المعايير الانسانية ليصير العالم بأكمله رهين التبعية لما يراه الغرب وحده ، هذا ما يعكس قناعا غربيا خالصا يسعى لنشر قيمه وحضارته لإثبات ذاته بقيم عامة وإنسانية سيتخلى عنها فور تعارضها مع طموحاته نحو التفرد أو خلق منافس له في الريادة العالمية .

وعلى ذات المسار اعتبرت العولمة طفرة ميزت التفوق العلمي والتقني الغربي في ظل ثورة الاتصالات في المرحلة المعاصرة حيث مثلت بذلك صورة عميقة للهيمنة الغربية كما أورد ذلك الكاتب الأمريكي "جيفري برانت" في حديثه عن مسار الأمم الغربية في ظل هذا العالم الجديد الذي يمنحها القدرة من الجانب المالي على امتلاك وإدارة النظام المصرفي العالمي ما يسمح لها بالسيطرة على كل أنواع العملات الصعبة وهذا ما يضمن لها مرونة كبير في تسيير كل البضائع في مختلف الأقطار وفي حين ذاته جعل الغرب هو الزبون الأول في العالم ما يفرضها كمسير وحيد لمختلف الأسواق العالمية ، أمّا من الناحية العلمية والتقنية فتقوم العولمة بفرض قيادتها الأدبية و التقنية على المجتمعات الأخرى في ظل إشرافها على كل البحوث التطوير التكنولوجي المتقدمة معززة بقدرتها العالية على التحكم في وسائل الاتصال الكونية وحتى الفضائية ، ما سمح لها عسكريا بسيطرة على المضائق البحرية الحساسة وتعزيز قدرتها العسكرية الشاملة ما يؤهلها للتدخل العسكري في كل وقت لصد أي انقلاب عن القيم الإنسانية أو الحضارية المناهضة لمشروع تحويل العالم لقرية كونية .⁽¹⁾

ومن بين ما نجم على هذا التوجه صراع عميق بين العولمة والهوية الثقافية واللغوية في العالم الإسلامي المعاصر بين جانبيين ، جانب عولمي يحقق مساعي الهيمنة والتسلط والانتشار والاحتكار لدى الغرب في ظل القوة التكنولوجية والمالية والعسكرية التي يتسم بها

(1) - أوبكر رفيق : مخاطر العولمة على الهوية الثقافية للعالم الإسلامي ،مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد4، ديسمبر2007، ص08

في ظل فلسفة شمولية وإيديولوجية كونية تعمل على توسيع صور الثقافة والهوية الغربية في المجتمعات المقابلة ، وجانب آخر يمثل الهوية العربية والإسلامية النابعة في أصلها من جذور تاريخية و ثقافية لها خصوصية دينية وثقافية واجتماعية ونفسية أسفرت عن بقاء روح الندية عبر عدة عصور في ظل حراك حضاري تسعى العولمة إلى طمسه وخلق هوية موحدة للعالم بمسميات متعددة.(1)

ومما سبق نستطيع أن ندرك أنّ العولمة ماهي إلا مجرد مشروع غربي جديد لمركزة العالم حول حضارتهم بصيغ متعددة معتمدين على الثورة المعلوماتية الحاصلة ، ولعل سقوط ثنائية القطبية لصالح القطبية الأمريكية هو أساس النظام الدولي الجديد الذي يجعل الولايات المتحدة هي عصب مشروع كوكبة العالم في رؤية واحدة ما أسفر عنه ميلاد إمبراطورية جديدة وفق مسار مرحلي بدأ مع العمل متواصل لتقوية الدولة الأمريكية وإضعاف كل الكيانات الموزاية لها من خلال العولمة الثقافية والتجارية في ظل حكم العلاقات الدولية بمنطق الدول المتحالفة أو المارقة أي خارج عن العنفوان الأمريكي هذا ما أسفر عنه فرض النموذج الأمريكي في الخلفيات الأساسية لمشروع العولمة ما جعل الآخر يدرك هذا الحراك الإمبريالي الذي يستهدفه بقضية العولمة كقضية وسلوك تؤسس لمركزة العالم حول أمريكا اعتبارا على أنّها قلب النظام الدولي المستجد بعد سقوط الاتحاد السوفياتي ما سيؤهل الولايات المتحدة لرسم خطوط العلاقات الدولية و تسخير كل مقدرات الأمم العالمية لهذه الإمبراطورية الناشئة والمتوارية بهذه المشاريع الحداثية التي تتصف بالأخلاقية والإنسانية في ظاهر الأمر في ظل تحجيم دور المؤسسات الدولية لخدمة الهيمنة الأمريكية خاصة والغربية عامة لتكون بذلك الأمركة هي المرادف الصريح للعولمة في سياق الطرح الأممي.

(1) - أبويكر جيلالي : اللغة والهوية والعولمة- معركة المفاهيم -، مجلة الكلمة ، 03-06-2019، ص01

المبحث الثالث: هوية العالم بين حقيقتي صراع الحضارات و نهاية التاريخ

إنَّ تحولات المرحلة المعاصرة خصوصا بعد تحول العالم إلى أحادية القطبية فرضت مناحي فكرية وثقافية على واقع المجتمعات الإنسانية ، فلعل ما ميز العالم في زمن الحرب الباردة ظهور المصطلحات والمشاريع ذات الحمولة الإيديولوجية الموجهة بين المعسكرين الشرقي بقيادة الاتحاد السوفياتي والغربي بقيادة الولايات المتحدة لينتهي ذلك التحالف في نهاية الثمانينات ويعود العالم إلى قيادة غربية واحدة تحت رعاية المارد الأمريكي تحكمه وتسعى لسيطرة عليه بما يخدم مصالحها الاستراتيجية والتوسعية جغرافيا وثقافيا ، فبدأت تبرز مضامين المشاريع الفكرية المستجدة التي تخدم السياسة الجديدة مع مشروع صراع الحضارات مع "هنتغتون" وأطروحة نهاية التاريخ مع "فوكوياما" لصياغة هوية ثقافية للعالم تتماشى مع مقتضيات خطاب التمرکز الغربي الجديد بترويج لمسلمة الصراع بين الأمم والتي سيكون ختامها بنهاية الحضارات الكونية عند منجزات الغرب الحالية في المجالات العلمية والتكنولوجية وذلك ما سيبرز مع ما سنناقشه في متن مبحثنا.

المطلب الأول : إنفعال مشروع صراع الحضارات

لقد شاع مشروع صراع الحضارات في مرحلة ما بعد الحرب الباردة كدعوة جديدة تدعو لإعادة بناء النظام الدولي الجديد وفق نظرة صراعية بين مختلف الأمم ، فهذا المنهج العدواني اتجاهاً الآخر لم يكن بجديد على الأسس الثابتة للحضارة الغربية المعاصرة التي تمثل وريثاً شرعياً للحضارة اليونانية والرومانية اللتان أسستا في الفكر الأوروبي لأطروحة الصراع مع المجتمعات المخالفة لإثبات وجودها وإقصاء الآخر من التدرج الحضاري والتاريخي المتعاقب. فمن بين الجذور التي ولدت نظرية صراع الحضارات ما طرحه المستشرق البريطاني "برنارد لويس" عام 1991م في مقاله معنون ب: "السياسة الواقعية في العالم الجديد أنماط جديدة للأمن العالمي في القرن الواحد والعشرين" ، حيث يرسم تصورا

جديدا للعالم بعد انهيار المعسكر الشرقي لفهم واقع العالم الراهن منطلقا من تقسيمه إلى جزئيين هما المركز الذي يعكس القوى المهيمنة عالميا والجزء الثاني يتمثل في الأطراف التي تمثل الدول الضعيفة في كل المجالات اقتصاديا وسياسيا و لا تستطيع الخروج على منهج اتباع هذا المركز ، وإذ يضيف كذلك قسما آخر أطلق عليه أشباه الأطراف وهي الدول الأعلى نموًا وتطورًا من دول الحواشي الضعيفة ، وفي ظل هذا السياق يرى "لويس" أن التصادم الحضاري يقع بين الغرب والإسلام بسبب التناقض الكبير بين القيم العلمانية والقيم الإسلامية في ظل وجود تقارب جغرافي و تسابق تاريخي بين الإسلام والمسيحية في الوصول إلى الريادة ، وهذا ما أطلق عليه الحرب الباردة الاجتماعية بين المركز والأطراف ما يعكس تصادما ثقافيا بين الغرب والإسلام .⁽¹⁾

وعليه ظهرت نظرية صراع الحضارات بشكل أوضح بعد تهالك الاتحاد السوفياتي في مقال أكاديمي للباحث الجامعي الأمريكي "صاموئيل هانتغتون" تحت عنوان "صراع الحضارات" صيف عام 1993م ليتحول ذات المقال فيما بعد إلى عنوان كتاب "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" والذي يسرد فيه رؤيته لإعادة تركيب الأنظمة العلائقية بين الأمم في ظل نظام دولي جديد ذو بعد أمريكي خالص تكون نهايته شيوع التصادم الحضاري وهذا ما توصل إليه "هانتغتون" كنتيجة لأفكار سابقة له مع كل من "برناد لويس" و "أرلوند توينبي" ،حيث يرى مشروعه أن العلاقات بين الدول لطالما طبعتها الحروب والعدائية واثارات التاريخية وأنّ التداخل الحضاري سيكون منشأ خصبا للصراع بين الأمم على جميع المستويات وبالتالي ننتقل الى صراع دوري في ظل انقسام الهوية العالمية لعالمين الشرقي والغربي في ظل سعي الغربي في النهاية لفرض قيمه الحضارية على الآخر واعتباره مجرد أطراف مقارنة بأمجاد ومنجزات الحضارة الغربية المركزية حيث يقول "هانتغتون" في جنبات كتابه: ((إنَّ الغرب هو الحضارة الوحيدة التي لها مصالح أساسية في

(1) - محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، ط1، 1997، ص90.

كل حضارة أو منطقة أخرى ، ولها بذلك القدرة على التأثير على سياسة واقتصاد وأمن كل حضارة أو منطقة أخرى ((¹⁾)، وهنا يؤسس مفكرنا بكل وضوح لفقه المواجهة بين الغرب وغيره بما في ذلك الحضارة الإسلامية وذلك بناءً على جعله وصيا على التحضر الإنساني وجعل الآخر مجرد حواشي لا تؤثر بل تتأثر بما يولده الغرب من بواعث علمية و حضارية في العالم.

وعلى هذا يرى "هانتغتون" إنَّ مشروعه صراع الحضارات يؤسس للنمط القادم لمنظومة العلاقات الدولية بين الأمم إذ تقوم نظريته على أنَّ المشهد الرئيسي لهذا النمط هو الصراع الذي سيخرج على القوالب الإيديولوجية والاقتصادية المعتمدة سابقا إلى انقسامات شاملة بين الجنس البشري خاصة في شقه الثقافي ما سيولد صراعات رئيسية بين الجماعات ذات الحضارات المختلفة وهذا ما سيؤدي إلى خطوط خلل بين مختلف النماذج الحضارية وهنا تكمن شرارة المعارك المستقبلية ، ولعل ما يعزز هذه الرؤية الصدامية في العالم هو أنَّ الاختلافات بين الحضارات هي جوهرية في الواقع من خلال اللغة والدين والتاريخ والثقافة فهي أعقد من التباينات الإيديولوجية والسياسية والتي تولد عنفا محتما ،ضف إلى ذلك أنَّ التطور التكنولوجي قرب مسافات التفاعل بين مختلف المجتمعات فبرز بذلك التفاوت الحضاري بين الأمم سواء عن طريق الهجرة أو وسائل الاتصال المختلفة ما سيقوى لا محالة الخلافات والعداء ، وفي ذات الصدد كان جنوح العالم نحو سياسات التحديث المتعددة في شقين الاقتصادي والاجتماعي قد أسفرت عن تضاد واضح بين الهويات المحلية للمجتمعات ما جعل الدين يتحرك لملء هذه الفجوة عبر التيارات المتطرفة للمحافظة على الخصوصيات القومية والثقافية مع التنامي المتواصل للشعور بالتفاوت الحضاري بين الغرب والحضارات غير الغربية هذا ما دعا الأخيرة للانكفاء على ذاتها ومحاولة مراجعة تاريخها لإيجاد مجدها

(1) - عباس مخلوف ، عبد السلام بوزيرة: إشكالية المركز والهامش في الخطاب الغربي :الدوافع والبدائل، مجلة الحكمة

للدراستات الفلسفية ،المجلد8، العدد1 ،مؤسسة الحكمة للنشر والتوزيع ، السداسي الأول 2021، ص 11

الضائع ، فكل هذه المتغيرات جعلت الغرب يواجه طموحات متزايدة من غير الغربيين الساعين لرفض الإرادة الحضارية التي تسعى لغربة العالم وهذا ما عزز هذا المسار الصراعى بين الطرفين نظرا لاختلاف الخصوصيات الثقافية بينهما ما يجعلهما أقل تبادل ورضى وما يتبعه من مواجهات عسكرية أو حتى سياسية و اقتصادية في ظل النزعة العرقية بين المجتمعات الإنسانية المتطلعة للحفاظ على هويتها ومواكبة التطور بما يخدم مصالحها. (1)

إنّ نظرية صراع الحضارات تعمل على تصور خصوم المستقبل بعد زوال اعداء الماضي وذلك في سبيل إثبات الهوية الغربية من خلال توفر مشهد تنافسي يصدق معه صراع ، فهنتغتون بذلك يعيد مقولات الفيلسوف " هيغل" في الفكر الغربي حول الذات والآخر والتي لا تحقق وجودها الأسمى إلا ضمن الصراع والتسابق ،زد إلى ذلك إنّ عملية إيجاد الأعداء المحتملين يساهم في استنهاض الهمة ورفع حالة اليقظة لدى الحضارة الغربية لالتزام الحيطة و الحذر بعيدا عن تخذيرات التفوق السائدة خاصة مع دعوة الحركات اليمينة والمحافظة بأنّ الغرب يتوجه نحو الانهيار والتآكل الداخلي على الجميع المستويات سواء الأخلاقية أو الإنتاجية إذا واصل في نفس المسار ما يؤكد وجوب حث مقومات النهضة الثقافية لدى الفرد الغربي لتجاوز هذه المرحلة الصعبة التي أسفرت عن ميلاد صراع حضاري يؤخذ مسلكا يخدم المصالح الأمريكية في حفظ نفوذ الهوية الغربية وتجديد قدراتها النزالية مع الآخر المتربص فانهييار المارد الأحمر لا يعني عدم وجود تحديات أخرى تفرز قائمة من خصوم المتوقعين ،فحسب نظرة صموئيل فإنّ قائمة الخصوم لها مستويين أوله الفعليين هم الحضارة الآسيوية الناهضة أو الصينية -اليابانية المتربصة وآخرين محتملين

(1) - محمد عمارة : الحضارات العالمية تدافع أم صراع ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط1،

منهم الخصم الإسلامي الذي يهدد الحضارة الغربية بأكثر شدة نظرا لما يحوزه من قدرات ومقومات لو أتيحت له ستكون نهاية الحضارة الغربية المحتومة .⁽¹⁾

فمن هذه التجاذبات نلاحظ أنّ عالما معاصر يشهد صراعا هوياتيا بين متقفي المجتمعات الإنسانية ، ذلك انطلاقا من كون الهوية والثقافة قضية وجود وانتماء فهي تعتبر بذلك أداة للتمييز وتحقيق الاندماج أو الإقصاء داخل أي كيان اجتماعي ، فجل الموجات الصراعية التي يشهدها العالم هي نابعة في الأساس من صراع الهويات لأنّ كل مجموعة بشرية تحارب لإثبات جذورها وتاريخها خوفا من فقدان ذاتها و حدودها نظرا لتشعب الواقع الدولي الذي جعل الشعوب تتخبط في صدام حقيقي بين مختلف الثقافات .⁽²⁾

ولهذا نجد عدة أسباب لصدام الحضاري منها توسيع الغرب لمشروعه العولمي ما جعل العالم مرتبط بالثقافة الصراعية، فالعولمة التي تنتظر لها الولايات المتحدة مبنية على الاستغلال والهيمنة والقضاء على الثقافات الأخرى وتصوير الآخر بكل صور الهمجية والتطرف على عكس عالمية الإسلام التي تدعو لتقبل الآخر والتفاعل الحضاري والثقافي بين المجتمعات المتنوعة ، وهذا ما يترجم بقاء الفكر الغربي مصرا على رفض التنوع الثقافي لكونه مجرد ظاهرة تاريخية عابرة سرعان ما تزول أمام العولمة الغربية ، ليتواصل هذا التضاد بتدخل دول المركز في شؤون الداخلية للآخر باسم حماية الأقليات ما يعزز الحروب الداخلية ويضاعف نعرات المعادة لكل ما هو غربي ، ضف إلى ذلك سعي السياسة الكونية إلى إعادة تشكيل الخطوط الثقافية بين الشعوب على أنقاض الحملة الأيديولوجية والقومية التي تركها الاتحاد السوفياتي لتكون هذه الخطوط هي نقاط الصدام في السياسة العالمية

⁽¹⁾ - محمد يحي: صراع الحضارات أم هيمنة الحضارة الغربية، مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الأديان ،مجلة البيان ، العدد 125 ، ص134

⁽²⁾ - بريجة شريفة: الهوية الثقافية بين إستراتيجيات التشكيل ورهانات الصراع ، مجلة مؤمنون بلا حدود، بحث محكم ، الرباط، 2020، ص15

وعلى سبيل المثال بروز الصحوة الثقافية والاجتماعية في العالم الإسلامي ما خلق تحدياً للغرب نجم عنه عدة آثاره سلبية على الاستقرار الدولي لذلك يورد "هنتغتون" بأن أواخر القرن العشرين شهدت حالة من الصحوة الدينية لدى المجتمعات غير الغربية المعادية لتغريب و الثقافة العلمانية في بلاد الإسلام علماً أنّ هذا الرفض كان موجهاً للإرث الحضاري الغربي ما أعطى للفرد مسلم نفساً متجدداً في تراثه الثقافي والديني ووجوب العودة له والمحافظة عليه ولكن ذلك لم يمنع العالم الغربي من سعي الدائم لتعميم قيمه والمحافظة على تفوقه العسكري والاقتصادي وتدخله المتواصل في الصراعات الداخلية في بعض أقطار العالم الإسلامي ولعل هذه الأريحية الغربية نتجت عن سقوط الشيوعية من خلال إسقاطه لعدو مشترك بين الإسلام والغرب ما فتح مجالاً لتصور كل منهما للآخر على أنّه العدو القادم هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يرى "هنتغتون" أنّ الاحتكاك المتواصل بين المسلمين والغربيين ولد إحساساً متنامياً بالهوية الخاصة لكل منهما عن الآخر وهو ما يطرح عدة تجاذبات فكرية وثقافية بينهما لدرجة التطرف وهذا ما حدث حقيقة في الثمانينات والتسعينات القرن الماضي وفي ذات الصدد نرصد أنّ أخطر أسباب الاختلال الغربي في تعامله مع الإسلام هو تعمد المفكرين والباحثين الغربيين دراسة الإسلام وتقييمه وفق نظرتهم المحلية فيصفون الإسلام بالأسود لكون أغلب من يعتنقه من السود وأنّ منهج الخلافة في الإسلام ما هو إلاّ البابوية الأوروبية التي استفحلت في القرون الوسطى المنحطة ، فلكي يتحرر الإسلام من هذه العوائل لابد عليه أن يتماشى مع مشروع التغريب لتحقيق الحضارة الإسلامية وجودها الحقيقي.⁽¹⁾

كما لا يمكننا أن ننفي دور المكون الديني متمثلاً في الديانة المسيحية في تعزيز الصدام الحضاري مع الآخرين إذ تعتبر النصرانية حجر الزاوية في الفكر الغربي فرغم الصراع المرير بين الفرد الأوروبي و الكنسية في الفترة القروسطية إلاّ أنّ الغربي يدين لها

(1) - عمر خروبي بزارّة: صدام الحضارات أم حوار الحضارات" دراسة مقارنة في جدلية الفكر الغربي والفكر الإسلامي" ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، المجلد 13، العدد 02، 2021، ص 248-249

بروحه وتوجهاته ويعتبر أنّ الكتاب المقدس أحد مرتكزاته الحضارية ، فالحديث عن الغرب يجرنا إلى استحضار أوروبا كمجال جغرافي وثقافي ، حيث عملت المركزية المسيحية على تمجيد الذات الغربية وتعزيز فكرة الوجود الأوروبي في العالم رغم الاختلاف الذي وقع بين الأقطار الأوروبية في المجال السياسي إلاّ أنّهم موحدون وجدانيا وعقلياً وحضارياً ولا يمكنهم تخلي عن مركبهم الثقافي مستمد من الحضارة الرومانية الذي جوهره الغلبة وإلغاء الآخر في ظل تماهي مسيحية قسطنطين معه، فهذا ما يؤكد تمسك الغرب المعاصر بديانته لكونها مبرر الدائم لأعماله العدوانية ضد المعارضين لأهدافه (1) ، فمشروع صراع الحضارات يمثل أحد أوجه خطاب التمرکز الديني ضد الإسلام إذ يمثل غزوا صليبياً من نوع آخر يسعى لتصفية الهوية الإسلامية من خلال تصير جديد يدعى العلمانية المعولمة فهذا أمر لا يمكن إغفاله في تحليل هذا المشروع الغربي فما صدره لنا "هنتغتون" على أنّه مبحث حضاري يخدم الإنسانية و يتنبأ بمستقبل البشر ويصل إلى إيجاد الحل المثالي لضمان الاستقرار الحضاري بين الأمم المختلفة مع عدم تجاوز المد الكنسي في المخيال الغربي مهما ادعوا من انقراط بينهم وبين المرجعية الدينية من خلال تصدير غايات العلمانية والعولمة لتحقيق الوجود الحضاري المشترك للإنسان .

نلاحظ كذلك إن أطروحة صراع الحضارات ذاع صيتها والهوس بها في العالم الغربي فجاء الباحث "بريان بيدهام" ببعض التعديلات عليها حيث نشر مقاله في الصحيفة الأمريكية المشهورة "الإيكونوميست " إذ يساير "هنتغتون" في غلبة الصراعية على علاقة الحضارات فيما بينها مستقبلاً حيث يعتبر "صاموئيل" أنّ هذا صراع سيكون بين سبع أو ثماني مكونات حضارية إلاّ أنّ "بيدهام" حصره في ثلاثة حضارات كبرى فقط الأولى هي الحضارة الغربية ممثلة في الثقافة الأوروبية والأمريكية والثانية مع الحضارة الصفراء التي تعكس المد الثقافي

(1) - جاكين روس : مغامرة الفكر الأوروبي "قصة الأفكار الغربية" ، تر: أمال ديبو ، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ، 2011

الكونفوشيوسي ، أمّا الحضارة الثالثة فهي الثقافة الإسلامية والتي تعتبر المنافس الشرس للغرب لكون الحضارة الغربية بقيت عاجزة عن تقويض الحضارة الإسلامية ضمن قيمها الفكرية نظرا لإيمانها بانها خاضعة في مكوناتها ومصيرها لأسس فوق القدرة الإنسانية .⁽¹⁾

إنّ منهج الصراع الحضاري عند "هنتغتون" الذي تعزز بعد هجمات 11 سبتمبر 2001م على برجى التجارة العالمية بعاصمة الأمريكية واشنطن من طرف تنظيم القاعدة بقيادة "أسامة بن لادن" وما نجم عنه من حرب شاملة على أفغانستان وعموم العالم الإسلامي إلى درجة وصفه بتصدير الإرهاب والتطرف للعالم الغربي المتحضر عن طريق التنظيمات والجماعات الإرهابية يعكس كون هذه الحضارات مجرد قبائل إنسانية متصادمة في شكل صراع قبلي عالمي في ظل تقسيمه للحضارات الكبرى إلى ثمانية حضارات متصارعة هي : الصينية ،اليابانية ،الهندية ،الإسلامية ، الأرثوذكسية ، الغربية ،الأمريكية اللاتينية، الإفريقية ،ولكن تبقى الحضارة الغربية هي مركز العالم الذي يكتب التسلسل المركزي لتاريخ البشرية لما تمتلكه من هوية ثقافية صلبة قابلة لامتزاج مع ضوابط الكونية في الانتشار والاستقطاب مقارنة بأي ثقافة حضارية أخرى تتطابق مع الانكفاء ولا تحبذ الطرح العالمي.⁽²⁾

وعليه فالمصدر المحوري في تثبيت عامل الصدامية في زمن ما بعد الحرب الباردة سيكون العامل الثقافي وليس الإيديولوجي ما يولد صراعا كونيا بين مختلف الحضارات الإنسانية ، إن لم نقل حدوث صدمات داخلية بين مجتمعات الحضارة الواحدة في ظل هذا التسابق الثقافي العارم ، ولكن رغم ذلك تبقى حدة هذه الأخيرة أقل توسعا بسبب التقارب الكبير فيما بينها عكس الخلافات بين الحضارات المتنوعة و هذا انعكس عليه البعد

(1) - جودت السعيد، عبد الواحد علواني: الاسلام والغرب والديمقراطية، دار الفكر المعاصر، بيروت ، 1996، ص 53

(2) - صماونيل هنتغتون : صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ، تر: مالك أبو شهيرة ،محمود محمد خلف،

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، بنغازي، ط1، 1999، ص 10

الصدامي في العصر الحديث فكانت بدايته صراعا غربيا داخليا بين الفاشية و النازية و الليبرالية والاشتراكية ليتحول بعد الحرب الباردة مسار السياسة العالمية من تجاذبات الذات الغربية إلى منهج حضاري صدامي مع حضارات الآخر غير الغربي .⁽¹⁾

وفي ذات الموضوع يعتبر "هنتغتون" أنّ مشروع صراع الحضارات سينحصر في مستقبله بين الغرب والإسلام وذلك أنّ مشكلة الفكر الغربي ليست مع الجماعات المتشددة أو الفكر الأصولي عند المسلمين بقدر ما هي مع الإسلام ذاته الذي يعتقد اتباعه أنّهم حضارة مختلفة عن كل ما سبقها ومقتنعة بتفوقها عن كل الحضارات الإنسانية نظرا لقدرتها على التفاعل مع جميع الأمم وانسيابية خطابها العالمي الذي لا يلغي الآخر بل يحتويه في نظام علائقي يبني على التضامن و التعاون على أساس وحدة العقيدة مع نظرتها التوسعية باعتبارها حضارة عامة ليست حكرا على جنس أو لسان بل لكل المجتمعات الإنسانية إمكانية مساهمة في تعزيز الحضارة الإسلامية من خلال وحدة المنهج الديني ، فهذه المكونات المتداخلة كانت وستكون جوهر خط الصدع بين الغرب والإسلام.

المطلب الثاني : إفتعال أطروحة نهاية التاريخ

لقد مثلت أطروحة نهاية التاريخ وخاتم البشر مع "فرانسيس فوكوياما" نهاية لما قدمه مشروع "هنتغتون" في صراع الحضارات ، حيث أكد "فوكوياما" نهاية عصر الصراع بعد ما حققته الحضارة الغربية من تفوق باهر في الجانب الاقتصادي والسياسي في ظل النظام الليبرالي الرائد ما ساهم في توسيع الهيمنة الغربية في العالم وتحولها بذلك لنموذج موحد تقتدي بكل الحضارات العالمية .

(1) - صماونيل هنتغتون: صدام الحضارات ، تر: نجوى أبو غزالة ، مجلة شؤون سياسية ، العدد 01، بغداد ، 1994،

لقد طرح "فوكوياما" فكرته في بداية الأمر في مجلة " **The National Interest** " خلال صيف 1989م في مقالة بعنوان "نهاية التاريخ" والتي يطرح فيها حجم التوافق بين حكم الديمقراطية الليبرالية وهذه الفترة التي تشهد سقوطا لعصر الإيديولوجيات من الشيوعية والفاشية إلى الملكيات الوراثية ، هذا ما شجعه ل طرح البعد الديمقراطي الليبرالي كمنتهى فعلي للتطورات المختلفة التي شهدتها مرحلة التجاذبات الإيديولوجية في تاريخ البشرية و نهاية الفكر الإنساني ، ولعل هذه النتيجة جاءت بسبب التناقضات التي شهدتها نظم الحكم التقليدية مقارنة بحكم الديمقراطية الليبرالية التي تحقق الوجود الأسمى لمرتكزي الحرية والمساواة حقيقة لا مجرد اشعارات وهما بذات سبب عرقلة أيّ تحول فعلي نحو التحضر المنشود ، كما عمل على تبرير مقارنته بالاعتماد على رؤية الفيلسوفين "هيغل" و"ماركس" اللذان أكدا استحالة بقاء المجتمعات البشرية بلا نهاية ،فنهايتها تكون لما يحقق هذا المجتمع حاجاته العميقة فيكونان بذلك قد وضعا نهاية تاريخية لكل مجتمع حتى وان اختلفا في التوصيف إذ رأى "هيغل" أنّ نهاية التاريخ تكمن في الدولة الليبرالية إلا أنّ "ماركس" حصرها في النظام الشيوعي، علما أنّ هذه النهاية لا يقصد بها تحجر كل شيء وتوقف عجلة التاريخ وإنما يراد بها توقف تطور المؤسسات الرئيسية و المبادئ المرتبطة بها نظرا لأن القضايا الكبرى سيكون قد تم حلها بعد صراع إيديولوجي وفكري بين المجتمعات السابقة .⁽¹⁾

وعليه تعتبر هذه الأطروحة انفعالا غريبا صريحا في المرحلة المعاصرة ،حيث أنّ الغاية من ميلاد هذا المشروع مبنية على التصادمات السياسية والاقتصادية والثقافية بين شعوب العالم ، فدعوة "فوكوياما" لتقسيم المجتمعات إلى ليبرالية تخطت التاريخ واخرى ليست ليبرالية مازالت غارقة في التاريخ أفضى إلى أنّ عالم ما بعد التاريخ يكون فيه العامل الاقتصادي هو العنصر الأساسي في تحديد نظم العلاقات بين الدول عكس المجتمعات

(1)- قيس ناصر راهي :نهاية التاريخ ، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية "العتبة العباسية المقدسة" ،العراق ط1 ،

الكلاسيكية التي تحدد عبر القوة العسكرية فهذه الرؤية تعكس تحولاً مشهوداً يتجلى في الأنظمة الغربية الليبرالية التي تكيفت فيها اختلافاتها القومية مع مرحلة المابعدية في التاريخ لتكون منهجاً لتوحيد الأسواق والمنتجات مقابل تراجع ملحوظ لمعاني السيادة في ظل ما يسمى العقلانية الاقتصادية، وفي المقابل يبقى العالم التاريخي المعارض لنموذج الليبرالي حبيس للموجات الصراعية دينياً وقومياً وسياسياً في ظل تمسكه بمنطق السيادة والنزعة القومية ما ينتج عنه قيام الحضارة الإنسانية على العالم التاريخي الرجعي والعالم ما بعد التاريخي التوتيري وهما اللذان لا يجدان اتساقاً أو توأماً بينهما إلا في حدود ضيقة فهم أقرب للتصادم في نقاط حساسة مثل إشكالية إنتاج النفط التي تبقى عسبا في العالم غير الليبرالي وهو في ذات الوقت شريان اقتصادي هام لعالم ما بعد التاريخ في الصناعة والإنتاج والذي قد يؤدي أحياناً لإدخاله في المعارك السياسية لنشر الفوضى ما ينعكس عن استغلاله بشكل سلبي قد يؤدي لعواقب مدمرة للاقتصاديات الغربية. (1)

وفي ذات الصدد اعتبر "فوكوياما" أنّ الوصول إلى الديمقراطية الليبرالية لا يكون إلاّ من خلال التطور التكنولوجي الذي يساهم في دحر النظم والإيديولوجيات المعادية في ظل تلائم هذا التطور التقني مع الثقافة الليبرالية السائدة في الحكم الديمقراطي وتوسيع السوق الحرة ، وعلى هذا يرى مفكرنا أنّ الديمقراطية تمثل أهم الشروط المسبقة لحدوث عملية التصنيع وضمان التطور الاقتصادي من خلال ثلاثة حجج أولها وظيفية ترى أنّ الديمقراطية ذات سمة عالمية في التطور فهي بذلك وسيلة الأنجع للحد من المصالح المتضاربة التي قد تتجم عن الاقتصاد المعاصر أمّا الحجة الثانية هي أنّ النظم الدكتاتورية تسير دوماً نحو التدهور مع الزمن خاصة إذا تصادمت مع إدارة مجتمع تكنولوجي متقدم و المرحلة الأخيرة تتمثل في البراهين التي ترى أنّ عملية التصنيع ناجحة تتولد معها طبقة

(1) - فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، تر: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة، ط1 ،

متوسطة في المجتمع تطالب بالمشاركة السياسية الحرة والمساواة في الحقوق، فهذا الانتقال المرحلي يعكس مساهمة التطور التكنولوجي في إرساء الديمقراطية الليبرالية في المجتمعات التي تنشأ الفعل الحضاري.⁽¹⁾

ورغم ذلك إلا أن التطور التكنولوجي والتقدم الاقتصادي عند "فوكوياما" لا يحققان وحدهما المطلوب إلا بتقديم تفسير جدي للأحداث التاريخية من خلال نيل الاعتراف والتقدير معتمدا على ما قدمه "هيغل" في التفسير العقلي لتقدم التاريخ وليس من التفسير المادي الذي انتهجه في توضيح التفسير العلمي والاقتصادي ، فالرغبة في نيل الذات الغربية للاعتراف والتقدير كمفهوم غربي خالص مع كل من فكرة "ثيموس" عند "أفلاطون" ، ومع تعطش الإنسان للمجد مع "ميكافيلي" وفكرة كبرياء الإنسان مع "هوبز" ، فهي بذلك رغبة انسانية لتأكيد الذات على الآخرين في شكل صراع من أجل نيل الاعتراف والتقدير وهذه هي حالة الثيموس التي تعتبر كلمة نقلها " فوكوياما " من عند افلاطون في كتابه الجمهورية الجزء الرابع والتي يقصد بها إجمالاً "القلب الشجاع" أي مركز الانفعالات والتقلب والرغبة وتفسر أحيانا عند بعض بمعنى الروح أو النفس وعند فرنسيس يقصد بها تلك الحالة التي يهدف منها الإنسان لإسباغ قيمة على الأشياء من أجل نيل الاعتراف للذات من الآخرين لمواجهتهم وهذا ما لا يتحقق إلا في الديمقراطية الليبرالية التي جعلت الاعتراف جوهرًا عامًا لكل المواطنين، بحيث يعترف كل شخص بحرية واستقلالية الآخر وهو ما يعكس لدى الفرد شعورا بالعدالة حينما يجد التقبل والاحترام وعلى نقيض ذلك لما يرى التمايز القيمي بينه وبين الناس تتولد حالة الغضب ويسعى لجلب الاعتراف بذاته بالقوة وهذا ما ينجم عنه مرادفات التمرد والثورات⁽²⁾ ، ولهذا لعب العامل الغضبي دورا هاما في كسر مركزية التاريخ

(1) - فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، المرجع السابق : ص 111-113

(2) - يحي سعيد قاعد: أطروحات فوكوياما وهنتغتون والنظام العالمي الجديد ، مركز البيان للبحوث والدراسات ، الرياض

وخلق الفعل السياسي وما يتبعه ذلك من تحولات إيديولوجية كبيرة ، لذا فإن الحديث عن المقاربة التيموسية في الأحداث التاريخية قد يؤدي لاستبعاد نهاية محددة للتاريخ و تفتحه على كل السيناريوهات في ظل متغيري "الأيروتيميا" التي تمثل رحلة بحثية لإشباع مطالب الانسان الدائمة بينما " الميغالوتيميا" فهي شعور يدفع الفرد إلى الانتماء إلى الجماعات والتكتلات لعيش في مجال أمان مشترك لتحقيق غاية الاعتراف لأن غياب هذه العوامل ينشأ التعصب والغضب اللذان يؤثران على السياق التاريخي في ظل العنف المتصاعد بين الذات والآخر.

لذلك نجد "فوكوياما" كتب التاريخ العالمي عبر مساريين تاريخيين متوازيين الأول تمثل في الرغبة عبر تطور العلوم الحديثة والثاني الصراع من أجل نيل الاعتراف بالذات أي "التيموس " حيث يتوصل بعد ذلك إلا أن نهاية التاريخ كانت موحدة متمثلة في الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية من خلال إحتواء كل التشريعات الغربية على معطى المساواة السياسية و ضمان المساواة الاقتصادية في ظل وفرة رؤوس الأموال والشركات في نظام السوق الحرة.

إذ اعتبر المفكر " فرنسيس" أن مأساة السبت الأسود الموافق ل11 سبتمبر 2001م ضد برجى التجارة العالمية بالولايات المتحدة من طرف تنظيم القاعدة الإرهابي علامة فارقة في المرحلة المعاصرة و اهتزازا لما رسمه مشروع نهاية التاريخ بكون هنالك أجزاء من العالم مازالت تسعى لعرقلة المسار التطوري لديموقراطية الليبرالية والحدثة مثل الجماعات الإسلامية المتطرفة ، فهو يعتقد أنه لم يرى الحدثة إلا مرتبطة بالديمقراطية والأسواق الحرة التي تهيمن على العالم مع التغاضي عن أسس ثقافية أخرى ساهمت في صياغة الأصولية الاسلامية في الأعوام الأخيرة من خلال أن القيم الليبرالية ما هي إلا نسخة لنزعة مسيحية عالمية ما جعل المجتمعات المسلمة تنتظر بريبة لكل ما يصدر عن الغرب وهذا ما أهل الإسلام ليكون المنتظم الثقافي الوحيد الذي أعلن معاداته للفكر الحداثي عن طريق أشخاص أمثال بن لادن وحركة طالبان رغم أن هنالك من يرى أن الاصولية لا تمثل إلا نفسها في

الفكر الإسلامي غير أنّ الواقع يؤكد حجم الرفض لسياسة الأمريكية في المنطقة كونها ممثلة للهيمنة الغربية فهذا الشعور هو أكثر انتشارا في الواقع الإسلامي ، ولكن في نهاية المطاف لا يمكن للسياسات العالمية أن تخرج عن هيمنة الغرب الديمقراطي الليبرالي وهذا لا ينفى خلو العالم من الصراعات واختفاء الثقافات ليبقى هذا الصراع ليس تصادما ثقافيا مثل ما حدث في القرن التاسع عشر في القارة الأوروبية بل لا يعدو أن يكون مجرد معارك وقائية من بعض المجتمعات التي تحمل نزعة دفاعية جراء نظرتها إلى الحداثة كونها تهديد وجودي لخصوصيتها ما ينتج ردها القوي بسبب قسوة التهديد رغم أنّ راهنية العصر تغلب القيم الحداثية التي تجعل الولايات المتحدة الأقرب لنصر على هذه النواظم الرجعية .⁽¹⁾

ضف إلى ذلك أنّ "فوكوياما" لم يخفي رفضه للأصولية الإسلامية التي تمثل تحد فكري وحضاري للديمقراطية الليبرالية خاصة أنّ الإسلام يقدم بعدا إيديولوجيا منتظما ومتناسقا مثله مثل الليبرالية والشيوعية ، خاصة في ظل تمركز الإسلام حول دعوته العالمية بعيدا عن النزعات العرقية أو القومية في تحديد المجتمعات الإنسانية هذا ما جعله يتمكن من مشاريع الديمقراطية الليبرالية في أغلب بلدان العالم الإسلامي و يقوض أيّ تحرك ليبرالي محتمل حتى في الأنظمة السياسية التي لا تحمل توجهها 'سلاميا بصورة مباشرة ، فهذا ما أدّى إلى ظهور تحديات مباشرة للغرب بعد نهاية الحرب الباردة التي لعب المكون الإسلامي خلفية حقيقية في بروزها بغض النظر عن الخطابات الاستعراضية مثل ما حدث مع النموذج العراقي ضد الغرب في عدة محطات.⁽²⁾ ، فهنا يبرز قلق الغرب من الاصولية الإسلامية التي يحكم دوما بفشلها أمام الطموحات الغربية خاصة في كونها بقيت مرهونة بصراع داخلي يتجلى في المحافظة على التقاليد من جهة ومن جهة أخرى مواكبة الغرب

⁽¹⁾ - المركز العالمي للإستشارات الإستراتيجية : مهلا هانتغتون..مهلا فوكوياما، مكتبة العبيكان، الرياض، ط2، 2004 ، ص 14-18

⁽²⁾ - فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر ، المرجع السابق ، ص 56 .

تقنيا ما أسهم في تفهقر الكبرياء الإسلامي في ظل الانتشار السريع للحدثة الغربية في المجتمعات البشرية من خلال أنّ الغرب هو المركز الحضاري في العالم والمولد الحقيقي للبواعث الإنسانية ما سيجعل المد الإسلامي غير متكافئ ومجرد هامش قيما وتطورا مع العالم الغربي.

ومع أنّ الاسلام أبدى قوة في صحوته التي تعتبر مجرد نتيجة للضغط المتولد عن القيم الغربية على العالم الإسلامي في ظل غياب أي جاذبية محتمل للديانة الإسلامية خارج مناطق توسعها التقليدية ما نتج عنه انحصار المد التوسعي الإسلامي ، وهذا التفهقر ما هو إلاّ صورة تاريخية مكررة لما حدث من هزائم للأنظمة والأيدولوجيات القوية سابقا التي مثلت التيار المعاكس للديمقراطية الليبرالية عند "فوكوياما" كالملكية والفاشية ثم انهيار الشرق الاشتراكي في زمن الحرب الباردة ، لنظل بذلك على العالم بمرحلة جديدة الغت عصر التوجهات الإيديولوجية وتدوير الأحداث التاريخية حسب المشاريع المستجدة على العالم متجلية في مشروع نهاية التاريخ وميلاد الأمة الخاتمة لمسار البشرية في ظل الحرية والمساواة في كل من الولايات المتحدة وأوروبا غربية خاصة نظرا لاعتبارها الحيز المكاني الحاضن للنظام الديمقراطي الليبرالي الذي يعد ملتقى الثقافات والحضارات في العالم.⁽¹⁾

ومع ذلك إلاّ أنّه حسب "فوكوياما" توجد عقبات تمنع إقامة الديمقراطيات الليبرالية في العالم أولها درجة الوعي القومي والعنقي والجنسي في الدولة المستهدفة، إذ لا يمكن لهذا المشروع أن يتكون في دولة تتميز بنزعة وطنية قوية لدى الجماعات المشكلة لكيان هذه الدولة والعقبة الثانية تشمل البعد الثقافي متجليا في الخلفية الدينية التي لم تخلق مجتمعات حرة ما يجعلها تتصادم مع مبادئ الحرية والمساواة في النظام الديمقراطي الليبرالي ، فالعالم الغربي تتحرر من ضيق المسيحية بإجماعها بالعلمانية قبل ظهور الليبرالية و جعل علاقة

(1) - علي حرب: حديث النهايات:فتوحات العولمة ومأزق الهوية ،المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2004، ص96-97

الإنسان بالإله أمراً خاصاً وفصلت بذلك المجال الديني عن شؤون السياسة وهذا ما أهل المجتمعات الغربية لتكون أثراً مقبولاً لهذه التغيرات المستجدة رغم حكم فيلسوفنا أنّ الدين الأكثر تقبلاً لمعاني النظام الجديد هما اليهودية الأرثوذكسية والإسلام لكونهما أكثر شمولية وسعياً لتنظيم مظاهر حياة البشرية عامة وخاصة ، ولكن الإسلام له نزعة اصولية أنتجت صحوة واسعة لدى المسلمين بسبب الخطر الذي شكلته القيم الغربية على المجتمعات الاسلامية الكلاسيكية ما فاقم دائرة العداء بين الإسلام و الليبرالية في الكثير من المحطات ، أمّا المانع الثالث في تحقيق البناء الديمقراطي هو حقيقة الواقع الاجتماعي في عديد الأقطار التي تتميز ببنية غير عادلة بشدة بين أفرادها ما يجعل الفعل الحر مرهوناً بصراع متصاعد بين أجزاء الكيان الاجتماعي الواحد ،ضف إلى ذلك عدم قدرة المجتمع على التوجه نحو مجتمع مدني حقيقي ، فالحكم الديمقراطي ليست حكماً ذاتياً للناس بقدرة ما هو إرادة في حكم الذات بكل ما يرتبط بها تنظيمياً ونقابياً وسياسياً بأنفسهم ما يؤهلهم أكثر لتحقيق التجربة الديمقراطية الليبرالية .(1)

فهذه التجربة الرائدة لم تحقق إلاّ مع النموذج الأمريكي حسب "فوكوياما" ولكن المتأمل في حقيقة الواقع الأمريكي كمثال على تطبيق الديمقراطية الليبرالية يرى وضعا داخليا مليئاً بالصراعات بين السود والبيض وارتفاع صدى الحركات العنصرية في إلغاء واضح لما يدعى نزعة الاعتراف حتى لدى الذات الأمريكية قبل الآخر المستهدف ، وهذا ما يؤكد أنّ الأمة الأمريكية أتمت دورتها الحضارية و بدأت تظهر عليها معالم الانهيار في ظل الارتفاع الرهيب للجرائم و تقوي خطاب المعادة ضد المهاجرين في عودة لفكرة رفض الآخر خاصة بعد هجمات 11 سبتمبر 2001م ،فتلك الهجمات جعلت باحثنا يراجع حساباته في نظريته نهاية التاريخ بعدما صارت أفكاره منافية للواقع المعاش في ظل خطر الجماعات الإسلامية المتطرفة التي يعتقد أتباعها أنّ الموت أحسن من عالم تحكمه القيم الغربية في ظل دول

(1) - فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر ، المرجع السابق ، ص 194

إسلامية أنهكتها المؤامرات الاستعمارية وموجات الاستقطاب المتعددة ، هذا ما كان دافعا خارجيا للولايات المتحدة لتصنيف كل الحركات المقاومة لمشاريعها بوسم الإرهاب والرجعية ما أباح لها فيما بعد اتخاذ هذه الذرائع للعودة مجددا للموجة الاستعمارية لعدة دول إسلامية مثل أفغانستان والعراق و تحول الليبرالية لعصا غربية تواجه الإسلام إيديولوجيا بعدما أطلق الغربيون على الإسلام لقب المارد الأخضر الجديد الذي خلف المارد الأحمر السوفياتي وأصبحت بذلك دعوة فوكوياما مجرد حديث ارتجالي لا يوافق الواقع العالمي.⁽¹⁾

ولعل اعتماد "فوكوياما" في جوانب أخرى على أسس واقعية وتاريخية لتبرير مشروعه من خلال توسع النزعة الرأسمالية في مختلف الدول لهو دليل قاطع على النجاح الاقتصادي للديمقراطية الليبرالية في ظل التراجع الكبير للمد الاشتراكي وتحول النظام الدولي الجديد إلى أحادية القطبية وما يمثله ذلك من انتصار سياسي يؤكد حسبه سيرنا نحو نهاية التاريخ المنشودة ، هذا ما جعل كل النماذج المعادية تفشل إلى درجة كبيرة في إسقاط النموذج الغربي الغالب على الساحة العالمية ، ولكن تبقى هذه المعتقدات هي سم في العسل الذي ساقه فرنسيس للمد الأمريكي حيث قدم لنا في مشروعه كل ما يخدم السياسة الأمريكية متناسيا أنّ النزعة الرأسمالية كما قدمها بقيت حبيسة المجال الأمريكي لأنّ كل الدول قولبتها بما يخدم شؤونها الاقتصادية الداخلية هذا من جهة ومن جهة أخرى يبني نظريته على نهاية الشيوعية والتي كانت في حقيقة أحد المشاهد الدورية للتاريخ بقيام أي حضارة وعودة انهيارها في الأخير في إطار التعاقب الدوري بين الحضارات ضف إلى ذلك تبنيه لفكرة فشل كل المشاريع الراضة للسياسات الأمريكية في العالم ، ولكن واقع معاكس تماما فالمد الاصفر على رأسه الصين يسيطر بالتدرج على المداخل الهامة للتجارة والاقتصاد العالمي في ظل معاناة الاقتصاد الأمريكي من تراجع الاستثمارات وارتفاع المديونية الداخلية و نزوع

(1) - براج عمر: نهاية التاريخ بين تصوري ماركس وفوكو ياما، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، المجلد 9 ، العدد 2 ،

أوروبيين لتمرکز حول ذاتهم بعيدا عن وحدة العالم الغربي ما خلق حالة من الاستقطاب الداخلي في الفضاء الغربي ، كما لا ننسى الانسحابات المتتالية الولايات المتحدة من الدول الإسلامية التي استعمرتها باسم نشر القيم الديمقراطية وحقوق الإنسان في كل من العراق وأفغانستان والصومال ما يشكل فشلا عسكريا ذريعا وهو ما ينبئ بتهاو وشيك للنظام الدولي الجديد وحدث اختراق حضاري جديد في عصر ما بعد الأمركة .

وعليه نصل إلى أنّ "فوكوياما" في أطروحته نهاية التاريخ التي مثلت في حقيقة الحال مجرد عصر للنهاية الأمريكية من خلال محاولة إنهاء الإسلام باسم الحرية والمساواة الإنسانية ، وتصويره للعالم ككل كونه كيان ثقافي وشعوري يهدف للرجعية ونشر الإرهاب لتقويض السلم العالمي ومنع المجتمعات البشرية من الوصول إلى غايتها المنشودة بعالم مستقر ومتطور يؤمن بالحرية والمساواة في كنف التطور التكنولوجي والتقدم الاقتصادي لنصل إلى أحادية ثقافية تلغي براديجمات التصارع والتخلف في حياة البشر ، ولكن حقيقة الواقع أثبت أنّ الولايات المتحدة الأمريكية لم تقدم للعالم سوى الانهيارات الأخلاقية والقيمية و أشعلت الحروب والفتن بين الدول وحاولت غزو الثقافات المختلفة لترويضها بما يخدم مصالحها باسم الديمقراطية الليبرالية في إثبات جديد لنزعة التمرکز الغربي اتجاه الآخر واعتبار كل ما هو خارج الإطار الغربي مجرد حواشي لا بد أن تقاد بعقلية الاستتباع لكون الآخر عاطل عن إدراك التطور والتحضر بدون الهيمنة الغربية .

إن إحدائيات الفكر الغربي لطالما عملت على تصدير مشاريع وتصورات تخدم الذات الغربية الجامحة في كل الظروف والمتغيرات ، ولعل التسلسل التاريخي والفكري للوقائع المطروحة يتشعب عبر العصور لتحقيق غاية منشودة، ولكن خطاب الغرب لا ينفرد يحوم حول صناعة المجد الغربي الذي حصر التحضر الإنساني فيه منطلقا من أمجاد الرومان والإغريق الذين مثلوا معجزة في صناعة فعل التحضر واسترشاد بالعقل الذي كان محركا دافعا في النهضة الأوروبية في العصر الحديث وسعيه لعولمة قيمه وثقافته على كل

الحضارات الأخرى بكل الوسائل ، فكل تلك الروابط تعكس تمرکز العالم الغربي حول نفسه و الغائه للآخر الذي لا يعتبر إلاً أطراف و توابع مقارنة بما تصبوا إليه الفاهمة الغربية في عالم ذو بعد واحد في القيم والأفكار والتاريخ والحضارة للوصول إلى نظام علائقي يحقق منظومة القرية الكونية في التواصل والاتصال بين المجتمعات الإنسانية، لتكون هذه الوسوم الأخيرة بمثابة وثبة حقيقية لنهاية التعاقب الدوري للأحداث التاريخية على اعتبار أننا وصلنا لقمة التحضر الإنساني في ظل هذه الحضارة الغربية متطورة علميا وتقنيا بشكل مبهر للغاية.

خلاصة :

لقد توصلنا في مناقشتنا لهذه الظواهر والمشاريع التي تبنتها الحضارة الغربية لفرض خطاباتها في العالم كأداة فعالة في السياق الحضاري من خلال دراسة ثقافات الغير بنزعة استعلائية في الماضي عبر المشروع الاستشراقي والذي تولد عليه في المرحلة المعاصرة ظاهرة الرهاب من الإسلام ما أنتج لنا مسارا يرى بوجوب ترويض العقيدة الإسلامية بما يخدم الذات الغربية المتطلعة للريادة الحضارية ، وأكد أنّ ذلك لا يتأتى إلا بتوطين العلمانية و إذاعة المد العولمي بفصل التنوع الديني والثقافي عن واقع المجتمعات الإنسانية وهذا ما سيساهم في حصر العالم في قرية كونية تتماشى مع الرؤية الفوقية لدى الغربي في الوصول في نهاية المطاف إلى عالم ما بعد الحرب الباردة الذي تأرجح بين الافتعال والانفعال في الفكر الغربي بصناعة هوية عالمية موحدة تنطلق من التصادم الحضاري مع "هنتغتون" إلى أطروحة نهاية التاريخ مع "فوكوياما" .

الفصل الثالث

البدايل الحضارية لخطاب التمرکز الغربي: علم الاستغراب و حوار الحضارات أنموذجا

المبحث الأول: علم الاستغراب كبديل حضاري للهيمنة الغربية

المبحث الثاني: مشروع حوار الحضارات سبيل لقبول الآخر

المبحث الثالث: إضاءات نقدية على مشاريع الذات الغربية

إنَّ الإنتقال النمطي من رؤية الغرب الجامح دوما نحو السيطرة على العالم من خلال نشر معالم ثقافته وتوسيع مشاريعه بما يخدم ذاته الحضارية لم يبق دون مواجهة من الآخر الشرقي، ففي ظل منطق الهيمنة والقوة المفروضة برز معها معنى المقاومة الحضارية بتقديم المشاريع البديلة لصد آليات خطاب التمرکز الغربي، والتأسيس لنظرة جديدة تحفظ القيم الشرقية عموما و الإسلامية على وجه الخصوص وتعكس التصورات الموجهة ضد الحضارة الإسلامية من عينة مستهدفة بالبحث والتدجين الى ذات باحثة في الآخر الغربي وبل مقدمة للحلول التي تخدم التعايش الإنساني و التنوع الثقافي بين الأمم وعلى ذلك يعتبر مشروع علم الاستغراب وحوار الحضارات بديلين حضاريين لمشاريع المركزية الغربية كيف يمكننا تبرير ذلك ؟

المبحث الأول: الاستغراب كبديل حضاري للهيمنة الغربية.

مشروع الاستغراب بديلا حضاريا ساهم بشكل بارز في قلب الموازنة الحضارية في الفكر الإسلامي من كون المجتمعات الإسلامية وتراثها مجرد عينات قابلة للدراسة من قبل المستشرقين، إلى تحول حاسم في الفكر الإسلامي نحو دراسة الحضارة الغربية وتمحيص أفكارها ومذاهبها في ظل إبراز جودة الإرث الإسلامي وإسهاماته في الحضارة العالمية . ولعل هذا الاستحداث الحضاري الهام كان مع المفكر المصري حسن حنفي الذي أسهم في تقديم دراسات بديلة لما يقدمه علماء الشرقيات من نظرة دونية وسلبية عن الحضارة الإسلامية و عكس مرآة البحث في مرتكزات الحضارية الغربية بالتحليل والتمحيص الجاد.

المطلب الأول: مشروع علم الاستغراب

أ/ التحديد اللغوي و الاصطلاحي:

1/ المعنى اللغوي:

ورد في لسان العرب "لابن منظور" أنّ الاستغراب يقع مع كثير الضحك ، ففي الحديث يقال أنّه ضحك حتى استغرب أي بالغ فيه. وقيل في تفاسير أخرى أنّ القهقهة هي الاستغراب ، كما يجوز أن يكون المتناهي في الحدة من جهة الغرب أمّا عند الشعراء فاستغرب الدمع أي سال عطفًا على أنّ الغرب هو الماء الذي يسيل في الدلو .⁽¹⁾

كما أنّ الغرب هو خلاف الشرق وهو المغرب إذ يقول تعالى: ((رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ.))⁽²⁾ ، فأحد المغربين أقصى ما تنهي إليه الشمس في الصيف أي أقصى ما تشرق منه والآخر أقصى ما تصل إليه في الشتاء أي أقصى لمغربها في الغروب.⁽³⁾

مما سبق نرى أنّ اللفظ الاستغراب مأخوذ من كلمة غرب بمعنى غروب الشمس ومنه يكون المراد من الاستغراب هو علم الغرب وعليه يقصد من كلمة المستغرب هو ذلك الإنسان الشرقي الذي أدرك لغات الغرب وآدابها وحضارتها.⁽⁴⁾

(1) - جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ج1، ط1، 2003، ص 747

(2) - القراءان الكريم : سورة الرحمان ، الآية 17

(3) - محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مجلة الثاني ، ط1، بيروت، 2007، ص 286

(4) - أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1998،

2/ المعنى الاصطلاحي:

لقد شهد هذا المصطلح تداولاً واسعاً لدى الباحثين قبل حنفي خاصة مع أخذه دلالة متابعة الحضارة الغربية في أنماطها الفكرية والتصورية ، فقد طرحه أديب العرب "مصطفى صادق الرافعي" بهذا المعنى في كتابه "تاريخ آداب العرب" في أوائل القرن العشرين ، وكذلك وردت مفارقة الاستشراق والاستغراب عند "زكي مبارك" في أواخر الثلاثينيات في مجلة الرسالة ضمن قصته ((ليلي المريضة في العراق)) ، لينتقل استخدام هذا اللفظ في أوائل الخمسينات في الحركة الإصلاحية الإسلامية مع الشيخ "البشير الإبراهيمي" وغيره لتطور فيما بعد مع مؤلفات "محمد لغزالي" و"محمد قطب" ويظهر أيضاً في مؤلف ((منهج الغربيين في كتابة عن التاريخ الإسلامي)) للشيخ "عبد العظيم الديب" لتكون بدلالة التغريب أو التغرب أو حتى التفرنج ونحوها.⁽¹⁾

لقد عالج الباحثون العرب مصطلح الاستغراب من خلال اتجاهين يعتقد الأول أنّ الاستغراب هو تحويل الآخر إلى ذات مدروسة وتحويل الأنا إلى الذات الدارسة، ومن خلال هذا نجعل من الآخر موضوعاً خاضعاً للبحث نقداً و تحليلاً وهو ما يجعل الاستغراب يعكس دراسة الحضارة الغربية بكل معطياتها وإنجازاتها وروادها . ومن أتباع هذا الاتجاه "حسن حنفي" ، "مازن مطبقاني" ، "أحمد الشيخ" ، "محمود ماضي" . أمّا الاتجاه الثاني فيرى أنّ الاستغراب هو ذلك السلوك المعرفي والبحثي المتأثر بالغرب بشكل كلي والحاضن لثقافته ، وهو بذلك يؤسس لخضوع الأنا لحكم الآخر الغربي وبذلك لا يمكننا حل أزمت الأنا

(1) - محمد الهامي : نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب ، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع ، د.ط ، 2015، ص 24

الإسلامية إلاً بحلول غربية ومما مثلوا هذا التوجه هما كل من "الطيب التيزيني" ، "عبد الله الشارف".⁽¹⁾

وهناك من رأى الاستغراب عبارة عن دراسات علمية وفكرية وثقافية للغرب تتميز بالمنهجية في الطرح وتتبع قواعد البحث العلمي في دراسة الغرب من خلال واقعه المعاصر عبر كل المستويات من الجانب الدني إلى غاية مناقشة مواضيع المجالات العامة لضمان سهوله تحليله وإعادة تصدير مفاهيم الثقافة الإسلامية بصورة إيجابية في المجتمعات الغربية ، فهو بذلك يعاكس التغريب الذي يتأسس على مقولات الاستعلاء والتشويه والإكراه والسعي إلى إحالة الآخر المغاير إلى تابع مقلد ومستهلك لقيم الفكر الغربي ومنتجاته المادية، لكي يتماشى مع تصوراته ومشاريعه الآنية والمستقبلية. وعلى النقيض فإن المشروع الاستغرابي يهدف إلى الحفاظ على الهوية الإسلامية دون تنكر أو جحود لما يقدمه الآخر للحضارة الإنسانية.⁽²⁾

إلا أن كلمة الاستغراب أصبحت تحمل دلالة مميزة في فكر "حسن حنفي"⁽³⁾ في مؤلفه " مقدمة في علم الاستغراب" الصادر عام 1991، حيث قدمه كنقيض لمشروع الاستشراق ،وسعى من خلاله إلى دراسة الغرب برؤية شرقية خالصة. ولكن من المؤكد أن هذه الدعوة وجدت عند مفكرين كثر قبله ولكن نصية التسمية جعلها تحظى بالقبول الفكري لدى جمهور الباحثين كونها ظاهرة ثقافية تناهض المدرسة الاستشراقية بدراسة الغرب بذات شرقية معترزة بترائها حيث يقول حنفي في هذا: ((إن الاستغراب هو الوجه الآخر مناقض

(1) - محمد سالم سعد الله : نظرية الاستغراب في الفكر العربي المعاصر ، مجلة الفتوحات ، العدد01، جانفي 2015، ص52

(1) - حسن البارقي: الاستغراب "البعد الديني في الاستغراب المعاصر"، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد4، العدد03، 2016، ص155.

(3) - حسن حنفي(1935-2021) مفكر مصري يعتبر أحد منظري اليسار الاسلامي وتيار علم الاستغراب.

للاستشراق الذي مثل رؤية الأنا الشرقية بعيون الغرب من خلال دراسة الحضارة الإسلامية من باحثين لهم بناء شعوري لا يعرف حقيقة الإسلام ما يجعلنا نؤسس علما مضادا يدعى الاستغراب تنقلب فيه الموازين والأدوار ليصبح الأنا الغربي من الدارس بالأمس إلى (المدرس اليوم)).⁽¹⁾

ب/ حقيقة مشروع علم الاستغراب عند حسن حنفي:

يعتبر الاستغراب محاولة منهجية لمواجهة تبعات الخطاب الاستشراقي الذي يخدم نزعة الهيمنة والتعالي على الآخر ولا يتم ذلك إلا من خلال القضاء على مركب النقص من كل ما هو أوروبي في الجانب اللغوي والثقافي والعلمي، لأنّ تجاوز الهيمنة المعرفية الغربية ويتطلب أن يكون مشروعا صارما يتجاوز دونية الشرقي التي كرستها بحوث المستشرقون ل عقود من الزمن ، ولهذا يمكن اعتبار اللحظة التاريخية والمؤثرات الاجتماعية والثقافية عاملا داعما لفهم مفارقة الاستشراق والاستغراب، فلو نظرنا وقت ميلاد البحث الاستشراقي لوجدناه متولدا بعد سقوط الحضارة الإسلامية في غرناطة مع تعزز خطابه بفلسفة الأنوار ومناهج العملية في دراسة الظواهر والمجتمعات غير الأوروبية وبالتالي كانت أنساقه تتماشى مع المسار الكولونيالي للحضارة الغربية، إلا أنّ علم الاستغراب حسب حنفي لا يعكس نزعة السيطرة بقدر ما على الأنا الأوروبية بقدر ما يمثل حالة من الانعتاق من هيمنة الآخر وخلق حالة من التكافؤ بين الأنا والآخر بعيدا عن الصراع والاستعلاء.⁽²⁾

ويعتبر كتاب " مقدمة في علم الاستغراب " للمفكر "حسن حنفي" جزء من خلاصة مشروعه النهضوي "التراث والتجديد" الذي ينقسم إلى ثلاثة محاور: الموقف من التراث

(1) - حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط 2، 2000، ص 23

(2) - حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، المرجع السابق، ص 24-25

،الموقف من الآخر الغربي ،الموقف من الواقع ، إذ يعتبر كتابه "مقدمة في علم الاستغراب" إندراجا في موقفه من الغرب ،حيث أكد فيه على أنّ هذا العلم هو أداة للرد على شبهات الاستشراق ودعوات التغريب بغرض إبعاد الذات الحضارية عن أوهام التغرب في ثقافة الآخر . هذا ما سيسمح في ظهور روح الإبداع في الأنا الشرقية مع تحويل الآخر الغربي موضوعا للدراسة بدلا أنّ يكون مصدر للعلم وهذا يساهم في تراجع خطاب المركزية الغربية، وإنهاء أسطورة الحضارة الكونية التي مثلت دوما مركب العظمة لدى الغرب .حيث طبق حنفي ذات المنهج الاستشراقي في دراسته للتراث الغربي معتمدا على المسار التاريخي ومنهج التحليل والإسقاط الذي عانت منه الحضارات الشرقية من قبل المستشرقين في دراساتهم ليكون بذلك علم الاستغراب تعبيرا واضحا عن النضج الحضاري الذي بلغه الفكر الإسلامي من مجال الانفعال إلى مجال الفعل، ما سمح فيما بعد بحصول عملية إبداعية وموضوعية حررته من النقلية السائدة سابقا في ظل رفض حنفي لأيّ إضافة يتحدث فيها الغربيون أو المتغربون عن التراث الإسلامي في علمه المستجد الذي يمثل إبداع الأنا فقط بعيدا عن مؤثرات الآخر الغربي.⁽¹⁾

لقد مثلت الدراسات الاستشراقية حصارا حضاريا على التراث الإسلامي وذلك بسبب الإقطاعية المعرفية للغرب في معالجته لمتعلقات الشرق، خصوصا وأنّ الاستشراق مثل فعالية لتمرکز الغربي في رؤيته للآخر بتزييف الخصوصيات الثقافية و عمله بنظرة معادية لكل ما تطرحه المجتمعات الهامشية ليوافق ذلك استراتيجية المركز الموجه كأداة أكثر مرونة في تثبيت قواعد العقل الغربي المنتج لتفوق الذات، مقابل تحجيم دور الآخر الشرقي في المعادلة الحضارية ، وبهذا تولد علم الاستغراب كمسلك للتححر وإلغاء الخلفيات السلبية بين الأنا والآخر عبر التاريخ ونسف مركب العظمة الغربي تحويله من الدارس إلى موضوع

(1) - محمد الهامي ، نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب ، المرجع السابق ، ص 35-37

الدراسة خاصة مع استبيان الدور الإيديولوجي والسياسي الهدام للبحث الاستشراقي و تحركه كأحد ببادق المد الاستعماري لفرض الهيمنة الغربية على العالم الشرقي ، وهذا ما أهّل الاستغراب لإعادة الترتيب الأنا الإسلامي بفهم العالم الغربي بأكثر عقلانية وموضوعية تسهم في تقويض عنفوان خطاب التمرکز الغربي بإلغاء ثنائية المركز والهامش وما ينعكس على هذه الوضعية من توازن ثقافي في الحضارة الانسانية بعد انتهاء أسطورة الغرب السائدة وعليه يصير مشروع الاستغراب عملا ينتج خطابا ثقافيا وحضاريا متوازنا يحقق وجود الأنا و يرجع الآخر الغربي لمجاله ويدرسه بحقيقته ويسمح للغرب بمعرفته بإنصاف وعدل.⁽¹⁾

ولكي نفهم أكثر المنهج العلمي للاستغراب حسب حنفي لابد من ضبط مهامه المعرفية لمواجهة الأنا الغربية المتعالية وذلك من خلال استكمال عصر التحرر من الهيمنة الاستعمارية في كل المجالات السياسية والثقافية لضمان التحرر الحضاري الذي يقوض معالم المركزية الأوروبية ، مع إلغاء التمدد الثقافي الغربي ورده لحدوده الطبيعية التي تجاوزها بسبب عدة عوامل ومبررات سواء بدواعي الاستعمار أو التصير أو الكشف الجغرافية وهذا ما سيحقق لا محالة انزياح اسطورة الثقافة العالمية التي يتغذى بها العالم الغربي لتمير أجداته التوسعية ، إذا لا يمكن للعالم أن يبقى حبيس ثنائية المركز والأطراف في صناعة الفعل الحضاري والثقافي ، وعليه لابد من خلق توازن حضاري بين مختلف المجتمعات الانسانية بعيدا عن نزعة الوعي الأوروبي مقابل اللاوعي للمجتمعات الشرقية وهذا ما سينجم عنه تصحيح إدعاءات خطاب التمرکز الغربي وإعادة كتابة العالم بمنظور

(2) - اليامين بن تومي: مركزية الآخر وملفوظات الأنا: قراءة في الحوار بين الاستشراق والاستغراب، مجلة الحكمة، منتدى

الكلمة للدراسات والأبحاث ، 2004، ص95-96

حيادي وعادل بين الحضارات التي ساهمت في البناء العلمي الانساني والقضاء نهائيا على وصاية الغرب على البشرية و تقديم أوروبا دوما كمركز للثقيل الحضاري والتقدم الانساني.⁽¹⁾

وعلى هذا سعى حنفي لبناء إصلاحاته التجديدية للتراث الإسلامي بما يتماشى مع متطلبات العصر ورد الهجمات الغربية المتتالية في ثلاثة مواقف: أولها موقفه من التراث القديم في ثماني أجزاء ومن التراث الغربي في خمسة أجزاء وموقفه من الواقع أو نظرية التفسير ويشمل ثلاثة أجزاء فيها محتويات متعددة في مشروعه الحضاري حيث ناقش في القسم الأول عدة عنوانين متمثلة في "العقيدة والثورة"، "من النقل إلى الإبداع"، "من النص إلى الواقع" و "من النقل إلى العقل" و "العقل و الطبيعة"، "الانسان والتاريخ" بالإضافة إلى طرحه في موقفه الثاني ثلاثة أجزاء تشمل مصادر الوعي الأوروبي وبداية الوعي الأوروبي ونهاية الوعي الأوروبي وجمعهم في كتابه مقدمة في علم الاستغراب أمّا القسم الأخير فخصه للمناهج والعهدين القديم والجديد بغية تجديد التراث الإسلامي إن لم نقل التراث ككل بناءً وحلولا واختيارات وتقديم البدائل الناجمة لتحقيق النهضة المنشودة التي يستوعبها الواقع وتخلق تراثا فاعلا وفق منطق الجماعات الذي يتجاوز ثنائية التراث والغير إلى الواقع الذي يلبي الحاجيات المستجدة و يتناغم مع مشكلات العصر.⁽²⁾ ويمكننا أن نوجز مشروع "حسن حنفي" النهضوي في ثلاث مواقف:

أولها: رأيه في التراث القديم الذي رأى أنه مجرد إعادة للفكر القديم وتدوينه وفق منطق القوة المغلوبة على أمرها مما يجعل الإيديولوجيات والأحداث التاريخية ضمنه تعكس في حقيقة الحال وجهة نظر الغالب، وهذا ما يعكس عدم مطلقية التراث و لا يصح الاعتماد عليه في

(1) - حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، المرجع السابق، ص 27-30

(2) - برهان غليون: إغتيال العقل - محنة الثقافة العربية بين التبعية والسلفية - المركز الثقافي العربي، المغرب، ط4،

البحث العلمي لأنه طرح دوما منطق الموالاة وهمش موقف المعارضة ومثال ذلك ما برز على علم العقائد الذي أخذت فيه بعض الفرق الحظوة الكبرى وأخرى إلي عملت معارضة للحكم السياسي لم تذكر بالمكانة نفسها هو ما يعكس علم العقائد كمبحث تراثي قديم ما هو لا مجرد اختيارات سياسية، ولهذا لا بد من إعادة قراءة التراث ونقده لبناء الحاضر والمستقبل بجدية وفق اليات التجديد دون تجاهل دور التراث كتمركز حقيقي لأي مجتمع انساني يعكس قيمه الحضارية في الماضي والحاضر. (1)

ثانيا: موقفه من التراث الغربي في مؤلفه علم الاستغراب على بناء الفعل الحضاري الإسلامي من خلال بيان موقفه من التراث الغربي المعادية للقيم الإسلامية، حيث يقدم قراءته النقدية للحضارة الغربية التي تجاوزت امتداداتها الطبيعية من أجل عودة الذات إلى مجالها بعد ضمان تراجع موجات التغريب على الأمة، تلك الموجات التي عكست دائما ثقافة المركز الغربي و النظر للحضارة الإسلامية كامتداد لثقافة الأطراف هذه الرؤية التي سنتهي مع العمل النهضوي والفكر التجديدي الناقد للميراث الغربي وما يسفر عن هذه التحولات من نهاية للوعي الأوروبي وبروز وعي جديد في العالم الثالث يؤسس لبداية حضارة جديدة قوامها قيم إنسانية تتجاوز ازدواجية المعايير التي كانت سارية إذا نرى القيم داخل مجتمعات المركز غير التي يتعامل بها في مجتمعات الهامش ما يعيد للأنا الإسلامي مجده ويحد من التوسع الثقافي الغربي (2)

ثالثا: موقفه الأخير من الواقع في نظرية التفسير فهو يرى أن موقفه من التراث القديم والتراث الغربي مساران حضاريان يؤسسان لموقفه الحضاري اليوم، حيث دعا إلى تحويل الوحي إلى علوم الانسانية و ربط الواقع بالوحي مع حقيقة الانسان لتحقيق الإبداع لأن الفكر

(1) - حسن حنفي : دراسات فلسفية ، الأنجلو مصرية ، القاهرة، د.ط ، 1998، ص 153

(2) - حسن حنفي : هموم الفكر والوطن، ج2، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة، ط3 ، 1998، ص460

الإنساني كله يخضع لنظرية التفسير سواء نصا أو واقعا ما يسهم في تحويل طاقة النص الديني "الوحي" إلى التفسير الطبيعي الذي يسهل إدراكها في الواقع لإنشاء فعل ثقافي وحضاري معاصر يحقق انسيابا بين الله والانسان والتراث والتجديد في تفسير الحضارة الانسانية وفق مصادر الوحي.⁽¹⁾

هذه ثلاثة مستويات متكاملة حكمت المشروع التجديدي " لحسن حنفي"، من خلالها كانت دعوته لإعادة بناء التراث القديم بمختلف تشعباته ثم تقديم قراءته النقدية للتراث الغربي التي تنتهي بنهاية الوعي الأوروبي والحد من خطاب التمرکز الغربي الذي تجاوز حدوده الطبيعية من خلال وعي حضاري جديد يجد حقيقته في تماثله مع الواقع، وهذا ما برز في موقفه الأخير وفق نظرية التفسير التي تؤسس لإدراك متطلبات الانسان وفق حقيقة الوحي في وعي التفسيرات الطبيعية وفهم المجتمعات الإنسانية.

المطلب الثاني: الأنا الإسلامي في مشروع الاستغراب.

لعب الاستغراب دورا مفيدا في النظام المعرفي الإسلامي في ضبط منهجية لمعرفة الغرب في جميع أحواله المادية والمعرفية متجاوزا بهذا التحديد المكاني للغرب لصالح حقيقته وكيونته مقارنة بالاستشراق الذي يضطرب نظامه المعرفي عند مناقشة التراث الشرقي مداخل ومخارجا بسبب غياب الحس المنهجي ما ولد رؤية تهميشية للشرق في البحوث الغربية على عكس علم الاستغراب الذي قدم قراءة عادلة للآخر الغربي تضمن وجود الذات

(1) - حسن حنفي : التراث والتجديد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت، ط5، 2000، ص183

ولا تنفي الآخر من المعادلة الحضارية في نظرة معرفية ومنهجية لا تتغير بغض النظر عن المكان والزمان.⁽¹⁾

ولعل من مولدات مشروع الاستغراب اللحظة التاريخية الحاضرة فهي من العوامل الأساسية في العمل النهضوي ، حيث أدركت الأمة الإسلامية أزمة الغرب الذي يعاني من صراعات سياسية وإيديولوجية، وانهيار قيمي مشهود، مع تعاظم مشاكل اقتصادية متعددة من الطاقة إلى التضخم إلى الخطر النووي، وهو ما يتحدث عنه حتى الغربيون أنفسهم بمسميات متعددة نهاية الغرب ، انهيار الغرب ومن الأمثلة على ذلك الصدمة الأيديولوجية للغرب نحو ذاته والتي استشرفها كل من "ريتشارد كوك" و"كريس سميث" في كتابهما ((انتحار الغرب)) بحدوث تحول حضاري للعالم الغربي عن كل قيمه ومركزيته المعهودة بقولهما: "إننا نعيش في تلك المرحلة الغادرة التي تكون فيها المعتقدات والأعمال السائدة للحضارة الواقعة تحت الهجوم ، وهي بذات ربما تعطي إشارة إلى تحرك من حضارة إلى أخرى وهنا تختفي الحضارات فإنها إما أن تتطور إلى حضارة أخرى ، وإما أن تنهار تحت وطأة صعوبة ملائمة الطرق القديمة للتعامل بنجاح مع الظروف الجديدة"⁽²⁾، ضف إلى ذلك ادراك العالم الشرقي كون البعد الآسيوي هو عمق الحضاري للبشرية في كل من الهند والصين وأصبحت ذلك آسيا قبلة للشعوب متحررة حديثا من الهيمنة الاستعمارية الغربية هذا من جهة ومن جهة أخرى اكتشفت الأمة العربية والإسلامية قدراتها الذاتية الضخمة ما جعلها تتوجه نحو النزعة القومية والانخراط في التجمعات المستحدثة من مؤتمر بان دونغ إلى حركة عدم الانحياز لوصول إلى ذاتها الحضارية في النظام الدولي الجديد في ظل قدراتها البشرية والمادية من

(1) - عادل بن بوزيد عيسوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الاسلامي ، مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات ، قطر ،

ط1، 2016 ، ص316

(2) - عباس مخلوف، عبدالسلام بوزيرة: صدمة المركزية الغربية في ظل جائحة الكورونا، الكتاب الجماعي الدولي "الفلسفة والعلم-رؤية جيدة بعد الجائحة"، دار الخيال للنشر والترجمة ، برج بوعرييج ، د.ط، الجزائر، ص14.

مواد أولية ويد عاملة ورؤوس اموال خاصة في ظل شعوب أبدعت ثقافة التحرر الوطني في الحقبة المعاصرة.(1)

وفي ذات المنحى يعد المفكر "حسن حنفي" من أوائل الذين أسهموا في علم الاستغراب خاصة مع استعراضه لموقفه من التراث الغربي الذي فرض نزعة التغريب في ثقافتنا في ظل سياسة التتوقع التي فرضتها الحركة السلفية على الأمة الإسلامية ، لذا كان لزاما علينا إثبات الهوية الحضارية للأنا الإسلامي بدراسة التراث الغربية بكل موضوعية والرد على الهيمنة الغربية التي حصرت الثقافة الانسانية في ذاتها، إلا أن هنالك من رفض حصر المهمة الاستغرابية في القضاء على المركزية الغربية كون هذه الأخيرة نتاج طبيعي للتفوق الغربي وعلاقة المركز بالحاشية من خلال انجذاب الأطراف نحو الأقوى لما يجدونه فيه من حل لمشكلاتهم وتحقيق طموحاتهم دون تناسي ميل الغرب نحو السيطرة على الآخر وعليه فإن التوازن الثقافي بين المجتمعات الإنسانية لا يتحقق إلا وفق رؤية حنفي عن طريق علم الاستغراب بتشريح الفكر الغربي واستفادة منه بما لا يضر طموحات الأنا الإسلامي بالمساهمة في التطور العالمي و المراجعة الجذرية لمشكلاتنا الخاصة لنستعيد دورنا الحضاري المفقود.(2)

ومن بين الدوافع التي تسعى إلى تحقيق مشروع الاستغراب تجنب الإثارة والطرح السطحي للقضايا الهامة التي تحتاج الى بحث علمي معمق أو تسبيق النتائج عن المقدمات وهذا ما قد يمنع تحقيق العدل في مناقشة التراث الغربي ، وعليه لابد من إيجاد النظرة

(1) - حسن حنفي : دراسات فلسفية " في الفكر الاسلامي المعاصر " ، ج1، مؤسسة هندايوي، المملكة المتحدة، د.ط ، 2020 ، ص95

(2) - بهاء درويش: مقتضى علم الاستغراب فهم الغرب وتشريح أسباب مركزيته، حوارات في علم الاستغراب، ج 1، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العراق، ط1، 2020، ص273

الأكاديمية المنصفة التي تضمن التعارف والتلاقي بين الغرب والشرق دون استصغار للذات أو تحجيم للعلاقات الانسانية أو رفض للتعدد الثقافي بين الشعوب التي ستقدم للغرب أكثر من الاستشراق الذي قدم رؤية دونية على الآخر خاصة مع كون علم الاستغراب يمثل أداة لفهم الحضارة الغربية من طرف الأمة العربية والإسلامية التي يمثل لها واقعا مرجعا ثقافيا و مركزا لتوريد المستهلكات ، فهذه الروابط تساعد في تقريب الفهوم ، عوض صناعة الفوارق .

ولعل أبرز هذه الجسور الحضارية هم المسلمين في المهجر لقوة تأثيرهم في المجتمعات الغربية وهذا ما ينتج عنه عدم معاداة الظاهرة الاستغرابية للكيان الغربي بشكل الذي مثله الاستشراق للشرق في مرحلة من المراحل فهو بهذا دعامة لخفض التصعيد بين الغرب والشرق خاصة بعد الحروب الصليبية ، وفي هذا الصدد لا يمثل الاستغراب الثقافي والديني لغة اعتذار أو تسامح على حساب الميراث الأصيل للدين الإسلامي أو النظر إلى الغرب بكله شر أو خير بقدر ما يناقش تراثه بعين العدل والموضوعية بعيدا عن الأفكار المسبقة التي تمثل أداة لتجسيد العداوة الحضارية بين الشعوب ومن هذا يصبح للفكر الإسلامي قدرة على إدراك التعامل مع الآخر في عالم اليوم المبني على التواصل الدوري بين الأفكار والثقافات وهذا ما ينهي حسب حنفي العقدة التاريخية للظاهرة الاستشراقية بين مركب النقص مع الأنا و عامل العظمة مع الآخر ليصير بذلك الغرب مدروسا بدلا أن يبقى على الدوام دراسا للشرق وما تولد عن هذه الديمومة من رؤية متعالية سيسهم الاستغراب بعد ذلك في حصر مجال المركزية الغربية في ظل المد العولمي الذي يعمل على إلغاء الآخر الشرقي من المنظومة الحضارية للمجتمعات الإنسانية .⁽¹⁾

(1) - علي بن إبراهيم النملة : كنه الاستغراب" المنهج في فهمنا للغرب" ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت، ط2 ، 2016 ،

ولعل من بين الخطوات الميدانية التي تؤسس لعلم الاستغراب ما نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي مكتب الأردن بمحاضرة معنونة بـ "القواعد العملية لتأسيس علم الاستغراب" ألقاها الباحث "مازن المطبقاني" حيث قدم قواعد عملية لقيام علم الاستغراب وذلك من خلال رؤيته بأن الاستشراق وسع أجندياته بقرار سياسي نظرا للدعم الحكومي فبقي رهينا له ، وعليه لا يمكننا بناء الاستغراب إلا من خلال الاعتماد على الفكر المبدع خاصة مع توفر الباحثين المبتكرين الذين تميزون بملكات لغوية وعقلية متميزة بسبب توفر الدراسات العلمية حول التراث الغربي على سبيل المثال ما هو موجود في مكتبة الدراسات الأمريكية بطوكيو ، ولكي نحقق هذه الدراسة العلمية والموضوعية لابد من الانتقال من البحث المعرفي إلى التتبع الميداني للمجتمعات الغربية مع الاعتماد على رؤى النقدية لمفكرين الغربيين أنفسهم للحضارة الغربية لتحديد مكامن الضعف والقوة وهذا ما يسهل علينا في ظل توفر كفاءات إسلامية في العالم الغربي أكثر إدراكا لواقع المجتمعات الغربية ، كما أنه لا يمكن تحقيق فحوى الدراسة الجدية وفق مرامي الاستغراب إلا من خلال ادراك الباحث المسلم للوعي الإسلامي تراثا وذاتا لكي يميز ذاته الحضارية عن الآخر المدروس الذي سنستخدم معه مناهجه وبرامجه في دراسة تراثنا سابقا عبر تقنيات التحليل والتفسير لمختلف الظواهر المشهودة في العالم الغربي مع عدم تناسي عامل الترجمة لما له من دور هام في نقل تراث الآخر الغربي لمتلقي وسهولة تفكيكه بعد ذلك وتحقيق علم الاستغراب لغايته المنشودة .⁽¹⁾

إنّ الوقوف على ضعف التوصيف في الدراسات الاستشراقية و ما عكسته من قصور في الذات الغربية في معالجة وقائع الآخر وهذا ما يؤكد مشروعية التأسيس لعلم الاستغراب كونه نظرية قادرة على مساعدة أوروبا من خلال بناء جسر تواصل علمي يعبر بها من

(1) - عبادة السيد : المعهد العالمي للفكر الاسلامي: قواعد عملية لتأسيس علم الاستغراب، موقع المجتمع، 11/24/

الأنا المعرفية الغربية إلى موضوعية العلم ليكون الاستغراب ليس مجرد استعراض لأننا الإسلامية عبر الوحي أو معادة للاستشراق بقدر ما هو تحرير للغرب من مراهقته المعرفية التي تجلت في محاولاته للسيطرة الاقتصادية والسياسية وفرض الهيمنة الثقافية على الآخر لتكون ظاهرة الاستغراب حركة هداية للعالم الغربي لإدراك أخطائه وعودته لحقيقته التاريخية ومجاله الجغرافي في الحضارة البشرية. (1)

لقد برزت العديد من مسوغات الحد من ظاهرة تغريب المجتمعات والثقافات التي اعتمدها الفكر الغربي اتجاه الحضارية الإسلامية نذكر منها مسالة التحول الديني بين الدارس والمدرّس، حيث وقف المستشرقون على مشكلة عويصة مع عظمة الإسلام وقوته و واقعيته مقابل خلفياتهم الفكرية والدينية التي تدعوهم لانحياز لقيمهم الذاتية مقارنة بعلم الاستغراب الذي انطلق من عوامل علمية وموضوعية في مناقشة للتراث الغربي ، هذا في ظل حاجتنا للأخذ بأسباب القوة والضعف من خلال معرفة أسرار الآخر والعودة بالأمة الإسلامية إلى سكة أمجادها السابقة بعيدا عن النزعة الاستعمارية التي اتصف بها الغرب في شرقنته للشرق. إذ عمد الباحثون في علم الاستغراب إلى إثبات الذات الإسلامية واستيضاح الآخر الغربي بدون رفض أو تجاهل ما جعل مشروع دراسة الغرب من أعظم ميادين الجهاد الفكري في الإسلام حيث يردف في ذلك "عبد الرحمان السعدي" إن معرفة أحوال الكفار من أعظم أبواب الجهاد، فمن الملاحظ أنّ العالم الغربي يحوز على خوف مبالغ فيه من الإسلام وهذا في حد ذاته سبب لمعرفة هواجس الغربيين من الدين الإسلامي و الرد عليها لتوسيع دائرة الانتشار الجغرافي للإسلام والرد على المغالطات الشائعة في الإعلام العالمي دون استغلال علم الاستغراب كأداة لتشويه صورة الغرب أو تنصيب الإسلام

(1) - عمر الأمين عبد الله: مهمة علم الاستغراب زعزعة الأساس المعرفي الذي قام عليه جوهر الغرب، حوارات تأسيسية في علم الاستغراب، ج2، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العراق، ط1، 2021، ص 440.

وصي على الفكر الإنساني بقدر ما نوضح من خلاله سماحة الإسلام ورد حجج المنهزمين من أبناء الإسلام الذين أعابوا على الإسلام التخلف والرجعية و حملوا بلدانهم كل أسباب الانحطاط والتقهقر، ضف إلى ذلك تطهير المناهج الدراسية الغربية من فوبيا الإسلام وتصويره كمشتلة لصناعة الإرهاب والتطرف فكل هذه المسوغات صعبت من مهمة علم الاستغراب الإسلامي دون استحالة تطبيق رسالته بدعوته العالمية للأمم من أجل التأخي و التوافق لتحقيق إرادة الريادة والتمكين في الأرض (1).

هذه التجاذبات المعرفية جعلت المشروع الاستغرابي مع "حسن حنفي" يحكم أن التراث الغربي يمثل الآخر مقابل الأنا الإسلامي والعربي الذي مزال حبيس التقليد للثقافة الغربية ما يوجب عكس الوضع وفتح المجال لإبداع الأنا وجعل الحضارة الغربية موضوع العلم بعد أن كانت مصدره ، وهذا ما طرح أوجه عدم التماثل بين الظاهرة الاستشراقية وعلم الاستغراب لاختلاف البناءات الشعورية بين الطرفين في ظل توسع الطرد المركزي لماهية الغرب و تميز الحضارة الإسلامية بوعيتها العلمي المتدين وليس التاريخي ما يؤهلها لتكون حضارة مركزية ذات ماهية قادرة لتحقيق التجديد من صحيح الوحي وليس من منهاج العلوم الأوروبية التي أثبت حقيقة الواقع نزعنها الاستعلائية والعنصرية مع غيرها من الثقافات غير الأوروبية منطلقين من مسلمة يحاول العقل الغربي فرضها كون أن الحضارة الأوروبية هي الحضارة الانسانية الأولى او الوحيدة، ولكن الثابت التاريخي يؤكد أن منهل التحضر هو العالم الشرقي مقارنة بالعالم الغربي الذي يعاني انفصاما داخليا في بينته التاريخية والمعرفية ، ومنه يورد حنفي أن الأنا الإسلامي يتماشى مع ثلاثة مراحل في كل منها سبعمائة سنة فمرحلة الازدهار الإسلامي أولى انتهت ، كما أوشكت فترة انحطاطها الثانية على الاختتام ،لتبدأ مرحلة الثالثة الجديدة موسومة بالتقدم والرقي و عودة الذات الإسلامية للعالمية بعد انهيار

(1) - حسن البارقي: الاستغراب "البعد الديني في الاستغراب المعاصر"، المرجع السابق ، ص160

التفرد الغربي التي حكم العالم بالفلسفة الظاهرية إلى الأنا العربي الإسلامي المستمد من الوحي الذي يعكس المركز الثابت لكل العلوم التراثية في الإسلام، وبهذا تحقق التصور هذه الأمة الناهضة القوية بموروثها و تجديد فهمها وفق واقع عصرها ليس عبر "جمال الدين الأفغاني" أو "محمد عبده" بل عبر فهم الفكر الغربي عن طريق فيلسوف المقاومة "فخيته" و"كانط" و "هيجل" و"شيلر".⁽¹⁾

ومما سبق برز خطاب التراث والتجديد لدى حنفي الذي يتعامل مع نزعة التمرکز في الحضارة الأوروبية بروح نقدية من خلال إثبات الأنا الإسلامي الذي يساهم بتراثه في نهضة الآخر بعيدا عن منطق الإيديولوجيات والاهداف السياسية الضيقة ، فلهذا مثل الاعتراض على مشروع غرينة العالم يقينا ليس لكونه الآخر بقدر ما هو المحئل المسيطر خاصة مع كون الغرب يمثل نارا لكونه متمركز حول ذاته فقط ونورا من حيث حيازته للعلم ومتطلبات الحداثة وما يعقد الأمر أنّ هذه الاخيرة العلة الأولى وبل وهي مشكلة التحرر منه ما عزز خطاب الأصالة والمعاصرة في فكر حنفي عند مجابهته للفكر الغربي بسعيه متواصل لامتناس إيجابيات الغرب كلها ليسهل بعد ذلك عملية نزعه من مركزه في البعد الحضاري العالمي وإنهاء هيمنة الحضارة الغربية كحتمية تاريخية امام مسلمة أنّ الوحي أساس الفعل الحضاري وتكون الأنا حضارة مركزية تدور حول مركزية الوحي على نقيض الآخر الغربي الذي أثبت الواقع عدم اتساق منظومة الفكرية والثقافية مع حقيقة تطور المجتمعات الإنسانية.⁽²⁾

⁽¹⁾ - البخاري حمادة، المثقف العربي بين واقع الاستشراق وحلم الاستغراب، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 06، العدد 7، 2001، ص 201-202

⁽²⁾ - أحمد عبد الحليم عطية : جدل الأنا والآخر "قراءات نقدية في فكر حسن حنفي" ، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة ، ط 1 ، 1997، ص 186

وعلى هذا جناح حنفي في مشروعه إلى تحديد بنية الوعي الأوروبي في ثلاثة أشكال بدايتها مع مصادر الوعي الغربي ممثلة في مجالها المعلن مع التراث اليوناني والرومانية والخلفية اليهودية والمسيحية والخفي مع مصادر الشرقية والأوروبية القديم وكانت حقبة تطوره من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر إلى بداية تكوين الوعي الأوروبي في عصري الإصلاح الديني والنهضة في كل من القرن الخامس والسادس عشر وما أسفر عنه من انفجار عقلي وتنويري مع الكوجيتو الديكارتي إلى غاية القرن الثامن عشر، لتبدأ بعد ذلك نهاية الوعي الغربي ونقل الأنا من التفكير إلى الموجودة ما تولد عنه نقد داخلي للفكر الأوروبي مع كل من الوضعية والمثالية ما يؤهل علم الاستغراب لبت في مصير الوعي الأوروبي أن له بداية ويحق له نهاية بعيدا عن فكرة العبقرية والتفرد التي حاولت الحضارة الغربية إرسائها وهذا الإنهاء لا يتم إلا بتحديد مسار الأنا وتداخلات الآخر خارج مجاله الطبيعي والتاريخي بعيدا عن الرؤية الاستشراقية التي كرسست للفوقية البيولوجية والعنصرية الحضارية في توصيف التراث الشرقي وإسهامات الحضارة الإسلامية .

وفي ظل هذا الطرح تعزز علم الاستغراب كأداة فاعلة في الحد من المركزية الغربية في ظل أوهام وهواجس المستشرقين ، إذ أن خطاب الاستغرابي عمد إلى إرجاع الثقافة الغربية إلى مجالها الطبيعي بعدد تمددها بسبب التوسع الاستعماري وسيطرة على وسائل الإعلام العالمي و مراكز البحث والتأثير العالمية خدمة لطموحات الغربية ولكن رغم ذلك إلا أن علم الاستغراب يعمل تجاوز ثنائية المركز مع الحضارة الغربية و المجتمعات الهامشية مع الثقافات الأخرى من خلال رسم طريق ثالث يعيد التوازن الثقافي للحضارات الإنسانية وعادة تشكيل حقيقة التاريخ والانسان بعيدا عن عنفوان التمرکز الغربي الذي قدم للعقل الإنساني أطروحة الكشوفات الجغرافية كانه كان حبيس الاكتشافات الغربية ان الوعي الإنساني لم يدرك ما حول إلا بفضل المستكشف الأوربي هذا من جهة ومن جهة أخرى وضع

المجتمعات في هذه البلدان المكتشف خارج مجال الوعي المعرفي لتلك الجماعات بالبدائية والبربرية في كل من إفريقيا وآسيا وهذا في حد ذاته يعكس روح الهيمنة في الإدراك الأوربي للآخر الخارج عن ذاته وليس فقط جغرافيته وعليه يصير العالم رهينة التحقيب التاريخي الغربي وتعمم إشكالية الأمم الأوربية لتكون مشكلة الإنسانية الجمعاء وهذا ما يعمل مشروع الاستغراب على تفكيك ادعاءاته وفضح آلياته الزائفة في تقديم الوجود الحضاري بعيدا عن أوهام الأنا الغربي وإلغاء الآخر الشرقي.⁽¹⁾

وفي ذات السياق يصير الاستغراب لدى حنفي سبيلا لاسترجاع الوعي الإسلامي في ظل حضارة الآخر الغربي وذلك من خلال إعادة نشر الاغتراب الأوربي إلى مجاله المعروف وحد منه في الفضاء غير الغربي من خلال إعادة ربطه بجذوره القديمة وتوجيهه في مجاله الخاص لإلغاء فكرة الاستنباع الحضاري بين الشرق والغرب إذ لا يمكن لجم التمدد الآخر الغربي إلا إذا وجدت الذات المواجهة له حقيقتها وتحقيق مكانتها الأنطولوجية الثابتة ليفهم هذا الآخر مجاله وينظم علاقته مع الأنا المقابلة له ،مع تحديد موقف واضح من ادعاء الحضارة الغربية كونها مصدر كل علم أو قيمة إنسانية وماهي في واقع الأمر إلا مجرد حضارة محتلة لحضارات أخرى قيد النشأة والتطور.⁽²⁾

وعليه عمل حنفي من خلال مشروعه علم الاستغراب على تقديم محتوى معرفي يدرس الغرب في كل المجالات ليُسَهَّلَ لأنا الإسلامي شق طريقه في المعلم الحضاري الذي سيطر عليه الوعي الغربي زمنا طويلا ،إذ يمكن للاستغراب تحقيق نتائج المحفزة ليحقق مهمته المعرفية للحضارة الإسلامية عن طريق السيطرة على الوعي الأوربي واحتوائه ليتحول

(1) - عبد الوهاب شعلان من الاستشراق الى الاستغراب: قراءة في فكر حسن حنفي، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد4 ، العدد8 ، 2007، ص136

(2) - حسن حنفي: قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت، ط2، 1983، ص07

الدارس إلى مدروس و دراسة هذا الوعي ضمن الحدث التاريخ و ليس خارجه مما ينتج عنه رد الغرب إلى حدوده الطبيعية وإنهاء آليات الغزو الثقافي وأسطورة الثقافة العالمية لصالح خصوصية الشعوب والثقافات، فكل هذه النتائج إذا ترابطت أفسحت المجال للإبداع الذات غير الأوربية وقضت على عقدة النقص لدى الأمم غير الأوربية وهذا في حد ذاتها إنجاز يؤسس لإعادة كتابة التاريخ الإنساني بالعدل والمساواة بعيدا الدعايات الغربية المتمركزة حول نفسها و خلق فلسفة مستجدة ترى التاريخ بعيون شرقية وتسعى في حين ذاته لاكتشاف المراكز الحضارية الأخرى ليكون بعد هذه التحولات نهاية الظاهرة الاستشراقية ما يسمح للحضارات الشرقية بدراسة التراث الإنساني بوعيا الحضاري الخاص بناءً على المنظومة العلمية التي يقدمها الاستغراب للباحثين الجدد الذين لا تخرج دراساتهم عن أناهم الحضاري وبعدهم الوطني الخالص وهو ما يؤدي إلى تحرر الحضاري للأنا و إيجاد حقيقته المعرفية بعيدا عن سيطرة الآخر النرجسية، ليكون ختام هذه النتائج الإيجابية لمشروع الاستغراب القضاء على مرض العنصرية بين الشعوب التي ولدها الوعي الأوروبي عبر آلياته المتعددة على إرساها الفعل الاستشراقي ما قد يؤدي في نهاية المطاف التضامن الشعوب والحضارات فيما بينها بعيدا عن الأيديولوجيات المركزية العقيمة.⁽¹⁾

يسعى الاستغراب للاهتمام بالتحديات في جانبيين النظري والعملية التي يوجهها الغرب لما يمثل ذلك من أهمية بالغة لدى الذات الشرقية في فرض وجودها، حيث يظهر كذلك في العالم الإسلامي عدة تحديات كعدم الفهم الصحيح للدين واكتفاء بحمل الإسلام كعنوان بعيدا عن توقيعه في الحياة أسلوبا وثقافة ونمطا للتفكير والتعامل الاجتماعي بسبب تحول الدين الإسلامي من منطق الاعتقاد إلى عادة التوارث رغم بروز الصحوة الشكلية في الثمانينات والتسعينات التي شوهدت الحضارة الإسلامية أكثر من إفاداتها، ولكن رغم ذلك وجب على

(1) - حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، المرجع السابق، ص 39-43

المفكرين المسلمين الاستثمار في العوائق النظرية و العملية للغرب خاصة مع توجه الفكر الغربي لإيجاد البدائل من خلال عدة مبادرات كمشروع صراع الحضارات مع هنتغتون الذي قدم المواجهة الحضارية بين الإسلام والغرب كتحد حقيقي في وقتنا المعاصر لابد أن يسفر على حصر المد الإسلامي لأنّ بقاءه يحجم الهيمنة الغربية ، فهذه التحديات والتخوفات الغربية تعكس بحثهم عن البديل الواقعي ولن يكون هنالك أحسن من الإسلام لو أحسنا تقديمه نظريا وعمليا ليكون حجة إيجابية عن طريق الدراسات الاستغرابية لأنّ أيّ فشل سيؤدي بالحضارة الإسلامية إلا الانهيار مثل الاتحاد السوفيتي أو الدخول في أزمة الضياع التي بدأت تدب في الفكر الغربي بسبب مشاكل النظام الليبرالي والديمقراطي ، فكل هذه المؤشرات تؤهلنا لتقديم الإسلام كبديل حضاري لما يحمله من مقومات نظرية وعملية تساعده في الانتشار عالميا وحضاريا.(1)

إنّ ما قدمه "حسن حنفي" في مشروعه علم الاستغراب يعكس قدرة الفكر العربي والإسلامي على إيجاد آليات صيانة ذاته التاريخية وتقديم تراثه للآخر بصورة أكثر إيجابية في ظل إلغاء الادعاءات السلبية من طرف الفكر الغربي على الحضارة الإسلامية وتحويل الغربي من الدارس إلى موضوع الدراسة مع عودة أكثر إجرائية لأننا الإسلامي مقابل الآخر الغربي الساعي دوما لفرض هيمنته الثقافية والسياسية على عموم العالم الشرقي وفرض منطق التبعية الاقتصادية باسم التفوق العلمي والتقني ،ضف إلى ذلك يعطي علم الاستغراب نافذة جديدة لفهم التصورات الغربية بما يخدم الهوية الإسلامية بكل أكثر علمية وموضوعية دون إقصاء أو تهميش لدور الفاهمة الغربية في التقدم الحضاري للإنسانية ليكون بهذا مثلا عن الدراسات المعاكسة عن ما قدمه البحث الاستشراقي من رؤية قائمة عن المنجزات

(1) - أبو الفضل ساجدي: الاستغراب النقدي علم ضروري لفهم الغرب ونقد معارفه، حوارات تأسيسية في علم الاستغراب، ج3، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، العراق، ط1، 2021، ص 199.

الإسلامية من التخلف إلى الرجعية جعلت الوعي الإسلامي غائبا عن ذاته قبل الفعل الحضاري ليكون البحث الاستغراب إعادة جدولة لعالم الأفكار من الإسلام إلى الغرب وفق مبادئ واقعية تجابه كل التحديات الأيديولوجية والنزعات التوسعية .

المبحث الثاني: مشروع حوار الحضارات كسبيل لقبول الآخر

إن حقيقة العلاقة بين الحضارات مبنية على الحوار لا التصارع ، إذ لا بد على كل طرف أن يلتزم باحترام الآخر بتقدير مرجعياته الفكرية وخلفياته التاريخية والثقافية لأن هذه المعطيات تمثل جوهر خصوصية الآخر المخاطب ، وهذا ما دعا الإسلام لرفض المركزية الحضارية بإلغاء الفعل الحضاري عن بعض الأمم بمبررات مختلفة أو حصر الإنسانية في قبضة حضارة معينة تحلل وتتقضى كل الثقافات البشرية بما تراه عينها الحضارية في كل المجالات بدعوة نشر الثقافة والتحضر وجعل النظام العالمي كتلة واحدة تحقق التعايش بين الشعوب.

المطلب الأول: الحوار الحضاري بين الدلالة اللغوية و السياق الاصطلاحي

1/ معنى الحوار بين اللغة و الاصطلاح:

الحوار لغويا يستمد من مقولة حاوره محاورة وحوارا أي جادله ، ويراد من المحاورة هاهنا المجاوبة بمعنى مراجعة النطق والكلام في التخاطب والتحاور ،لذا وجب في مسار الحوار من وجود متكلم ومخاطب وما ينجم عن ذلك من تبادل الكلام بين الطرفين ومراجعته في نفس الوقت ليكون غاية العملية الحوارية إنتاج الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم وعدم الاقتصار على الأفكار السابقة .⁽¹⁾

(1) - جميل صليبا : المعجم الفلسفي ج1، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،د.ط، 1982، ص501

أما أصل كلمة الحوار هو في ثلاثة حروف التي تشكل الكلمة الحاء والواو والراء وهي بذلك ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دورا، كما يعود أصل هذه الكلمة إلى الحور بمعنى رجوع الشيء إلى الشيء، يقال (حار بعدما كار) والحور هو النقصان بعد الزيادة أي رجوع من حال إلى حال، أما التحوار فيقصد به التجاوب إذ يقال: كلمته فما حار إلي جوابا أي ما رد جوابا، قال تعالى في سورة الانشقاق الآية 14: ((إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ)) أي: لن يرجع ولذلك يراد من معنى وهم يتحاوون أي يتراجعون الكلام، وبذلك يقصد من المحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.⁽¹⁾

والحوار في لسان العرب لابن منظور هو المجاوبة والتحاو والتجاوب وعليه تقول كلمته فمار أحر إلي جوابا، وما رجع إلي حويرا، ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا أي مار جوابا، واستحاره بمعنى استنطقه ودليل ذلك ما ورد في حديث علي كرم الله وجهه: "يرجع إليكما ابناكما يحور ما بعثتما به أي بجواب ذلك، لذلك يقال: كلمته فما رد إلي حوارا أي جوابا".⁽²⁾

أما اصطلاحا فيقصد بالحوار محاورة تقع بين طرفين بهدف تبادل الأفكار حول القضية المطروحة للنقاش وسعي لإيجاد أفكار جديدة حولها تتجاوز التصورات القبلية لكل من المتحاورين خاصة أن الحوار متأصل في الإنسان وفي علاقته مع أخيه الإنسان اعتبارا على الأنا والآخر لهما الحق في الوجود ولا يمكن للأنا أن تحقق حقيقتها إلا في ظل وجود الآخر كنوع من الاعتراف المتبادل لبناء الحياة الإنسانية، ومن جهة أخرى يمثل الحوار أحد أدوات التحرر من طغيان السلطة من خلال اكتشاف الآخر داخل ذاتنا وعكس صحيح ما

(1) - محمد جعيرير: أسس حوار الحضارات في الاسلام، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، العدد 19، جانفي 2018، ص14

(2) - ابن منظور: لسان العرب، باب الحاء، المجلد 02، دار صادرة، بيروت، ط1، 1955، ص1043.

يسهم في معرفة الأنا الموضوعية من قبل الآخر وتحرير الأنا بمعرفتها ذاتها وهو ما يمثل ظاهرة إنسانية فريدة.⁽¹⁾

يقصد بالحوار كذلك محاورة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد، إذ يحمل كل منهما وجهة نظر خاصة حول موضوع النقاش وعليه يهدف كل منهما إلى الوصل إلى الحقيقة أو إلى أكبر قدر من التفاهم في ظل تطابق وجهات النظر بعيدا عن التخاصم والتعصب كل طرف لرايه معتمدين في ذلك على البيئة العلمية و المنطق العقلي في ظل استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة متى ثبتت مع طرفي التحوار.⁽²⁾

واعتبارا على أن الحوار وسيلة لتصحيح الأفكار المغلوطة عن طريق اقتترانه بالعقل، فهذا الأخير في أداة تقويم سوء التفكير وتوليد المعارف الجديدة في عملية الحوارية واجبة وجادة، فالتحوار قد ينتج عنه الرجوع من الشيء إلى شيء آخر على مستوى الأفكار ما يعزز حقيقة الاعتراف بالخطأ بين الطرفين للوصول إلى الأصوب الآراء التي تخدم الضمير الإنساني وحقيقة النقاش العاقل لدى البشر.⁽³⁾

ب/ معنى لفظ الحضارة لغويا واصطلاحيا:

الحضارة لغة كلمة تُلَفَّظ بفتح الحاء أو كسرهما وهي مأخوذة من كلمة حضر واشتقت منها لفظة الحضر والحاضرة والحضرة والحضارة، وكلها تحمل سياقاً لغوياً يقصد به الإقامة في المدن والقرى، كما تطلق على كل مكان حضره أهله وعمرؤا أمصارهم وعمرانهم التي لهم فيها قرار وعمران وهي بذلك عكس البادية المشتقة من كلمة بدا يبدو أي ظهر ومن ثم

(1) - عمار جليل: حوار الحضارات ومؤهللات الاسلام في التأسيس والتواصل الانساني، دار الحامد للنشر والتوزيع،

الجزائر، ط1، 2003، ص37

(2) - بسام عكج: الحوار الاسلامي المسيحي، دار قتيبة، دمشق، د.ط، 1997، ص2

(3) - عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص13

أطلق اللفظ على المكان فأصبحت البادية بمعنى الإقامة خارج الحضر لكون الإنسان البدوي لا يعرف قرار فهو دوما في رحلة البحث عن الكأ والماء ، أمآ في اللغات الأجنبية فإن كلمة حضارة باللغة الإنجليزية "civilization" أمآ بالفرنسية "civilisation" فهي مشتقة من اللفظ اللاتيني "civis" وتعني مدني أو مواطن مقيم في المدينة وكلمة "civitas" تعني مدينة أو حاضرة ليتحول معنى هذه اللفظة فيما لتعكس صفات الأدب والأخلاق والعلم وما إلى ذلك من الصفات الإيجابية التي يتسم بها الإنسان المتمدن.(1)

كما تعرف الحضارة بكونها الحالة المعاكسة لمعنى البداوة والفترة ، إذ تطلق على جملة المظاهر التي تعكس حالة التقدم والتطور في المجال الأدبي والعلمي والفني والتقني والتي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة كأن نقول الحضارة الصينية والحضارة الأوروبية.(2)

ويعرفها "أندريه لالاند" في موسوعته بأن الحضارة ماهي إلا مجموعة من ظواهر اجتماعية مركبة تتميز بطبيعتها القابلة للتناقل وتتميز بتعدد صفاتها الدينية والأخلاقية والجمالية والتقنية وحتى العملية سواء في كل أجزاء المجتمع الواحد أو عدة مجتمعات مترابطة فيما بينهما كأن نقول الحضارة الصينية.(3)

أمآ من الجانب الاصطلاحي لكلمة الحضارة فقد تنوعت تفسيرها من مجتمع إلى آخر حيث عرفها "ابن خلدون" في مقدمته بجعلها منتهى العمران بخلاف البادية التي جعلها بداية العمران ، إذ تعكس الحضارة مرحلة متطورة في حال الناس وتمكنهم من الترف والصنائع

(1) - عمر خروبي بزارة : صدام الحضارات أم حوار الحضارات "داسة مقارنة في جدلية الفكر الغربي والفكر الاسلامي"، المصدر السابق ،ص245

(2) - مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار قباء ، القاهرة، د.ط ، 2007، ص280

(3) - أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ، منشورات عويدات ،المجلد 1 ،بيروت، ط2 ، 2001، ص172

التي تحتاج مهارة وجودة في العمل أمّا في حقبة العصر الحديث فانقسم حول مدلولها الباحثين إلى فئتين أولهما ترى الحضارة اسم جامع للنظم الاجتماعية والثقافية وسائر هذه الفئة الباحثون الأمريكيون والألمان على رأسهم "وال ديورانت" الذي يعرف الحضارة بكونها نظام اجتماعي يساعد الإنسان في تطوير منتوجاته الثقافية وعليه تصير الحضارة هي الروح العميقة المجتمع من خلال جمع بين الحقيقة الفلسفية والأصالة الروحية للإنسان أمّا الفئة الثانية من الباحثين الأوروبيين فيرون أنّ مدلول الحضارة يعكس الشق العمراني وما يلحقه من وسائل تكنولوجية ومادية تحقق معنى المدنية فأنصار هذا التوجه يميزون الثقافة والحضارة في أطروحاتهم.⁽¹⁾

وهناك من رأى معنى الحضارة مختصرا يتجلى في كونها مقياس لمستوى الإدراك في المجتمعات وعنوان نمايز به معطيات الأمم والشعوب المختلفة في الفكر والثقافة.⁽²⁾

كما أنّ الحضارة تمثل ذلك الجهد العملي للإنسان لكي يحقق له نقلة نوعية في حياته من حالة التقهقر الاجتماعي إلى القمة الإنسانية بسبب تلك الثمرة الحضارية الناتجة سواءً كانت مادية أو معنوية والتي تحقق غايتها السامية في بناء جو حضاري واعد للأجيال الصاعدة.⁽³⁾

ج/ مفهوم حوار الحضارات:

لقد قدم "روجي غارودي" كنموذج هذا المصطلح في قالب مشروع حضاري في مؤلفه "من أجل حوار بين الحضارات" عام 1968 م إذ أنّه اشتهر بهذه الفكرة عالميا حيث مرت دعوته

(1) - عمر خروبي بزرارة: صدام الحضارات أم حوار الحضارات، المرجع السابق، ص 246

(2) - ضناوي محمد علي: مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية، حراء الإعلامية، الجزائر، ط1، 1993، ص11

(3) - حسن مؤسس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة كتب ثقافية تصويرية، الكويت، د.ط،

بثلاثة محطات هامة أولها الدعوة للحوار بين الماركسية والمسيحية لضمان إقامة علاقة وطيدة بين التحرر الماركسي والإيمان المسيحي ولكن في عام 1977م، أسس الحوار السابق سيظل محدودا ضمن جغرافيا وثقافة الحضارة الغربية لينتقل به من الخصوصية إلى الشمولية وجعل حوار على مستوى الحضارات ليضبطه هذه الشمولية أكثر في المحطة الثالثة بربط الحوار بين الغرب والإسلام في كتابه "وعدود الإسلام" عام 1981م إذ اعتبر أنّ المانع التاريخي لدى الغرب عن الإسلام كان عقبة كبيرة في عدم تنفيذ حوار الحضارات رغم أنّ الإسلام هو قوة إبداع تتجاوز تراثه وله القدرة الكاملة لتقديم الإضافة للإنسانية مستقبلا إذا ما تم حوار حضاري جاد بين العالم الإسلامي والعالم الغربي.⁽¹⁾

وعليه يرى "غارودي" أنّ حوار الحضارات هو سبيل لإلغاء النزعة الفردية التي ولدت تناحرا حضاريا بين الأمم تحت دعوات متعددة من النزعات الوطنية إلى الاختلافات الاعتقادية و النزعات الحزبية ، إذ لا يمكن التعايش مع الآخر في ظل هذه العوائق المصطنعة وفرض الهيمنة المسبقة على الحضارات بحجج متعددة، إلا إذا حل التفاهم الحقيقي من أجل بناء حوار مشترك يدور حول الإنسان والحضارة لأنّ غير ذلك سيكون مدعاة للفوضى التي تناقض حقيقة الوجود الإنساني الذي يسعى لترسيخ التعايش في العالم بين الذات والآخر.⁽²⁾

ولعل هنالك من رأى حوار الحضارات يمثل تفاعلا فكريا ناتجا عن محيط شهد حالة من التمازج بين عدة مبادئ ونظريات نحت به إلى الانفتاح على ثقافة الآخر وجعلت أبعاده الحضارية سبيلا لإدراك الخلفيات الفكرية والدينية للطرف المقابل ، فيتم وفق هذه الرغبة ما

(1) - زكي الميلاد: تعارف الحضارات: الفكرة-الخبرة-التأسيس، مجلة الحوار الثقافي، 2013، ص06

(2) - روجي غارودي : أصول الأصوليات والتعصبات السلفية ،مكتبة الشروق ،القاهرة ، 1996 ، ص73.

يسمى التداخل الثقافي مفضي لحوار بين الأنا المؤثر والآخر المتقبل وهذا ما نجده في الفعل الحضاري الإسلامي الذي نظر للحضارات والثقافات الأخرى بعين التقارب والتحاور.⁽¹⁾

كما استعرض القرآن الكريم الحوار بين الحضارات والثقافات في شواهد عدة من القرآن الكريم حيث وصفه الله بالجدل الحسن في تواصل مع الآخر وسيلا قويا في الدعوة بالحكمة والنصيحة لغيرنا من أجل تحقيق التفاهم الإنساني وقبول الطرف المحاور، فالله عزوجل بذلك يؤسس لجعل آلية الحوار ضرورة في تنظيم العلاقة بين الأنا والآخر و تسيير شؤون الحياة وخلق واقع حضاري يسوده التفاهم والتقبل بين مختلف الأمم حيث يقول تعالى: في بيان هذه الدعوة بسورة النحل: ((إِدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))⁽²⁾

وفي ذات السياق يقدم لنا "محمد خاتمي" المفكر والسياسي الإيراني مفهوما صريحا حول حوار الحضارات من خلال تصحيح النظرة التي ترى أنّ الاتصال الحضاري مبني على المواجهة والصراع وهي خلفية خطيرة وجب ردها بتبني مسار حضاري قويم بين مختلف الثقافات والحضارات بعيدا عن العوائق التاريخية والدينية في ظل الاحترام المتبادل وإلغاء عائق الجهل بين البشر من خلال إعادة فهم الآخر دون تمرکز حول الذات و إقصاء للطرف المقابل ليسود تواصل حضاري يعكس حقيقة غاية الوجود الإنساني.⁽³⁾

(1) - ماجد الغرابوي: حوار الحضارات الواقع والأهداف، مجلة التوحيد، مؤسسة الفكر الإسلامي ومؤسسة التوحيد، العدد 86 ، إيران، 1997، ص 5

(2) - القراءان الكريم : سورة النحل، الآية 125.

(3) - محمد خاتمي: مطالعات في الدين والاسلام والعصر، دار الجديد، ط3، 1999، ص136.

المطلب الثاني: حوار الحضارات بين حقيقة المشروع وإرادة التواصل بين الأنا والآخر روجي غارودي نموذجا

إنَّ المشتغل على مشروع حوار الحضارات سيرى فكره يعمل على عدة جبهات متداخلة اجتمعت في الغاية واختلفت في القراءات ، وهذا أمر طبيعي في التجاذب الفكري لدى البشر في طرح ومناقشة المواضيع خصوصا أنَّ هذا المشروع يكتسي أهمية بالغة في عالم يسوده الصراع والتناحر وسعي الدائم لإثبات كل حضارة لذاتها على الأخرى لضمان التفرد والقوة في عالم أصبح لا يؤمن في الكثير من حيثياته إلا بمنطق التسلط لتحقيق وجودك الفاعل وتنتج ثقافة يمكن استتبعها وفق قاعدة الغالب والمغلوب ، ولكن رغم ذلك إلا أنه يبقى صوت التحوار والتقارب هو صوت العقل الراشد لبناء حضارة إنسانية منسجمة وهذا ما يتجلى مع مشروع حوار الحضارات.

أ/ إرادة التحوار الحضاري بين الأنا والآخر في الرؤية الإسلامية:

إنَّ الحديث عن الآخر من منظور إسلامي يحمل دلالة ذلك الغير الذي يؤمن بما يخالف ديننا ليشمل كل الديانات الأخرى بصرف النظر عن المكانة التي يحظى بها أهل الكتاب من اليهود والنصارى في الدين الإسلامي ، ولكن هذه الرؤية لا تفضي إلى التصادم والتناحر بين الديانات المختلفة بل على عكس بل هي أرضية بين الأنا الإسلامي والآخر لتعزيز الوحدة المشتركة في ظل التنوع لأنَّ هدف الإنسان الحقيقي هو عمارة الأرض ونشر السلام بين الأمم ، والجدير بالذكر أنَّ الفكر الإسلامي يرى المفهوم العام للآخر يتجلى في غير المسلم مهما كانت ملته ولكن في المرحلة المعاصرة تغيرت هذه المقاربة ليحصر الآخر في الصدام مع الغرب الأوروبي أو صراع الشرق والغرب ومفاهيم الذات والآخر ولهذا أصبح مرتبط حوار يهدف لصياغة قواعد متوازنة بين الغرب والإسلام للوصول إلى أي عملية تقارب حضاري في العالم.

وتأسيسا على ذلك لابد علينا نحدد نظرة الإسلام للآخر في ظل حوار الحضارات الذي يأخذ على عاتقه شرح العلاقة بين الحضارة والدين بين المجتمعات المتحضرة والإيمان بالوحدة الإنسانية على عكس مخططات الصهيونية العالمية التي تحكم دوائر صنع القرار في العالم الغربي، وهذا ما يجعلنا نؤمن أنّ الحوار الحضاري بالفكر وليس بالقوة سيقدم خدمات جليلة للحضارة الإسلامية من خلال إعادة رسم موقع الحضارة الإسلامية بين المجتمعات البشرية و الترفع عن التجذبات الداخلية العقيمة لصالح البحث عن موقع الإنساني الحقيقي لأمتنا التي تحمل رصيذا ثقافيا وتاريخيا يجعلها محل الريادة وتقدير.

ولكن رغم ذلك إلا أنّ هنالك مخاطر تهدد هذا الحوار لأنه لا يخدم مصالح بعض الأطراف التي ترى النظام العلائقي بين البشر مبني على احتقار الآخر وفرض التحضر الاستعلائي على الآخر وذلك بسبب تخوفها من منطق الندية والتخلص من الهزيمة النفسية بين طرفي الحوار التي يؤسس لها حوار الحضارات بمنظور إسلامي لتخليص الحضارة المعاصرة من ويلات التطرف و العنصرية بين المجموعات الحضارية المتنوعة وتحديد مؤسسات التسلط والنظرة الواحدية في العالم لصالح الإنسان ، ما يجعل مؤسسات غربية توجه الفكر والمجتمع الغربي نحو التشكيك في التراث الإسلامي ووصف المسلمين بالإرهاب والرجعية بالإضافة إلى دعم الصراعات الداخلية لتشتيت النظرة عن أي محاولة لخروج الإسلام من ازماته واستبيان مشروعه الهادف للإنسانية ، كما أنّه على الذات الإسلامية أخذ بأسباب القوة بكل أشكالها لفرض مشروعها الحواري لأنّ واقع التعامل الإنساني لا يستمع للضعفاء بل للأقوياء وهي فطرة إنسانية تنظم العلاقات بين المجتمعات والدول ليكون للحوار بين الحضارات ذا جدوى وله انعكاس حقيقي في الواقع. (1)

(1) - سليمان الخطيب: أسس مفهوم الحضارة في الاسلام، الزهراء للإعلام العربي، د.ط، القاهرة، 1986، ص25

يعتبر الحوار الحضاري مع الآخر ثقافة أسس لها الإسلام في عدة مشاهد وصور حيث يقول الله تعالى في محكم تنزيل: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))⁽¹⁾ ، حيث يعتبر هذا السند القرائني دعوة إسلامية صحيحة للتآخي والتعايش بين البشر رغم كل التنوعات وفق مقومين هامين أحدهما يرتبط بالمكان هو المجاورة وآخر له علاقة بالذات الفاعلة وهو مقوم التعارف وبسبب سنة الاختلاف بين الناس سن الله حوار سبيلا للتفاهم ولتقارب بين المجموعات البشرية بعيدا عن الصراع والتناحر ، وعلى هذه المفاهيم الراقية اسس رسول الله صلى الله عليه وسلم الدول الإسلامية على حسن المجاورة وبذل كل السب لإقامة علاقات إيجابية مع الآخر عبر آليات الحوار والتفاوض السلمي قبل دخول في أي حرب و أبرز ما يدل على ذلك ميثاق المدينة الذي يعكس اول وثيقة في تاريخ الإسلام لحسن الجوار والتواصل مع الطوائف الأخرى في المدينة المنورة مع ضمان التعايش في ظل هذا التنوع الديني بتواجد اليهود والنصارى وتبادل المنافع فيما بينهم وقد سبق هذا دعوة النبي عليه الصلاة والسلام لتصالح بين قبلي الأوس والخزرج بعد إسلامهما واللذان تحملا لبعضها عداً تاريخياً و ضمان التآخي بين المهاجرين والأنصار لضمان وحدة المجتمع المدني.

وبعودة لواقعنا لا بد علينا التمسك بفعل الحوار لما يكسبنا من قوة في مجابهة مصائب النظام العالمي الجديد التي ستؤدي بالإنسان إلى زوال وانهيار موارده الحضارية والثقافية هذا ما دفع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة لاهتمام بتفعيل الحوار بين الحضارات وفق ثلاثة مستويات: الحوار بين الحضارات ، الحوار بين الثقافات ،الحوار بين الأديان ولا مناص من القول أنها قدمت مفهوما متوازنا وعلميا يؤكد أن الحوار لم يتناول من قبل لا سياسيا في مشاريع الفكر السياسي المعاصر ولا قانونيا في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

(1) - القراءان الكريم : سورة الحجرات ، الآية 13

بقدر ما تؤكد أن يعكس روح التسامح في الثقافة الإسلامية موقف جاد للشخصية الإسلامية في إدارة علاقتها مع الآخر بروح الانفتاح وفق منطلقات الاحترام المتبادل والعدل ورفض الكراهية والتطرف ، وعليه عرضت منظمة الإيسيكو رؤيتها للحوار متمر عبر ثلاثة محطات أولها ربط غايات الحوار مع الآخر بالمصالح العليا للمة الإسلامية وذلك بأن لا يكون الحوار مطية للتنازل على ما تجتمع عليه الحضارة الإسلامية في القضايا الرئيسية وثانيها نقل قيمة الحوار من الخلفيات المرجعية والدينية التي تمثل تعقيدا في ذاته نحو الجوانب الإنسانية العامة التي تضمن التقارب الفعال ومجابهة كل أشكال الاعتداء والفساد في العالم من طرف أصحاب الهيمنة في العالم وثالثها التنسيق المواقف في حوار الحضارات بين الجانبين الشعبي والرسمي بكل أطيافه لتكون هنالك توافق وإحاطة شاملة من المجتمع الإسلامي بآليات مشروع حوار الحضارات ليحقق نتائج إيجابية ويجعل التصرف مع الغير مبني على المجادلة بالحسنى والإقناع بالحجة والبرهان وفق المنهج القرآني ((لا إكراه في الدين)) وأن يتجاوز ممثلينا في حوار الحضارات رجال الدين والفكر إلى علماء الاقتصاد والسياسة والرياضة والفن ليكون التحوار بين الأنا الإسلامي والآخر الغربي أكثر تفصيلا وتحليلا لبناء لبنات حوار حضاري جاد في كل المجالات يعزز الإنسان كقيمة وليس كوسيلة لتمرير أجندات معينة .⁽¹⁾

وتماشيا مع ما تم ذكره لابد أن يكون هنالك استعدادا من كل حضارة للحوار للتفاهم وتجنب الأحكام المسبقة وإعادة صياغة الرؤية وفق نظرة تقدم الإنسان وتغلب منطق التسامح رغم البعد الجغرافي والتنوع الثقافي ، فالقرآن الكريم يقدم الحوار كقيمة أخلاقية في قوله تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

(1) - محمد بوفلاحة : حوار الحضارات من منظور الثقافة الإسلامية "الأسس والقواعد" ،مجلة مقاربات فلسفية ،المجلد 08 ،

أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))⁽¹⁾ فهو بذلك نهج رباني في تنظيم العلاقة مع الآخرين بدعوة بأسلوب حكيم ومعتدل يضمن التقاء المتحاورين بشكل هادف ومفتوح لتحقيق الغاية من الدعوة الإسلامية عبر الموعظة الحسنة دون إقصاء أو تهميش للطرف الآخر أو تعنيف لنصل بذلك إلى أهم محطة في منهج الحوار الإسلامي وهي الجدل والتي تفضي إلى الإيمان بالحوار أو رفضه حول المسألة المطروحة حيث ترك الله تعالى مجال مفتوح للمحاور للوصول لإقناع الآخر في ظل الجدل الحسن وفق مقتضيات الشريعة الإسلامية ، وفي هذا المقام كذلك قدم الخطاب الإسلامي لإثبات الحوار مع الآخر من خلال بناء استراتيجية للتعايش وهذا ما تبدى جليا في قوله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَعُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ))⁽²⁾ إذ يمثل هذا الخطاب أول نداء عالمي للتعايش رغم الاختلاف الديني بين الإسلام واليهودية والنصرانية من خلال تجنب التعصب السائد و الالتقاء حول العناصر المشتركة بين هذه الديانات على رأسها توحيد الله تعالى ونبذ الشرك خاصة أن فترة الإسلام شهدت تناحر مريع بين اليهودية والنصرانية كالذي قام به "شرحبيل" ملك اليمن بعد تخليه عن النصرانية و إعتناقه اليهودية حيث قام بتحريق وتعذيب النصارى وحرقتهم وهدم كنائسهم بتحريض من اليهود ، فتحركت الإمبراطورية الرومانية عن طريق حليفها مملكة الحبشة لانتقام من اليمن لتلجأ هذه الأخيرة لطلب الدعم من مملكة الفارسية ليكون نتاج أول محرقة تعرض لها النصارى حرب دينية عالمية بين إمبراطوريتين عظيمتين هما الفرس والروم على ثلاثة قارات إفريقيا وأوروبا وآسيا وهذا ما جعل فيما بعد يسعى لتجاوز الحروب الدينية التي سادت قبله بالتزام الحوار والتعايش ، ولهذا لا

(1) - القراءان الكريم : سورة النحل ، الآية 125

(2) - القراءان الكريم : سورة ال عمران ، الآية 64

يفوتنا أن ننوه أن الصراع الديني الذي وجده الرسول عليه الصلاة والسلام قبله دفعه لتحقيق القيم التي تعزز الاعتراف بالآخر وما يساهم ذلك في تهدئة العالم في قوله تعالى: ((وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ))⁽¹⁾ ، وهذا ما سمح للنبي عليه الصلاة والسلام ذلك وفي وثيقة المدينة لتأسيس حلف للجمع بين الأوس والخزرج و المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من جهة ومن جهة أخرى عقد حلف مع اليهود والمشركين في المدينة ضد اي غزو من قريش الوثنية وهذا ما عكس مدى التعايش في المجتمع الإسلامي بين المسلم وغيره وهذا مثال ما يعكس حقيقة الإسلام كونه دينيا أعطى مجالا واسعا لاستراتيجية التعايش السلمي والاعتراف بالآخر.⁽²⁾

إلا أنه على رغم من ذلك إنَّ الباحث في معالم حوار الحضارات في الفكر الإسلامي المعاصر يجد ثلاثة تيارات يحمل كل منها رؤية معينة عن مشروع التحوار مع الآخر يتمثل أولها في التيار التغريبي الذي يجمع المنبهرين بالنموذج الغربي والذين يغض النظر على الإرث الثقافي والديني للحضارة الإسلامية وفتح حوار غير مشروط مع الغرب لتحقيق التحضر المنشود بعيدا عن الفكر الرجعي والنصوص العقيمة أمَّا التيار الثاني فيتسم بالراديكالية في رفض الكلي لأي حوار مع العالم الغربي إلا بما يتماشى مع الضوابط الشرعية وتحقيق حلمه في إقامة مشروع الدولة الإسلامية كما يوجد تيار ثالث يتصف بالواقعية في بناء علاقة الإسلام مع الغرب على ضوء منهج عقلاني يدعو للاستفادة من الغرب في العلم والتكنولوجيا مع محافظة المرجعية الثقافية والدينية للمجتمعات الإسلامية وبنعكس هذا الاتجاه في العالم الغربي وفق مقارنتين الأولى يتزعمها ما يسمون "منظروا العالم الثالث الجديد" الذين يرون تدهور العلاقة بين الغرب والإسلام تعود للمنطق الإمبريالي

(1) - القراءان الكريم : سورة الكهف ، الآية 29

(2) - برهان زريق : حوار الحضارات وبعده الديني ، المرجع السابق ، ص 7-11

الغرب و الماضي الاستعماري ولا بد من تجاوز هذه الخلفيات بالعمل على نشر التسامح والتبادل الثقافي ومن اتباعه الأمير البريطاني "تشارلز" والرئيس الألماني "رومان هيرتسوغ" ومقاربة ثانية مع المستشرقين الجدد من أبرزهم "برنارد لويس" الذي يؤكد أنّ الوضعية بين الحضارة الغربية والإسلامية ميالة للصدام بسبب بعض خصوصيات في الثقافة الإسلامية التي تعيق عملية بناء حوار جاد ومتوازن على ضوء المبادئ الإنسانية العامة. (1)

وعلاوة على ذلك نجد من المفكرين المسلمين من ينظر بريبة إلى دعوة حوار الحضارات بريبة رغم أنّ الجوهر العام للدين الإسلامي يؤسس لمفاهيم الحوار والتقارب مع الآخر فقد برز هذا التوجس بسبب الموقف الغربي الذي ينظر لمشروع حوار الحضارات ليس كسبيل للتعايش بل كآلية لتفاوض السياسي من منطلق القوة وهذا ما يتأكد مع المبادئ الشاملة للمحور الغربي عبر نظرية صراع الحضارات والتي تسعى لاستغلال فرصة التقارب لتحقيق أهداف الهيمنة بين الغرب والإسلام بتقديم نظرة انفصالية في التنوع الحضاري بين البشر كون أنّ العالم حكمته سابقا الاختلافات الأيديولوجية وسيحكم مستقبله لا محالة روح التصادم بين الأمم ، ولكن هاهنا لا بد من عرض عاملين للرد على أهم مرتكزات نظرية صدام الحضارات بين الانا الإسلامي والآخر الغربي حسب "هنتغتون" أولها أنّ هنالك تزييف لروح الإسلام بوصفه بالصراعية في توجهاته عبر الإرهاب والعنف في حين أنّ تاريخ الحضارة الإسلامية لطالما تسم بالانفتاح والتعايش مع الآخر ، أمّا الخطأ الثاني في هذه النظرية فهو حكمه على عدم تكيف الإسلام مع مبادئ حوار الحضارات وهذا ما ينافي حقيقة الإسلام ولعل توصيفه الأخير هو تبرير لما يريد طرحه بجعل العالم الإسلامي مركز التصادم من العالم الشرقي في مشروعه لجعل الغرب نهاية الحضارة عبر عدة طرق منها وصف

(1) - أحمد جاسم إبراهيم: مشروع الحوار الحضاري أبعاده ومستقبله، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 6، العدد 4، العراق، 2016، ص 130.

الميولات الإسلامية بأنّها بالرجعية وأنها تحمل منهج الحرب والقتل منذ بروز الدين الإسلامي وإرغام الناس لدخوله بحد السيف بعيدا عن كل صور التسامح والعفو ، فهذه الشبهات كل مجرد تبرير لقتل معنى الحوار الحضاري الذي يدعو له الإسلام في ظل الاحترام المتبادل للتنوع الحضاري والثقافي للإنسانية قاطبة .⁽¹⁾

وفي المقام الموالي نجد أنّ الإسلام وجد ليتعايش لا ليتصادم رغم كل ما حملته هذه الأطروحات المشوهة للحضارة الإسلامية على رأسها نظرية صراع الحضارات التي جاءت على أنقاض انهيار المعسكر الشيوعي لتعوض هوس الغربي باستعداد الآخر عن طريق إحياء النعرات و الخلافات مع المسلمين بعد انقضاء عهد المارد الأحمر ، فكل دعاوي أصحاب نظرية التصادم التي تقدم العالم الإسلامي بكونه حضارة منعزلة ومتطرفة لا تؤمن بأي شيء خارج ذاتها يبقى مجرد اوصاف فارغة يرفضها الواقع وحقيقة دستور المسلمين وهو القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ))⁽²⁾، و ما يعزز هذه الحقيقة التاريخية التي أنجزها النبي عليه الصلاة والسلام في وثيقة التعايش في المدينة المنورة بين مختلف الأديان والملل والقبائل بطبعها بالحوار و التسامح للعيش في رحاب الأمن والسلام في ظل هذا التنوع الديني والثقافي حيث يقول سبحانه: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))⁽³⁾، وهذا يعكس أسس التعايش الحضاري في الإسلام مع الآخر أولها أن الدين

(1) - محمد خليفة حسن: المسلمون و الحوار الحضاري مع الآخر "تقد إسلامي لنظرية صراع الحضارات"، مركز الدراسات

الشرقية ،سلسلة الحوار بين الأديان والنقاء الحضارات ،العدد2، جامعة القاهرة ، 2003 ، ص71

(2) - القراءان الكريم : سورة آل عمران ، الآية 63

(3) - القراءان الكريم : سورة العنكبوت ، الآية 46

الإسلامي يترك الأمر واسعاً لاعتناقه ولا يكره أحداً بقوة لتصديقه بل ويدعو لحفظ النفس الإنسانية مهما كانت ملتها أو عقيدتها لان كرامة الإنسانية تعلو على روح الاختلاف، صنف إلى ذلك إن دعوة الإسلام لنشر السلم والتقارب لا تبرر لقبول العدوان والظلم والفساد مما يمثل انتقاصاً من قيمة البشر قبل اهل الإسلام و هذا ما يعكس رقي الدعوة الإسلامية للتسامح حيث يقول الله تعالى: ((وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ))⁽¹⁾، ولعل كل هذه الشواهد تؤكد عدم صدقية ما أراد الغرب الصاقه بالإسلام من اوصاف كالحرب و القتل و العنف وفي حقيقة شريعة سلام ومودة حيث يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام في هذا المنوال : ((لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموه فاثبتوا واذكروا الله كثيراً))⁽²⁾، و خلاصة القول أن الحضارة الإسلامية تقدر ذاتها ولا تقصي الآخر مهما كان الاختلاف معه فديننا يبدأ رسالته بدعوة توحيد الله تعالى وتنتهي بالدعوة للتعايش الحضاري لتحقيق الكرامة الإنسانية بعيداً عن كل أشكال الصراع مع الغير بنظرة شاملة تتجاوز الخصوصيات والمصالح الفئوية لصالح حماية التنوع والتعدد الحضاري بين الأمم البشرية.⁽³⁾

ب/ آليات وشروط الحوار الحضاري في الرؤية الإسلامية :

يعتبر هذا المشروع أحد أبرز القضايا التي تناولها الفكر العربي والإسلامي في مرحلة المعاصرة كخطاب مؤسس يرفض آليات الصراع والإقصاء التي أنتهجها العالم الغربي في تبرير لأطروحاته ، إذ سعى الفكر الإسلامي لإيجاد منهجية شاملة ومتكاملة تقاوم التهور

(1) - القرآن الكريم : سورة الأنفال ، الآية 61

(2) - الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) - حسن عزوزي: الاسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري ، كتاب جماعي، المؤتمر الاسلامي العالمي للحوار ،

الغربي وتحفظ خصوصيته عبر آليات الحوار الحضاري الذي كان سابقا محل شبهة واستضعاف لدى متقنين في العالم الإسلامي ومع التحولات الكبيرة التي شهدها العالم أصبح التحوار أحد سبل الإمكان الحضاري عبر مختلف الوسائل المتاحة، ليصير هذا المشروع من مجرد دعوات فردية أو مقاربات لدى بعض المفكرين الغربيين القلائل إلى مطلب إسلامي عام تتبناه المؤسسات الرسمية خاصة أن الحوار مع الآخر لا يتخالف مع منطق التدافع الإسلامي في مجادلة الآخر ومحاول فهمه وإفهامه لتنتقل دعوة حوار الحضارات في الفكر الإسلامي المعاصر إلى ميدانية عبر الملتقيات والكتب وتفرز عن هذا المسار البحثي عدة إشكاليات جديدة تتقاطع مع الحوار بين الحضارات كالعلاقة بين الخصوصي والكوني وعلاقة الذات الإسلامية بالآخر الغربي في ظل مد عولمي يسعى لتدجين كل الحضارات وفق المقاربة الغربية.

وعليه تعددت الأسباب التي دفعت الفكر الإسلامي إلى انتهاج سبيل حوار الحضارات مسلكا لمعالجة الاختلاف الثقافي والحضاري بين الأمم ، فمن أبرز الدوافع التي دفعت قدما نحو حوار حضاري عاجل هو:

* - تغول التصادم والعداء بين المجتمعات البشرية خاصة مع سطوة نظرية صراع الحضارات عند "صموئيل هنتغتون" التي تخدم السياسة الأمريكية والغربية عموما باعتماد الصراع بين الحضارات عبر صورتين الغرب والإسلام والكونفوشيوسية والغرب حقيقة لإثبات التفوق و التمايز بين المجتمعات وهذا ما يفتح الباب للغرب لفرضه هيمنته على العالم بإحلال الصراع بين الحضارات محل الصراع الأيديولوجي الذي يكون فيه الحسم حتما للعالم الغربي

* - ضف إلى ذلك إن الآلة الغربية لم تتوقف عند هذا الصراع بين المجموعات الثقافية بسبب رفض القيم الغربية بل تعدته لمشروع متمم هو نهاية التاريخ عند "فرنسيس فوكوياما"

الذي يرى أنّ الغرب سيحسم هذا الصراع لصالحه وتتسید الثقافة الغربية العالم خاصة بعد انهيار المارد الأحمر الاتحاد السوفياتي وجوب خلق معادلة أيديولوجية جديدة لا تعنى منافسة للغرب بقدر ما تؤكد ضعف مقاومة النموذج الحضاري الغربي في العالم .

* -أمّا على مستوى الواقع والمؤسسات فقد كانت سنة 2001 عاما لحوار الحضارات في الأمم المتحدة بطلب من السيد "محمد خاتمي" ما يؤكد توجه المنطق العالمي نحو التقارب و بالخصوص الأوروبي وذلك ما توضح بالعمل على إنشاء مؤسسة كبرى لحوار الحضارات برعاية المفوضية الأوروبية و ما تبع ذلك من إصدار عشرات الكتب والبحوث في المجالات والملتقيات الدولية متخصصة في ترسيخ قيم حوار الحضارات بين الأمم في ظل إنشاء عدة برامج بحثية ومراكز علمية مهمة بمشروع حوار الحضارات وعلى سبيل مثال نذكر منها المعهد الدولي للحضارات الذي أسسه "روجي غارودي" عام 1976م الذي يعالج دور البلدان غير الغربية في إثراء الثقافة العالمية ومؤلفاته الثرية بحقائق الحوار والتقارب بين مختلف الثقافات، وكذلك تأسيس المركز الدولي لحوار الحضارات تحت إشراف د.محمد خاتمي عام 1998 الذي لعب دورا محوريا في إذاعة المشروع وإعادته للواجهة .⁽¹⁾

* - وفي ذات الصدد فإنّ العالم بدأ يشهد حالة من العنصرية بين مختلف مكوناته شهدت تطورا خطيرا خاصة بعد تزايد الهجرة نحو الغرب ما خلق تغيرات ثقافية في المجتمعات الغربية جعلته يعمل على تحصين نفسه من هذه الروافد الدخيلة بمحاولة تحجيم هذه الثقافات و حصر مؤسسات الدينية التابعة لها على رأسها الإسلام لما يمثله من تهديد في الصميم للبنية الداخلية للشخصية الغربية

(1) - علي عبود المحمدواي: خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر ،

* - ولم يتوقف الأمر عند رهاب من الآخر بل سعي الغرب كذلك لتعويم معنى الاستبعاد عبر مشروع العولمة من خلال تجاوز كل الحدود الثقافية والسياسية والدينية للمجتمعات ونشر قيم الحضارة الغربية والقضاء في المقابل على الخصوصيات الحضارية للأمم خاصة في المجال الاقتصادي عبر هيمنة نظام الرأسمالي الذي تقوده الولايات المتحدة في ظل النظام العالمي الجديد الذي يسعى بدرجة أولى لتقويض الحضارة الإسلامية وتدجينها وفق المقاربة الغربية. (1)

* - ولعل من مبررات استحداث الحوار بين الحضارات ما يشهد العالم من صراعات وحروب مريعة انتجت واقع مأساوي تسود الحروب والمجاعات نظرا لسياسة الغربية المتسلطة والتي تسعى على الدوام لخدمة مصالحها فقط دون الآخرين وسعي لفرض إرادتها ولو بقوة على الآخر لبقائها الحضارة الغربية هي نهاية التحضر التي تنتهي عنده كل الأمم ، ومن هذه الصور البائسة لهذا الصراع معاداة الإسلام وتحوله لعقدة مرضية خلقت رهاب من كل ما يمثل الإسلام في شكل ظاهرة الإسلاموفوبيا حتى أنّ هذا الخوف له امتداداتها التاريخية مع الغرب منذ الحروب الصليبية إلاّ أنّه أخذ في وقتنا المعاصر مسالك أكثر خطورة خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ومحاولة الفكر لسد الفراغ العدواني على ضوء أن الذات الغربية لا تجد حقيقتها إلا من خلال جلد الآخر عبر المركزية الغربية ما جعل صراع يحطم كل عرى التقارب (2)

هذا ما حتم على البشرية تجاوز هذه التنازعات الدينية و الأيدولوجية وفكرة الثقافة العالمية الموحدة لكل الحضارات من خلال الدعوة إلى ثقافة عالمية متعددة تحترم الخصوصيات وتلغي هيمنة ثقافة الواحدة على مختلف الأمم.

(1) - علي خامنئي: الغزو الثقافي والمقدمات والخلفيات التاريخية ، دار الولاية للثقافة والاعلام ، ص 94

(1) - عبد الله عبد الدائم : إسرائيل وهويتها ممزقة ، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2001، ص 23

وتماشيا مع ما تم ذكره من الأسباب التي دفعت نحو صياغة مشروع حوار الحضارات حريا بنا كذلك تناول الشروط التي تضمن حوارا حضاريا فعالا يتماشى مع أبجديات التقارب عوض التنافر التي قدمتها المشاريع الصدامية بين الحضارات ومن بينها:

* - الاحترام المتبادل والاعتراف بالتعددية الثقافية والحضارية بين الأطراف محل التحاور كون الحوار سنة كونية و ضرورة إنسانية تحيد الصعوبات مقابل التفاهم في ظل الاعتراف بالآخر وقرار التعايش معه لما يخدم مصلحة كل الأطراف⁽¹⁾ ، وما يتبعه ذلك من ترك لصورة الانبهار بالغرب وإلغاء فكرة الدونية لغير الغربي بوسمه بالرجعية والتوحش وإعادة الاعتبار للذات قيما وثقافة مقابل الآخر مولع بتفوقه.

* - ولذلك ينبغي نيل اعتراف غربي بالمجهودات الثقافية والتاريخية للشرق فلا يمكن للعالم أن يؤسس على تراث ثنائي المصدر والمجال متمثلا في التركة الإغريقيو-رومانية لبناء الحضارة الإنسانية التي تتميز بالتنوعات والمتشعبة من الصينية والهندية إلى الإسلامية لذا لا بد من إقامة بيئة حضارية تفر بالتراكم الحضاري بين الأمم الذي أوصل البشرية إلى ما هي عليه في وقتنا المعاصر خاصة مع كون أن الحضارة تمثل الإنسان قبل الإيديولوجيا و النزعات العرقية ،فكلنا يعلم أن هنالك مبادئ مشتركة توفر الفضاء المناسب لرفع الاختلافات لتحقيق الحوار الذي لا يطلب من المغاير التخلي عن مرجعيته الثقافية والسياسية وإنما توسيع مجال التقارب يحقق التآلف والتعاون الاجتماعي بين دفتي الحوار⁽²⁾ مع رفض التشويهات المتبادلة والتنازلات لصالح التفوق لما يمثله ذلك من سواد الذاتية على روح النقاش الجاد والحوار .

(1) - عبد الله علي العليان :حوار الحضارات في القرن 21-رؤية إسلامية للحوار- ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 ، 2004 ، ص82

(2) - محمد محفوظ: الاسلام ورهانات الديموقراطية ، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 2002، ص85

* - وعلاوة على ذلك من أجل تحقيق حوار حضاري لابد أن يتسم المفكرين والسياسيين بالموضوعية بعيدا عن الأفكار المسبقة والأغراض الخفية لما يمثله ذلك من نزاهة حضارية

* - ضف إلى ذلك تحرر طرفي الحوار من العقد النفسية على رأسها عقدة التفوق الغربي ودونية الآخر الذي أساء للحضارة بعدم انتهاجه أساليب التحضر وما يمثله ذلك من دعوة لتمرکز حول القيم الغربية و ما يقابله ذلك من تصادمات مفضية للتنافر الحضاري وفي هذا الإطار بعد تخلي على هذه التعقيدات يكون الحوار مبينا على التكافؤ والندية لتحقيق الإرادة الحضارية المشتركة فمن الطبيعي أن الحوار لا يتحقق بين قوي وضعيف لذا لابد أن يصير بحوار الحضارات إلى تجاوز منطق القوة لصالح ما قدمته كل حضارة من مكاسب تاريخية وثقافية للمجتمعات الإنسانية وحفظها على الوجود البشري وهذا ما يساعد في تهيئة الأجواء للحوار بالابتعاد عن الأفكار المتطرفة والنزعة الفردانية وهذا ما يسمح في ذاته بحصر أهداف والقضايا المحددة لإنجاح الحوار مع تحقيق الغايات المنشودة بعيدا عن منطق الحلقات المفرغة في التخاطب بين الأنا والآخر.⁽¹⁾

إن توفر شروط وأسباب الحوار الحضاري يضمن حورا شفافا مبينا على أسس واقعية تحفظ لكل طرف هويته واعتزازه بذاته رغم كل المعوقات التي نرها في واقعنا إلا أن مشروع حوار الحضارات تجربة تستحق التطبيق والمتابعة من طرف النخب الثقافية التي تعمل بوعي لإثراء البعد الحضاري المشترك بين الأمم لنا أو الأجيال القادمة أن حقيقة التواصل بين البشر أساسها التحوار لتحقيق معنى الوجود الإنساني وتصحيح التصورات في مخيلة المجتمع الغربي أو اللاغربي لأن التحديات التي تواجه الشعوب تفرض على الجميع الإيمان ببعضهم البعض لتحقيق حضارة إنسانية متعددة ومتكاملة.

(1) - علي عبود المحمداوي : خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح ، المرجع السابق ، ص 91

وننتيجة لذلك نجد أن الحوار الحضاري يريد الوصول في ماهيته إلى عدة أهداف

لخصها وزير الخارجية الجزائري الأسبق "أحمد طالب الإبراهيمي" تمرکز حول:

* - الهدف العقائدي بتصحيح صورة الإسلام المشوهة من طرف الآلة الإعلامية الغربية وربطه دوماً بمفاهيم الإرهاب والتطرف ، حيث يسمح حوار الحضارات مجال للنقاش رؤية الإسلام من الحركات الإرهابية التي تتحدث باسمه وإدانتها من جهة ومن جهة أخرى تذكير بأن مفهوم الإرهاب يتجاوز الإسلام لنجد عدة دولة تتعامل بآليات غير مباشرة في السياسة العالمية

* - ضف إلى ذلك الهدف السياسي متمثل في بناء حوار بين حضارات متكافئة إذ لا يمكن للحوار أن يحقق غايته السامية في ظل نزعة تمرکز الغرب حول ذاته وفرضه منطق الوصاية على العالم على سبيل شرعية ما يسمى مجلس الأمن الذي يقصى الآخر من معادلة حفظ الأمن العالمي ولهذا سيكون منبر حوار الحضارات أحد سبل لكشف التعدد الحضاري والاختلاف السياسي بين الأمم

* -أما من الجانب الاقتصادي فإن الحوار الحضاري يقرب المعادلة الدولية من كون كل نموذج غربي في الاقتصاد هو معيار للنجاح والازدهار إلى خلق نماذج وقوى اقتصادية مختلفة وتحترم ببعضها بما يضمن قوة الاقتصاد العالمي بعيدا عن آليات الهيمنة الاقتصادية وما يحمله ذلك من عواقب في حال انهيار النموذج الواحد ، كما لا يفوتنا التذكير بالمعيار الأخلاقي بين الغرب والإسلام متغير فالحضارة الغربية لا تؤمن إلا بالمادة في التعاطي مع الآخر على عكس المسلم الذي لا يجعل اهتمامه في الحياة بقدر ما يؤمن بالنزعة الأخلاقية في التفاعل مع غيره ولنحقق حواراً مأمونا كما يتحدث الإبراهيمي لابد من إيجاد توافق بين المصلحة الواقعية مع الخصائص الإيجابية للنمط الحضاري الموجود والإرث الثقافي

المستمد من التاريخ ليكون هنالك استئناف فعلي للتطور الحضاري بما يخدم الإطار الإنساني المشترك.⁽¹⁾

ج/ حقيقة مشروع حوار الحضارات عند غارودي:

لقد أراد غارودي تجاوز الحوار الهجين الذي انتجه الغربي وفق ما يخدم مصالحه ، إلى حوار يؤمن بالإنسان ويعكس أن ماهية الحوار تتجاوز ما يريد الغرب الترويج له في كل المجالات ، لأنّ الحوار بمفهوم الغربي يبقى أحد صور الحوار الشامل و ليس الحوار الإنساني بالمعنى الواسع الذي يتجاوز التحجيم الذي يسعى فصيل معين لفرضه على بقية الثقافات والأمم تحت مفاهيم السيادة أو الوصاية ، حيث وجد مفكرنا هذه اليقظة في الحوار برؤية إسلامية متبصرة لا تلغي الآخر ولا تهتمش الذات بل تضمن التوافق بينهما بما يخدم الإنسانية والسلام .

ولعل من بين دواعي جنوح روجي غارودي⁽²⁾ لحوار الحضارات تلك الحقبة التي عمت فيها الصراعات والحروب الفكرية وحتى التدخلات العسكرية في العالم ، فأراد هو أن يحرر الإنسانية من الأنانية وحب التسلط وبناء لحمة إنسانية من خلال مشروعه حوار الحضارات بعيدا عن منطق الصراع واختصار العلم والحضارة في الفاهمة الغربية لأن ذلك تلاعب صريح بكل الحقائق الحضارية ، لذا كان واجبا في نظره إعادة الموازين في العالم بإرجاع الذات الغربية إلى حجمها حقيقي في الإرث الحضاري الحديث واعتبارها فصيلا ثقافيا ساهم في البناء الحضاري في مجال وحقب معينة بعيدين في ذلك عن البعد الواحد في الطرح الحضاري عند الغرب أو ما يسمى المونولوج الغربي الذي يحاور ذاته قبل الآخر في

(1) - برهان زريق: حوار الحضارات وبعده الديني، المرجع السابق ، ص 147-148

(2) - روجي غارودي(1913-2012) هو فيلسوف فرنسي اعتنق الاسلام 1982م ويؤمن بمشروع حوار الحضارات

ظل سيطرة المادية وغياب الجانب الروحاني في إقامة العلاقات الإنسانية وذلك ما انجر حوله مخلفات وسلبيات لو تطول ستؤدي بالعالم إلى الكارثة ، وهذا ما عمل باحثنا على تفصيله في مؤلفه المشهور "حوار الحضارات" والذي تميز بصراحة في وصف الحالة الغربية بأبعادها المادية وأنها لا تعدوا مجرد مرحلة حضارية جاءت نتاج عن تقلبات حضارية سابقة أفرزت حالة من التيهان الثقافي بين الأمم بسبب سعي الغرب لفرض أجنداته وتصدي الآخر له أو إهماله أصبحت البشرية في حالة تصادم دائمة بين مختلف أقطابها الحضارية. (1)

ولا مناص من القول أن مشروع حوار الحضارات عند غارودي له جذور ممتدة من العقيدة الإسلامية التي تؤمن بمبادئ الاختلاف والجدل الحسن مع الغير لتحقيق التوافق والتقارب حول قضية ما ، وهذه الحقيقة تتجلى في كل جنبات الخطاب القرآني الذي يدعو إلى التعايش بين الناس في ظل الاحترام المتبادل ولكن مع انهيار الحضارة الإسلامية وسيادة الحضارة الغربية تغيرت المفاهيم وأصبح الذات الغربية تحتكر كل حقائق الوجود الحضاري بمشاريع ومذاهب متعددة وتلغي الآخر ، هذا ما دفع روجي لهندسة مشروعه الذي يلزم الغرب بمراجعة مناهجه العقيمة في رفض الآخر الشرقي بما فيه المكون الإسلامي بحجج الرجعية والتخلف وتفرد الذات الغربية بالسيادة و التحضر وأن هذه المنطلقات الإقصائية ستمنعهم من الاستفادة من التراث الشرقي الزاخر بمنتجات الثقافية والتاريخية لتحقيق وحدة بين المجتمعات الإنسانية واستثمار في الحوار كأداة هامة في حل المشكلات المعاصرة.

(1) - روجي غارودي: روجي غارودي : لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة ،مكتبة القران للنشر ، القاهرة ،

تماشيا مع ما تم ذكره نجد قول الله تعالى: "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا"⁽¹⁾ ولعل الآية الكريمة تعتبر الإفرازات لمشروع حوار حضاري جاد وجد حقيقته في عدة مشاهدة في حياة النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه فيما بعده كل هذه المظاهر كانت في صحيح المنصوص والسلوك ليدخل الفعل الحوار في ساحة الفكر الإسلامي مع ما قدمه غارودي في مشروعه حوار الحضارات ولیدخل حيز المؤسسات الدولية عبر مبادرة رئيس الجمهورية الإيرانية محمد خاتمي سنة 1998م في خطابه بالأمم المتحدة في دورتها الثالثة والخمسين وكان نتاج ذلك اعتماد عام 2001م سنة لحوار الحضارات والثقافات بين الأمم المختلفة ولتعتبر بذلك أول خطوة أممية بعد تحول نحو أحادية القطبية بقيادة الغرب على رأسه الو.م.أ. لاحتزام التعدد الحضاري وفتح المجال للحوار والتواصل لمعرفة الإنجازات الحضارية لكل الأمم بدون تحيز أو إلغاء في إطار التنوع البشري وهذا ما سيسهم في تراجع الصراعات والحروب بين الدول ويضمن الاستقرار في العلاقات الدولية في ظل ضامن الحوار بين مختلف الحضارات لتحقيق معاني الإرث المشترك بين البشر .

وفي ذات السياق تجاوز غارودي الرؤية النقدية لمشاريع الغرب نحو نظرة تجديدية لعوامل الضابطة لحوار كوني جاد لا يقصي أي طرف حضاري لمساهمة كل الثقافات فيما وصلت إليه الإنسانية في وقتنا المعاصر ، وعليه كانت نظرتة لحوار على ثلاثة عناصر اساسية أولها ركيزة الإخصاب التي تأخذ شكلا عقلانيا يتميز بالجدال الذي يفضي إلى صناعة التوافق بين مختلف التصورات الحضارية لما تضمنه هذه الركيزة من التقارب والتلاقي بغرض توليد فعل حضاري أكثر انفتاحا يحب مرامي الجدال المثمر بين مختلف الحضارات ويقضي على التسلط الحضاري لأي حضارة لسقوط الأنا السادي أمام الذوات الحضارية المتحاورة التي تتجلى في الثقافات غير الغربية مع كل من ثورات آسيا والإسلام

(1) - القراءان الكريم : سورة الأعراف ، الآية 158

وأفريقيا وأمريكا اللاتينية من جهة ومن جهة أخرى المد الغربي ، وهذا ما يعكس الرؤية العالمية التي يرمي مفكرنا الوصول إليه بنظرة أخلاقية بين مختلف رؤى الحضارية وإدماج الحضارات الشرقية في صناعة المجد الإنساني واعتبار الفصيل الغربي أحد مكونات هذا التطور الحاصل لأنه لا قطيعة في التواصل الحضاري بين الأمم ولهذا يقول: "إن حوار الحضارات الحقيقي ليس بجائر إذا اعتبرت الإنسان الآخر والثقافة الأخرى ليس جزءا من ذاتي التي يعمر بها كياني ويكشف لي عما يعوزني"⁽¹⁾ وهذا يحقق في نظره مشروع الأمل ذو البعد الكوني الجامع بين كل الأمم في حوار حضاري جاد يضمن استمرار المغامرة الإنسانية بتغيير كل حضارة لذاتها بعيدا على آليات الرفض ومعاداة الآخر لمجرد الاختلاف أو عدم تقاطع في رؤية معينة وهذا ما سيؤدي إلى التكامل الحضاري المنشود ، أمّا الركيزة الثانية في حوار الحضارات حسب غارودي هو معيار التبادل بين الأطراف المختلفة على مائدة الحوار من خلال إتاحة الفرصة للتداول بعيدا عن تسلط جهة حضارية على روح الحوار لنضمن تواصل حقيقيا بين الذوات الحضارية على أساس المنطق العقلي والانفتاح مع الآخر هذا الأخير سيكون دائما واجهة تكشف لي على النقائص التي توجد بي وما يحقق ذلك من توازن حقيقي بين الثقافات المختلفة أمّا ختاماً فلا بد لعنصري الإخصاب والتبادل من أطراف الحوار يمثل تناغمها حقيقة حوار الحضارات حيث تجاوز في هذه الركيزة الأنا الغربي واستحضر أمجاد الحضارية سواء مع الإسلام أو في أفريقيا وآسيا وما قدمته للبشرية من إسهامات مع كل من حكم كونفوشيوس و مآثر غاندي مع الإنجليز و إنسانية الحضارة الإسلامية وهذا ما يلغى سمة الانفراد بالحوار وتعويض ذلك بتخاطب سنفوني يستلهم من الحكمة اللاغربية لتجاوز كل المشكلات العالمية و إقامة حوار فعلي بين الحضارة الغربية المادية و اللاغربية الروحية أساسه التوافق لاكتشاف الذات والآخر بما يخدم الإنسان وليس

(1) - روجي غارودي : حوار الحضارات ، المرجع السابق ، ص158

الأناوية المتعالية من اي طرف كان لأن استدامة الصراع بين الحضارات ستودي لدمار الإرث البشري الموحد.⁽¹⁾

ولعل من أبرز مبررات مشروع الأمل عندي غارودي متمثلا في حوار الحضارات كونه البديل الأنسب للنموذج الغربي الذي يسير بالعالم نحو الانتحار هو:

*- إنَّ الكل يدرك أنَّ الغرب يرى العالم بعين واحدة ويعاني من ترسبا مادية وأناوية قاتلة في حضارته رغم التطور الذي بلغه إلا أن يعاني من عدة أورام ثقافية لا بد استئصالها بتجاوز موضوعاته الرئيسية رجحان العمل والعقل على مداركه و رجحان الدائم اللانهائي الكمي في معالجة مختلف القضايا

*- فهذه الأخيرة التي عكست عند الغربي حبه للسيطرة والريح أصبحت في وقتنا تنتج صراع مستفحلا بين الأمم لا بد من تجاوزه لصالح الإنسانية باسترجاع الغرب لأبعاد الإنسانية ورفع الحضارات الأخرى إلى ساحة العصرية بتبادل فعال بين الكليات الحضارية حيث يقول غارودي في هذا الصدد: " ليس بمحال مطلقا حدوث مبادلة تتيح حوار بين الحضارات ، ولكن الحوار يفترض أن يكون كل طرف مقتنع بأن ثمة شيئا يتعلمه من الطرف الآخر، لقد استمر حديث الغرب عن ذاته زمنا كافيا وقد حاول توجيه جميع الحضارات بحسب منظوره الخاص... إنَّ حوار الحضارات الحقيقي ليس بجائر إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر والثقافة الأخرى جزءاً من ذاتي"

*- ضف إلى ذلك يسعى مشروع حوار الحضارات إلى إعادة البعد الإنساني للحضارة وذلك أنَّ الحوار يعتبر ضامن حقيقي لعودة الإنسانية للتداول الحضاري بأفضل الطرق الممكنة خاصة في ظل طغوة المادية وحب الذات على العلاقات الحضارية ما جعل اللانسانية هي

(1) - روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، المرجع السابق ، ص 61

سيدة الموقف بين مختلف المجتمعات لهذا كان واجبا إرساء قيم التحوار الحضاري كقيمة إنسانية تحقق التلاؤم والتقارب بين الحضارات المختلفة لضمان معادلة إنسانية تحقق مستقبل حضاري آمن للبشرية ينهل من الأبعاد الحضارية للمجتمعات غير الغربية ليتحقق البعد الإنساني المتكامل في المرحلة المعاصرة التي تعكس حالة من التشطي المخيف بسبب إفرازات العالم الغربي ما حتم لزما صناعة حوار الحضارات كمشروع للأمل الإنساني والحضاري متعددة الأبعاد وإرجاع حياة تعمل معانيها التي افنقدتها في رحاب النموذج الغربي العقيم الذي صنع ذاته في صفة الإنسان الواحد بعيدا عن الحقيقة التاريخية والاجتماعية وعلى حساب الإنسانية المشتركة متناسيا الآخر بكل ما فيه ما يجعلنا أمّا دعوة إلزامية هي حوار الحضارات ترجع لعالم توازنه الحضاري وضمان العيش المشترك في ظل الاحترام والتحوار.⁽¹⁾

وجدير بذكر أن "غارودي" بعد المبررات رسم مقومات لمشروعه حوار الحضاري في ثلاثة نقاط أساسية:

* - أولها إنّ دراسة الحضارات اللاغربية تعادل في أهميتها ما وصلت إليه الثقافة الغربية.

* ثانيا إنّ إعادة مبحث الجمال إلى ساحة الدراسة في مكانة لا تقل عن البحث في العلوم التقنية.

* - وهذا ما يتيح المجال للنقطة الأخيرة الأمّة متمثلة في فن تخيل العلاقات المستقبلية بنفس الأهمية مع تناول الأحداث التاريخية خاصة أنّ الدراسات المستقبلية لا تتعارض أبداً مع الحقائق التاريخية بل تتأسس عليها في إقامة نظرة مستقبلية واعدة في ظل رؤية مفكرتنا التي

(1) - روجي غارودي: حوار الحضارات ، المرجع السابق ، ص 10

ترى التهاور وفق مسألة التكافئ بين الذات الغربية والآخر الشرقي في الحقوق وإدراج المعارف لننتقل من حوار صوري إلى حوار واقعي جامع للحضارات الإنسانية. (1)

ويعد هذه التقديمات من المؤكد أن "غارودي" وضع عدة شروط لتجسيد حوار حضاري حقيقي بين مختلف الكيانات الحضارية لمعالجة ترسبات الفكر الغربي في إحداث الأزمة المعاصرة أولها لابد من ضمان الانفتاح على الآخر بعيدا عن منطق السيادة والسيطرة من خلال مباشرة عملية فهم متبادل بين الحضارات لتحقيق الانسجام في الوصول إلى الحكمة بين المادية الغربية والروحانية وثورات الشرقية في إطار التسامح والتواضع التي تحي العلاقة الوظيفية بين البشر والطبيعة بعيدا عن روح الغزو والتقنية القاتلة التي تولدت عن المد الحضاري الغربي. (2) ومن جهة أخرى لابد أن يكون حوارا متبادلا وليس خاضعا لنموذج محدد يلغي الخصوصيات الثقافية للحضارات الأخرى لأنَّ جوهر هذا التبادل هو تجاوز الطرح الغربي ذو البعد الواحد العدائي لصالح احترام التعدد الإنساني في ظل الاعتراف الحضاري لكونه شرط مفصلي لتحقيق التوافق المطلوب لأنَّ غارودي يقر بأنَّ الرجوع إلى اللقاءات التي حدثت سابقا عبر التاريخ بين الأمم المختلفة ستكون مرشدا لتحقيق إمكان حضاري جديد يؤسس لتقارب حوار بين الحضارات الحالية. (3)

وتماشيا مع تم ذكره فقط جعل غارودي الفن شرطا أساسيا في تحقيق حوار الحضارات وذلك نظرا لأنَّ المقاربات الفنية الشرقية في القرن التاسع عشر إلى وقتنا الحالي أجبرت العالم الغربي على مراجعة الكثير من مفاهيمه وذلك لكون الفن حقق زلزل في الذات

(1) - علي عبود المحمدوي : خطاب الهويات الحضارية من الصدام الى التسامح ، المرجع السابق ، ص 85

(2) - روجي غارودي: في سبيل حوار الحضارات ، المرجع السابق ، ص 228

(3) - روجي غارودي: المرجع نفسه ، ص 180

الغربي وما تبعه ذلك من تغيير في الحركة الثقافية بل و تعدته إلى العمارة والأدب والزخرفة والذي اعتبره المؤرخون تحاورا حضاريا غير صريح. (1)

كما يشترط أن يتأسس الحوار على التسامح وتقبل رأي الآخر وتبادل حسن الإصغاء بين الأطراف المتحاوره فمن المعلوم أنه لا بد أن ننصت للآخر كما نحب يستمع لحديثنا لما يمثله ذلك من عمق الاحترام ، ومن هذا المنطلق سيكون واجبا التخلي عن الأحكام المسبقة كأحد أهم الأسباب في بناء فعل حوارى مثمر لأنه من أبرز خلفيات الصراع الأحكام المسبقة بين مختلف الأمم وما نجر عنه من تقسيم للعالم إلى طبقات ومراتب وصفات معينة مثلما يوجد بين الغرب والإسلام أو بين الشرق والغرب ، لذلك نجد العالم الغربي يتباهى بمنجزاته و يحتقر الآخر بل ويحاول فرض نموذجه عليه بكل الطرق لكونه مجرد تابع للتقدم الغربي عبر مسلمات نهاية التاريخ و الإنسان الأخير وصدام الحضارات مع الشرق عموما والإسلام خصوصا وحصر التحضر والتاريخ في النموذج الغربي دون الحضارات الأخرى ، وهذا ما يحتم تجاوز هذه الأحكام المسبقة لتحقيق مشروع حوار الحضارات. (2)

وعلاوة على ذلك يعتبر روجي أنّ إرساء حوار بين الثقافات يعتبر حجر زاوية في تحقيق حوار حضاري ناجح يعيد نظن العلاقات بين الشعوب تجعل الثقافة الغربية موضوع للنقاش والنقد وتؤهل العالم الغربي كذلك للاستفادة من الإرث الثقافي للأمم الأخرى في إطار تبادل المنفعة الإنسانية وامتداداتها لتشمل كل أنواع الحوارات الثقافية سواء الفنية و الاقتصادية أو الاجتماعية خاصة أنّ منتج الحضارة الغربية خلق حالة من الإقصاء الثقافي على العالم جعلته حبيس التوجس والصدام الدائم في كل المستويات ما يحتم إعادة

(1) - روجي غارودي: في سبيل حوار الحضارات ، المرجع السابق ، ص 134

(2) - روجي غارودي: محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ، دار الشروق ، القاهرة، ط3 ، 2002، ص 173.

التوازن للوجود الإنساني بتوطين مشروع الأمل الطموح بين كل الحضارات وإعادة الاعتبار للإنسان و احترام التعاقب الدوري بين الأمم مساهمة كل حقبة وأمة في بناء المعرفة والتطور البشري الحاصل ورغم ذلك الآن هذا مسعى يجد أمامه سيادة روح الإمبريالية الغربية في واقعنا المعاش على رأسها الو.م.أ والاتحاد الأوروبي اللذان لن يسمحا لحوار الحضارات أن يكون لما يفرزه من ضرر على ما يصبون إليه في إطار حروب التوسعية و سعيهم دؤوب لجعل العالم رهين الهيمنة الاقتصادية والثقافية الغربية أو قبول هذا الحوار الحضاري وفق ما يريدونه هم وما يتمشى مع مصالحهم الاستعمارية ، لهذا كان شرطا مفصليا مواجهة النزعة الإمبريالية التي تعارض تناغم سنفوني لحوار الحضارات وتخريجه حوار حضاري يرفع الغرب ويقصي الآخر تحت عناوين التقارب والتسامح والتفاضل الثقافي.⁽¹⁾

وهكذا يتبين لنا أنّ غارودي يهدف من خلال هذا الحوار إلى إقامة مشروع أمل للإنسانية يتجلى في قاعدة أنّ المستقبل هو ما نبنيه لا ما سنراه أمامنا ولذلك كان حريا بحوار الحضارات أن يكون منقذا للحضارة الغربية من طغوتها أزمته المتعددة التي تجر العالم ككل إلى الانهيار بسبب مسار غربي متعنت لا يرى العالم إلا بعين واحدة تقصي الكل لأجل سيادة الذات الغربية ولكن هذه رؤية ستجد منفذ النجاة في إقامة حوار فعلي بين الشرق والغرب يحقق شرط الإخصاب المتبادل الذي يحقق للشرق بما فيه الإسلام قيمته الحضارية و ينجي الغرب من ويلات الانهيار لكون نعيش في عالم واحد يحقق وجودنا المشترك في إطار وحدة إنسانية تضمن للفرد البشري قبل المجموعة الحضارية وجودا محترما يعيش في جو يغلبه الحوار وتبادل المصالح المشتركة بعيدا عن كل صور الصراع والعداء لصالح الاستقرار الإنساني والعيش الكريم.

(1) - روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل، تر: أنور مغيث ومنى طلبة، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2003، ص60

وتجدر الإشارة هنا إلى أن حوار الحضارات عند مفكرنا يجري في ثلاثة أصعدة متكاملة اقتصاديا وسياسيا وتربوي تحقق بديلا متوازنا للخطاب المركزي الغربي وإعادة الاعتبار للبعد الإنساني في هذه المجالات التي صبغت الحضارة الغربية بنزعة المادية التي ترى الوجود في تحقيق النمو من أجل النمو وما جرى عنه من التبعات نرى إرهاباتها على العالم اليوم ، لهذا كان مشروع الامل مشروع ثوريا يسعى لتحرير الذات الإنسانية و إضفاء صفة الأنسة على الأبعاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تحكم واقع الإنسان ومستقبله وعليه بدأ غارودي في وضع مسار لنموذجه الاقتصادي بقراءة نقدية للنظام الرأسمالي الذي خلق حالة من الفردية وحب الذات بين البشر ورهن العلاقات الاجتماعية بنظام السوق الذي يحكمه معيارا الكم الربح والخسارة فقط لذا انتقل روجي بنظامه الاقتصادي نحو الأنسة لتفكيك المشاكل التي تسود عالم اليوم أو بأحرى مخلفات النظام الاقتصادي الغربي من البطالة والحروب والهجرات وما تبعه من انقسام العالم إلى شمالي متقدم وجنوب متخلف يحتم علينا تقديم رؤية لإنقاذ الاقتصاد من هذا الواقع المشوه بتحقيق انفتاح جذري على العالم الثالث من خلال إلغاء كل الديون والمعونات المالية التي تحمل أي مرجعية تاريخية مع العالم الغربي مع تحويل نمط القروض من توجيه لصالح الحكومات إلى المنظمات الشعبية و جمعيات المنتجين ليكون انعكاسها مباشر على الفرد مع فتح المجال لتسديد الديون بعملات الوطنية وما ينجره عن ذلك من تعزيز لاقتصاديات الدول النامية وتوسيع دائرة الاستثمار مع تحميل الغرب بميثاق شرفي لضمان أسعار متوازنة ومواد استهلاكية حسب الاحتياج وما يتبعه من مواجهة التضخم للمؤسسات الإنتاج الكبرى لتعزيز قدرات هذه الشركات على الاستثمار وبهذه المعطيات يمكننا الحديث عن تنمية تكسر منطق الاستيراد الممرکز بناء على مسلمة السوق الاستهلاكي في العالم الثالث والسوق الإنتاجي في العالم الغربي وتقاسم أمريكا لمقدرتها الاقتصادية في كل المجالات مع العالم وإلغاء الهيمنة الاقتصادية التي عمل الغرب لعقود لإرسائها على كل الحضارات في شكل حركة

اقتصادية مقسمة ألغت الإنسان في معادلة التنمية ، بالإضافة إلى الانسحاب من كل التجمعات الاقتصادية ذات الميل الغربي مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي والتي تعكس الهيمنة الغربية على دول العالم الثالث في كل تعاملاتها ومخططاتها التي تعكس الاستعمار الاقتصادي للبلدان النامية و تشكيل تحالف جنوبي متنوع يحقق الاكتفاء المحلي ويجبر الغرب على الانفتاح المالي والاقتصادي وإذعان للقيم الإنسانية قبل الفوائد المادية ما يؤسس لأخلاقه الاقتصاد من خلال ضمان التوازن بين الإنتاج والتوزيع العادل ما ينعكس على تحييد منطق المضاربة في الأسواق الاستهلاكية مع إلغاء المعاملات المالية الربوية التي تمثل امتداد للعبودية المعاصرة التي أخذ شكل زيادة الفقر للمستهلك وتعزيز المداخل للمنتج في شكل لإنساني يؤكد غياب عدالة التوزيع التي تتيح فرصة للجميع للعمل والاستثمار في اقتصاد حقيقي يلبي متطلبات الجميع يوطن التنمية المحلية بعيدا عن مصلحة المشروعات الأجنبية الكبرى التي تمثل انعكاسا غربيا واضحا ، هذا ما جعل غارودي يدعو يقدم بديلا مستقبليا يتجلى مع مشروع باندونغ الجديد الذي يؤسس لحوار اقتصادي جاد يحفظ قيمة الإنسان و يكفل طموحه للتقدم والازدهار في ظل الاحترام المتبادل حيث يقول في هذا الصدد: "باندونغ جديد ضرورة من أجل أن يكون القرن الحادي والعشرين علامة نهاية لعصر ما قبل التاريخ الحيواني للإنسان حيث كانت الثورة في عالم مشطور حkra على أقلية ضئيلة وتقتضي التبعية والاستغلال بل وموت الجزء الأكبر من البشرية" (1)، فلا مناص من القول كذلك أن النموذج الاقتصادي الذي أقره "غارودي" يعطي للإسلام دورا في أنسنة الاقتصاد مقارنة بالمفاهيم الغربية التي يحكمها الإنتاج والاستهلاك في النظام الليبرالي أو الجماعية في النظام الاشتراكي بل على عكس الإسلام يجعل العلاقات الاقتصادية تؤمن بالإنسان لخدمة أهداف حضارية وعقائدية واضحة تقدم التوازن الاقتصادي

(1) - روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟ ، المرجع السابق، ص 116

بين الشمال والجنوب عوض طغوة عقلية النمو الأعمى الذي يخدم القلة المنتجة و يتجاوز البعد الإنساني وذلك وفق عدة مبادئ أولها الملكية التي قدمها الإسلام في شكل أن الفرد له الحق في التملك وليس له حرية المطلقة في التصرف في أملاكه أن الله تعالى هو المالك الحقيقي بحيث يبقى الإنسان خاضعا لحكم الله و تحول المليكة إلا مجرد وظيفة اجتماعية وتضامنية أمام الله والناس حيث يرود في هذا الصدد أن الملكية لا تحمل صفة الخاص أو العام إلا وفق معيار العمل ومساعدة الجميع ليصبح المالك مجرد مسؤول لا يحمل اي خلفية معينة يمكن تنقل ميزة التملك نحو التنافس والاستغلال أو السيطرة على الآخرين⁽¹⁾.

وعلاوة على ذلك تبرز الزكاة في الاقتصاد الإسلامي التي تمثل الركن الثالث في الشريعة الإسلامية التي تتجاوز أن تكون مجرد منحة مالية فائضة بل هي صورة نادرة للتضامن الاجتماعي بين الفقراء والأغنياء الذي يغيب في النظام الاقتصادي الغربي فهي واسطة بين مختلف الطبقات الاجتماعية ونشاط اقتصادي وإنساني يتجاوز الفردانية القائلة التي يكون فيها كل فرد مركزا حول ذاته إلى أن تصير فيها العلاقات الاقتصادية ضمن الجماعة التي يشعر كل فرد داخلها أنه مسؤول عن مصير الآخرين لارتباط شعوري وثيق فيما بينهم تتحول معهم الملكية الفردية إلى عمل اجتماعي يهدف لتنمية الفرد والمجتمع ماديا ،كما تعد التجارة أحد أشكال الفعل الاقتصادي في الإسلام الذي يحقق البعد الإنساني وعليه يحرم المعاملات الربوية لما فيها من استغلال للحاجات الآخرين فهي ربح غير مشروع لا يراعي الحاجة الإنسانية لذلك يوجد اختلاف واسع في رؤية الإسلام والغرب لمعنى السوق الذي يتجاوز منطق الاحتكار وغلاء الأسعار لتحقيق الأرباح الكبيرة والسريعة التي تتنافى مع الأخلاق حيث يقول: "لم يكن الاقتصاد في ظل النظام الاقتصادي الإسلامي محايدا تاركا الحبل على الضارب حيال القوى الحية ، فالسوق التي هي إحدى دعائم الاقتصاد توجه

(1) - روجي غارودي: المرجع نفسه ، ص 136

من أجل إرضاء الحاجات الحقيقية وتتجاوز مع أسس وقواعد الإسلام، ويستشف من خلال ذلك التوازن في توزيع الدخل والحيلولة دون الاحتكار" (1). فكل هذه المبادئ وضعها الإسلام لضبط حركة التجارة لتجاوز السوق لصالح حاجات المجتمع لأنَّ التجارة لا تمثل إلا وسيلة لتحقيق الغايات التي نص عليها الشرع الحنيف من جهة ومن جهة أخرى ضبط العمل التجاري في قلبه الإنساني الحقيقي.

كما أنه حري بنا التطرق إلى نموذج غارودي السياسي الذي قام فيه بانتقاد الهيمنة الغربية الذي ستؤدي بمستقبل البشرية إلى دمار وهذا لعدم تماشيها مع متطلبات الإنسان على عكس ما يوفره النظام الإسلامي تشريعات حضارية تحقق قيمة الإنسان و تضبط غريزته في حب التسلط والتملك مع إقامة نظام عالمي بديل يقوم في ركائزه على الإنسان من خلال الانتقال من منظومة الحقوق الغربية إلى باب أداء الواجبات الإنسانية خاصة مع كون النظام السياسي في الإسلام يتجاوز النموذج الغربي الذي يرى تشكل الأمم يكون وفق نظرية التعاقد الاجتماعي إلى كون الإسلام يؤمن بالبعد العقائدي في بناء جماعة تتجاوز غاياتها مصالح الفرد والجماعة لصالح خدمة الإنسانية وفق عقيدة التوحيد التي ترفض التمايز العرقي والجغرافي والتركيز على الإنسان ذاته ، وعليه يقترح روجي مشروعاً سياسياً لا يكتفي بمقدمات حقوق الإنسان التي يحاول الغرب تكريسها شكلاً فقط إلى جملة من الواجبات الإنسانية التي تتجلى في رفض النزعة الإمبريالية التي تسعى لرسم العالم في صورة واحدة تعكس الحضارة الغربية وتقتل معاني الجماعة الإنسانية ضف إلى ذلك أنَّ الوحدة الإنسانية لا تتحقق إلاَّ بأداء الواجبات بعيداً عن مصالح الخاصة و الاختلافات في الجنس والدين ليكون الفرد في رواق يؤهله لتقديم كل ما يمكنه من قدرات لخدمة عالمه، وعطفاً على ذلك لا تكون الملكية لا العامة ولا الخاصة إلاَّ إذا صدقها العمل وخدمة الجميع من خلال تحول

(1) - روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، المرجع السابق ، ص77

الإنسان مدير فيها وليس مالكا مستبدا وهذا انعكس على مفهوم السلطة والحكم حيث صار لا يعطي أي امتيازات بقدر ما يعكس عددا من الواجبات يجعلها تمارس أو تسحب وفق التزام يضمن أداء تلك الواجبات من عدمها، وفي هذا المقام رأى غارودي أنه لا يمكن لأي فصيل حضاري أن يزعم مطلقة المعرفة أو الثقافة في حضارته فقط دون الآخرين لكون الإبداع خاصية إنسانية عامة وعليه دعا إلى تجاوز النزعة الذاتية التي كرسها الغرب في مشروعه من خلال جعل كل مؤسسة شعبية تخضع لدستور الجماعة الذي لا يؤمن الفرد بكيانه إلا مع وجوب حضور الآخر الذي يقع ضمن مصيره المشترك في الوحدة الإنسانية.⁽¹⁾

وتجدر الإشارة هنا إلى دور الإسلام في أنسنة السياسة ولذلك لما تعكسه الحضارة الإسلامية من صور التعالي والقيم الأخلاقية والمعاملات الاجتماعية في إرساء قواعدها الحضارية، ما أهل الدين الإسلامي ليكون دين المستقبل لما يملكه من خصائص تعالج أزمات الإنسان المعاصر مقارنة بالمشروع الغربي الذي لا يخلو من الأناية والهيمنة واعتبار الإنسان أحد وسائل الربح في تحول مادي خطير يلغي مقومات الإنسان الحقيقية لصالح الكم الاقتصاد المفترس، هذا ما جعل الحضارة الإسلامية تؤسس نظامها على مرجعية إنسانية و أخلاقية تحقق المتطلبات الروحية والمادية للمجتمع حيث يقول "روجي": "أليس التسامي والجماعة هما الإسهام الذي يستطيع الإسلام اليوم أن يقدمه لخلق مستقبل ذو وجه إنساني في عالم جعل الاستعباد وتدمير الجماعة بالفردية وسيطرة نموذج جنوني على نمو الواضع الراهن الذي لا أن يمكن أن يتعايش ومستحيلة فيه الثورات عن النموذج الغربي"⁽²⁾

(1) - روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، المرجع السابق، ص 136-137

(2) - روجي غارودي: وعود الاسلام، تر: ذوقان قرقوط، دار الرقي، بيروت، ط2، 1985، ص 32

وفي مقام الموالي يعيب "غارودي" على المنظومة التربوية في الغرب عدم اهتمامها بالغايات والأهداف وهذا ما انعكس على ولد لنا إنسان بلا روح ولا أخلاق يخضع للمنفعة والمادة في كل تصوراته ، هذا ما جعله يدعو لأنسنة التعليم كأخر المحطات في مشروعه الحضاري لصناعة إنسان مستقبلي متكامل من خلال ثلاثة أركان أولها وجوب تعليم القراءة لكونها بداية الثقافة وفهم الواقع وليس مجرد تعلم هجاء الحروف وذلك بتحديد مواطن الضعف وتقويتها لتجاوز كل أشكال التزييف التي تعيق الإنسان عن الوصول إلى الغايات المنشودة ثم تعليم التاريخ ضمن المحتويات الدراسية ليعرف الإنسان التاريخ ليسهل له بناء جسور التواصل مع الآخر فرغم أن الإنسان قد يفرقنا إلا أن القيم الإنسانية ستوحدنا ولما ذلك انعكاس على بناء فكر متناسق يؤسس لنموذج سياسي واقتصادي موحد مع حرصه على حذف كل الشواهد التاريخية الموجهة التي تسعى لقلوبه التاريخ الإنساني بتزييفه بوجه واحد يخدم رؤية غربية فقط لان ذلك يلغي كل أشكال التقارب الحضاري بين الشعوب وختام هذه الأسس تعليم الفلسفة التي تمثل أساس التقدم والحكمة إذا طرحت وفق فلسفة الفعل المتعالية التي تقدس الغايات وتحقق التوازن بين العلم والفلسفة لوصول مجتمعات متوافقة.⁽¹⁾

وكما يلعب الإيمان الحي دورا بالغا في إقامة الحكمة التي خانها الغرب في الكثير من المجالات فبعد أن فقد الإنسان هويته الروحية كان لزاما عودة الوظيفة الأساسية للدين لتحرير الإنسان من كل أشكال الاستعباد والهيمنة بتحقيق تجربة إيمانية تعكس البعد الإنساني الذي أساسه التواصل والتقارب بين مختلف الحضارات خاصة مع التسامي على كل الأبعاد المادية والنفعية التي تعزز الأنانية والصراعات الدينية التي حولت واقع الإنسان لتتأخر أيديولوجي خارج عن روح الحوار والمصلحة العامة ما دفعه لاعتبار الإسلام دين شمولي وعالمي صالح لكل مكان وزمان يحزر الإنسان ويتقبل الآخر لهذا يقول: " إن

(1) - روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل؟، المرجع السابق ، ص 174.

رسالة المسجد والمدرسة كانت واحدة تتمثل في نشرة وحدانية الله ووحدة الطبيعة⁽¹⁾ وملخص القول في نموذج غارودي التربوي يتوضح في تعليم إنساني يتجلى في ثلاثة عناصر متكاملة هي أن يكون للثقافات اللاغربية دورا مماثلا في التربية العالمية وليس حصرها فقط في المقاربة الغربية في ظل إعادة الاعتبار لعلم الجمال والفنون المختلفة في الخلفية الثقافية للحضارة الإنسانية لما يمثله ذلك من استرجاع للإبداع و مجالا خصبا لتطور مختلف العلوم التقنية مع عدم حصر الإنسان في الأحداث التاريخية و تأمل دائم لحقيقتنا في المستقبل لفهم المسؤولية الملقاة على عاتق كل إنسان في بناء حضارة واعية وتحقيق مشروع الأمل المنشود.⁽²⁾

ومن هذا المنطلق فإن مشروع غارودي عمل على إقامة حضارة عالمية تعيش نظرة تكاملية أسسها الحوار والتفاعل بين الثقافات المختلفة وإنقاذ العالم من الفكر الغربي الذي يؤدي بالإنسانية إلى الانهيار الوشيك على ضوء الصدام والنزعة الصراعية مع الآخر وتجاوز هذه الحقبة بفتح الباب لمنهج تعددي شامل يقبل الحوار والتوافق بين مجمل الحضارات و سموه بالإنسان إلى مشروع أمل يتجاوز الهواجس الذاتية لكل أمة بغية تحقيق القيم الإنسانية المشتركة ، إذا لا يمكن لأي ثقافة أو حضارة أن تحقق الوصاية أو التفرد على الأخرى بداعي التفاضل الحضاري ما يسهم في خلق خطابات بدائية تتسم برؤية دونية للآخر وهذا ما حدث حقيقة بين الإسلام والغرب الذي صار هذا الأخير يسمه بدين الإرهاب والقتل والثقافة الرجعية التي لا تتماشى حسه مع القيم السامية للحضارة الإنسانية التي سطرها وفقه طبعا والتي لا تربوا إلا أن تكون مجرد امتداد للنزعة الاستشراقية الحاقدة و الفكر الصليبي التوسعي قديما ، لكن رغم ذلك إلا أن مشروع حوار الحضارات يسعى لإعادة

(1) - روجي غارودي: لماذا أسلمت؟، المرجع السابق ، ص 80

(2) - روجي غارودي: مشروع الأمل، دار الأدب ، بيروت، ط1، 1977، ص 107

الوظائف الحضارية بين الأمم المختلفة لسكة الوحدة البشرية بضمان التلاحح و التكامل الحضاري بين مختلف الشعوب حيث يقول غارودي: "ومن شان إقامة مستقبل حقيقي إنّه يقتضي العثور مجددا على جميع أبعاد الإنسان التي نمت في الحضارات وفي الثقافات اللاغربية، وبهذا الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروع كوني يتسق مع اختراع المستقبل وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع، وأنّ التجارب المالية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية تتيح لنا أن نرسم منذ اليوم الخطوط الأولى لهذا المشروع الكوني في القرن الحادي والعشرين بمسمى "مشروع أمل".⁽¹⁾

ومما سبق ندرك أنّ المفكر "روجي غارودي" عكف على إنتاج مشروع حضاري وإنساني يتمثل في حوار الحضارات الذي جعل أساسه الإنسان و احترام التعدد الثقافي بين الأمم مع رفضه لكل أشكال الإمبريالية و قواعد المركزية الغربية التي أنتجت أزمات الإنسان المعاصر و التي ستؤدي لامحالة لدمار البشرية خاصة مع كثرة الحروب والصراعات بسبب الهيمنة الغربية ومحاولة صبغ العالم برؤية واحدة تلغي كل مفاهيم التعايش بين الشعوب، فكان بذلك نموذج غارودي مشروع أمل للإنسانية يوقف المد الغربي عند حجمه الحقيقي كونه مجرد فصيل حضاري في تاريخ الأمم ملزم باحترام الآخر دون إلغاء ذاته في ظل رؤية تضمن العيش المشترك و تبادل التقني والحضاري بين الغرب والشرق بعد أن سادت المادية وروح الاستهلاك على العالم نتيجة الفلسفات الغربية التي تناست أنّه لولا الشرق لما كان الغرب اليوم، هذا الأخير كان دافعا لروجي لإنتاج مشروع كوني يساهم في الانفتاح على الآخر وخدمة تطلعات الشعوب بما يحقق التلاحح الحضاري.

(1) - روجي غارودي : حوار الحضارات، المرجع السابق، ص 10

المبحث الثالث: إضاءات نقدية لمشاريع تمرکز الذات الغربية

لقد تميز التاريخ الغربي بفرض عدة مشاريع ومذاهب فكرية على مر الزمن لتحقيق المصالح والغايات التي توصله إلى سيادة العالم الإنساني مهما اختلفت الطرق ، و لعل الرهاب الذي خلقه الغربي اتجاه الآخر انقلب لاحقا إلى رهاب واقعي مع الحملات الصليبية و الاستعمارية التي تحمل في ظاهرها لواء التحضر والخير للبشر ولكن حقيقتها هي مجرد إثبات للذات الغربية مقابل الآخر الهامشي في كل المجالات ومع ذلك إلى أن مجتمعات الحواشي بمن فيها العالم الإسلامي لم تبقى في حالة مطبقة عليها دوما بل سعت لإرساء مشاريع متعددة لمقارعة المد الغربي المتغول خاصة على الصعيد الفكري والفلسفي عبر عدة بدائل فكرية تلغي الإمبريالية الغربية وتقدس القيم الانسانية وتسعى لإلغاء منهج التفرد والهيمنة لصالح احترام التنوع والتعايش السلمي بين الشعوب بعيدا عن أبجديات التصنيف والعرقية التي جعلت الفضاء البشري حبيس الحروب و الصراعات غير مجدية .

المطلب الأول: بين مشروع الاستشراق وآفاق الحوار: رؤية نقدية.

يعتبر الاستشراق قضية معرفية ومنهجية في تناول مختلف الثقافات والقضايا الحضارية والتاريخية للشرق عموما، فهي تحمل جوهرًا فارقًا لتمرکز الغرب حول ذاته المتعالية من خلال فرض هيمنة أدوات المستشرق على مادة الدراسة شكلا ومضمونا خاصة في ظل تدقيقه مجمل أبحاثه حول التراث الإسلامي حصرا.

1/ براديفم الاستشراق :

تعتبر الظاهرة الاستشراقية نوع من الوصاية الفكرية التي تم ممارستها على العالم الإسلامي من خلال تقديم المستشرقين لأنفسهم في ثوب المصلحين ودعاة للتحضر للأمم الأخرى ولكن في حقيقة الحال هم مجرد أدوات للاستيلاء و تحطيم الحضارة الإسلامية

ضمنيا بشتی الطرق المتاحة بل ورسم صورة دونية على الآخر الشرقي عموما نظرا لكونه لم يسمو إلى الرقي الغربي فكرا وسلوكا ولعل هذه الصور أعطت حقيقة المد الاستشراقي كأحد أهم مرتکزات المركزية الغربية في شقها الثقافي بممارسة الازدراء والإقصاء ضد الآخر ما يصعب أي محاولات للتقارب والحوار بين الغرب والشرق في ظل هذه الأنا الغربية المتسلطة التي تضع شروط مسبقة لأي تواصل حضاري لكونها متميزة بنظرة سادية تجعل المجتمعات الإنسانية حبيسة الصراعات و الحروب .

إن مشروع الاستشراق مثل أهم معاول ضرب الثقافة الغربية للحضارة الإسلامية منطلقا من كون الفكر الغربي لم يكن يتمتع بثقافة حضارية تقبل الثقافات الأخرى بقدر ما كان قمعا للآخر والفرص الهيمنة عليه وهو ما ساهم في إعادة تشكيل قناعات الذات الغربية اتجاه الآخر الإسلامي بفرض أساليب القيادة الثقافية بما يتماشى مع مصالحهم إذا يمكن تمثيل هذا الحركة الاستشراقية في الثقافة الغربية التي تميز بنشاط دائم لإثبات نفسها مثل السمكة الكبيرة التي تأكل بهدوء كل السمكات الضعيفة التي تعجز عن المواجهة بسبب الضخامة والقوة ويكون طلب النجاة نوع من العبث غير مجدي ، ومنه سيكون المد الاستشراقي مجرد تجسيد للتميز الغربي على الشرقي وفرضا للعرقية بين مختلف المجتمعات في ظل آليات المركزية الغربية التي تصل بناءً على أن أيّ تفكير خارج هذه الأطر سيكون حالة من التيهان و انفصام عن معايير الحضارة الحقّة .⁽¹⁾

وتأسيسا على ذلك يعتبر الاستشراق ممهدا للاستعمار وذلك لكون أن ضالحركة الاستشراقية قد سبقت الحملات الاستعمارية وحددت حتى أهدافها ونتائجها التي تخدم المركزية الغربية بالإضافة إلى العمل الدؤوب للفكر الاستشراقي لضرب المثل العليا

(1) - صلاح الجابري: الاستشراق قراءة نقدية ، دار الأوائل للنشر والتوزيع ،سوريا، ط1، 2009، ص 17- 18.

والمعتقدات الإسلامية وفي المقابل تمجيد كل ما هو غربي مع أحياء كل المفاهيم الجاهلية عبر نزعات القومية و العرقية والتخلي عن اللغة العربية لصالح اللهجات المحلية هذا ما جعلهم يكونوا عنصرا قويا في الحركة الاستعمارية بالتخطيط والتدبير الى درجة تحولهم إلى مستشارين لدى الحكومات الاستعمارية و على سبيل مثال المستشرق "أرنست رينان" (1) الذي كان أهم مخطط للموجة الاستعمارية الفرنسية في إفريقيا وعموم العالم الإسلامي ، وما يؤكد جوهر هذا الترابط بين الاستشراق والاستعمار هو عمل على الفكر الاستشراقي على خلق فكرة القابلية للاستعمار لدى المجتمعات الشرقية بما فيها الإسلامية وأداة لهيمنة على هذه الشعوب حتى بعد زوال المد الاحتلالي عبر إرساء مفاهيم الهيمنة و تجديد المشاريع لبقاء النفوذ الغربي وبذلك تتعكس فعليا أنّ هذه العلاقة تجلت في مجملها في ثلاثة أوجه تجلّى في كون الحركة الاستشراقية ماهي إلاّ تمهيد فكري إلى للحركة الاستعمارية من جهة ومن جهة أخرى أنّ الاستشراق هو أحد أدوات الحركة التنصيرية كما أن الاستشراق رافق المد الاستعماري في كل محطاته بل وبقي وفيما لخطه إلى يومنا هذا عبر مشاريع الغزو الثقافي و الهيمنة الاقتصادية والسياسية على العالم .(2)

ولعل هذه الصورة هي من جعلت "غارودي" يعتبر الظاهرة الاستشراقية خادمة وفيه لمشاريع التبشير و زيادة طغيان روح الإمبريالية والاستعمار على العالم الثالث من أجل خدمة المصالح الغربية بتقديم تسويغات علمية وأحكام مسبقة من الآخر لتبرير فيما بعد لآليات الهيمنة على الشرق بعيدين في ذلك كل بعد عن نظرهم التي تدعي الموضوعية و العلمية في مراجعة تراث و ثقافات الآخر معتمدين في ذلك على إسقاط القيم الغربية على

(2) - أرنست رينان (28 فبراير 1823 - 1892)، مؤرخ وكاتب فرنسي ، يؤمن بتراتب الأعراق واحتقاره الشديد للإسلام،

من بين مؤلفاته: "حول طبيعة الاستشراق" ، "ابن رشد والرشدية" ، "محاورات رينان الفلسفية"

(2) - علي بن إبراهيم النملة، كنه الاستشراق، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، ط3، 2011، ص 123

المجتمعات المدروسة منها سعي دؤوب لتشويه الحضارة الإسلامية لخدمتهم مصالحهم وتنفير الغربي منها ولو بنسج القصص الشعبية المزيفة بطلب من رجال الدين بغرض تشويه صورة الإسلام في الأذهان الأوروبية وهذا ما يؤكد كونهم ينطلقون من مسلمة حضارية تتمثل في أنّ الحضارة الغربية هي المؤشر الحقيقي لتقييم الحضاري للأمم ما يؤهلها لتكون الحضارة الأمثل للحكم والسيطرة على المقومات الإنسانية.⁽¹⁾

وجدير بالذكر هنا وقوفنا مع القراءة النقدية متفحصة التي طرحها المفكر "إدوارد سعيد" لبنية الخطاب الاستشراقي الذي سعى لإيداع الشكوك ونقض الأفكار من خلال تقزيم دور اللغة العربية وتصغير مكانة الإسلام لجعل الذات الإسلامية متخبطة بين الريب والواقع خاصة مع طعن في القيم الإسلامية وشخصية النبي عليه الصلاة و السلام ، وهذا ما يعكس أنّ العدو الأكبر للمستشرقين في الحضارات الشرقية هو الإسلام ، فكل هذه السموم دفعت مفكرنا لاختراق هذا الفكر العدائي بالاعتماد على سلطة المعرفة ومجمل الدراسات التفسيرية والوصفية وهذا ما جعله يرى بالزامية تجاوز هذه النسخ الباهتة التي يسعى الغرب لتصديرها عن المسلمين وإرغامنا على التفكير بأدوات الفكر الغربي فنحن لا يمكن أن نكون بنيويين على منهج "فوكو" و "سترواس" ولا تفكيكين على مسار "جاك دريدا" لذا كان لزاما علينا مناصرة قضايانا بأنفسنا لأنّ هؤلاء يرون من خلال نافذة غربية مدعومة بجهاز ثقافي وقوة سلطة تواكب المد الاستعماري بعيدا عن كل دعايات التصادم الحضاري والثقافي التي يلجأ لها الغرب لتبرير ما يحدث وفق منطق التتميط وقولبة المعاني في تعامل مع العالم الهامشي ، ضف إلى ذلك أنّ هذا الخطاب العدائي يمثل خطرا وجوديا على الشرق ككل والعالم الإسلامي خصوصا فهي ليست مجرد سجلات فكرية أو رفض اعتراف متبادل بل

(1) - روجي غارودي: وعود الاسلام ، تر: ذوقان قرقوط، دار الشرقي ، بيروت، ط2، 1985، ص189.

هو خطاب سلطوي ناعم لتثبيت قواعد الهيمنة و تزييف الحقائق لتحقيق معرفة غربية متكاملة تعيد صياغة العالم والثقافة والسياسة وفق الأيديولوجيا الغربية المتسلطة.⁽¹⁾

ومن بين الأمثلة العملية على زيف الاستشراق ما نراه مع الاستشراق الماركسي مع كل من "أنجلز" و"ماركس" اللذان نظرا إلى أنّ وضع المجتمعات الشرقية هو في ذاته مبرر لاستعمارها انطلاقا من كون هذه الأمم الضعيفة لا تقدم أي إطار حضاري مناسب لذا لا بد أن يفرض عليها الإطار الاستعماري من خارجها لتأمين انتقالها نحو الحضارة إذ اعتبر في هذا السياق "أنجلز" أنّ ثورة الأمير عبدا القادر الجزائري على المستعمر الفرنسي مجرد حالة يائسة تعكس الحالة البربرية للمجتمع الجزائري ضد المد الفرنسي المتحضر، إذا ينطلق مفكرنا في هذا الحكم من فرضيتين أولها ركود بنية المجتمعات الشرقية وثانيها أن ثورات الأمم الصغيرة لا تخدم نظام العلاقات الاقتصادية في العالم المتحضر.⁽²⁾

وبعودة لإدوارد سعيد في رفضه للفكر الاستشراقي نجد ذلك متجليا في نقده لخطاب الهيمنة لدى الغرب الذي يرى في العالم الشرقي مجرد تابع ما نتج عنه بعد ذلك تبلور أيديولوجيا الاستعمار، فصار بذلك الفكر الاستشراقي نقد مضاد لكل العلاقات النازمة بين المجتمعات الإنسانية، لأنه يرى أنه لا يمكن للبحث عن المعرفة وفهم الآخر في ظل الاستعمار أن يحقق غايته السامية لعدم وجود علاقة متكافئة بين طرفي الدراسة ضف إلى ذلك إنّ هذه الدراسات المعرفية مهما تعدد وسائل عملها لقراءة هذه المجتمعات التي تصفها بالهامش ستكون بيد الإدارة الاستعمارية بعيدا عن كل أشكال الموضوعية في التعامل مع الظاهرة المدروسة، وهذا ما جعل سعيد يرى أنّ الغرب يرسم هذا الاختلاف الأيديولوجي

(1) - أحمد شحيمط: نقد الخطاب الاستشراقي وجدلية الشرق والغرب، مجلة دراسات استشرافية، المركز الاسلامي

للدراستات الاستراتيجية، العدد14، 2018، ص188

(2) - سالم يفوت، حفريات الاستشراق، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989، ص51.

بغرض بقاء الهيمنة الثقافية وتحقيق السيطرة السياسية ولا علاقة لذلك بالشرق الجغرافي واقعيا في ظل سلطان قوة عبر منطق الاحتلال الغربي ما سهل له دراسة العالم الشرقي معرفيا لاستكمال ممارسته الإمبريالية على هذه الأمم الضعيفة.⁽¹⁾

ومن هذا المنطلق تعتبر الدراسات الاستشراقية مصنعا خصبا لكل مواد الغزو الثقافي للحضارة الإسلامية ومما يدل على ذلك غزارة مؤلفاتهم حيث قدرتها بعض الدوائر العلمية ما يقارب 60 ألف كتاب مست التاريخ الإسلامي والعقائد والفكر الإسلامي والأدب من مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين وهذا كله من أجل تحقيق هدفين هامين أولهما إخفاء حقيقة الإسلام عن الإنسان الغربي من خلال تشويه صورة الحضارة الإسلامية بكل الطرق المتاحة لمحافظة على التمدد الحضارة المسيحية وثابتها أمّا الجانب الثاني فتمحور في دراسة العالم الشرقي جغرافيا وثقافيا بتركيز على اكتشاف البيئة الإسلامية من كل النواحي لتسهيل اختراقها فيما بعد بالدسائس وتدليس عليهم في المعتقدات في تحطيم داخلي للعالم الإسلامي خاصة بعد فاجعة سقوط القسطنطينية في يد المسلمين مع ما انعكس من حسرة في عموم العالم الغربي ولدت روح العداة ضد كل ما هو صادر عن الآخر الإسلامي.⁽²⁾

ومما سبق نصل إلى أنّ الذات الغربية ترجمت تخوفها الدائم من الآخر عبر مشروع الاستشراق سواء عبر مختلف الكتابات أو المواقف من خلال عرض التراث الشرقي بنظرة الانتقاص وعدم الرغبة به لما يمثله حسب المستشرقين من تهديم للتناسق الحضاري الذي يضمه الفكر الغربي للبشرية ، ما يحتم على المفكرين الغربيين العزوف عن الفكر الشرقي

(1) - إدوارد سعيد : الثقافة والإمبريالية ، تر: كمال أبودييب، دار الآداب ،بيروت ،1998، ص11.

(2) - عبد القادر بن عزة: الاستشراق مصنع إمداد فكري لمواد الغزو الثقافي، مجلة الإنسان والمجتمع، العدد02 ، ديسمبر 2011 ، ص 147.

الذي يمثل شرا لابد من تجاوزه خاصة أنه مجرد فراغ حضاري في تاريخ الأمم ، وهنا تتجلى تلك النظرة العنصرية والعرقية ضد الآخر غير الغربي التي حاولت معه الظاهرة الاستشراقية لحصره ضمن رؤية أنثروبولوجية ضيقة ترى الآخر الشرقي مجرد مرحلة للطفولة الثقافية للإنسان التي سيكون الغربي مجبرا على تطيرها وتكوينها لتحقيق النضج الحضاري المنشود.

2/ مرض الإسلاموفوبيا:

يرى الباحثون أن ظاهرة الخوف من الإسلام تمثل استشرقا مستجد في مرحلة ما بعد الحداثة في إطار علاقة الغرب والإسلام المتصادمة أصلا لكن العلامة الفارقة أن الإسلام وفوبيا تتجاوز بذلك الأبعاد التقليدية التي فرضها الاستشراق الكلاسيكي بسبب مخلفات دينية أو توسعية ، ولعل هذا المسار الإيديولوجي تعزز أكثر لدى العالم الغربي خاصة بعد هجمات 11 من سبتمبر 2001م إذ تزايد الجدل بين الغرب والإسلام إلى أن صار خوفا مرضيا من الحضارة الإسلامية انعكس في شكل عقدة اجتماعية لدى النخب الفكرية ومراكز صنع القرار السياسية والأمنية بدعم إعلامي واسع وتركيب أيديولوجي عميق نقله من مجرد خلفية ثقافية مشحونة ضج الإسلام تاريخيا إلى رهاب مصنع يستخدم في إطار استراتيجيات الهيمنة الشاملة للغرب على العالم الإسلامي .

في ظل تواصل جدلية الغرب والإسلام نرى ظاهرة الإسلاموفوبيا تعكس امتدادا متطورا للخطاب الاستشراقي الكلاسيكي بتحول طرفي العملية من المستشرق الذي يمثل المعرفة و الاستعمار ممثلا لمبدأ القوة إلى مسار مستجد يبرز مع تحقيق تغيير في مراكز تحديد العلاقة بين الإسلام والغرب من خلال تحول مركزية المعرفة ومن المستشرق بالمفهوم التقليدي إلى دراسات وأبحاث الدوائر الأكاديمية والثقافية من جهة ودوائر صنع القرار السياسي والعسكري كمثل لمتلازمة القوة بدلا عن الظاهرة الاستعمارية القديمة ،وعليه سيكون هذا المستجد الذي مجرد استشرق مستحدث بعناصر جديدة في الفكر الغربي تمثلت

في ظاهرة الرهاب من الإسلام وعليه نرى جدلية القوة والمعرفة مشتركة إن لم نقل هي تطور موحد بين الخطاب الاستشراقي وظاهرة الإسلاموفوبيا في فهم الغرب للحضارة الإسلامية.⁽¹⁾

لذا كان على المسلمين واجبا مواجهة ظاهرة الخوف من الإسلام فكريا نظرا لما ينتج عنه من عداة للعالم الإسلامي و التخوف من الحضارة الإسلامية خاصة مع يقدمه المستشرقون والمفكرون من صورة مشوهة للقارئ الغربي عبر افتراءات كثيرة تثير مشاعر الكراهية بما يجعله العدو البديل بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ولا يتأتى ذلك بأساليب النشر والترويج على نطاق واسع عبر كل المحطات الإعلامية والدراسات العلمية بمختلف اللغات الأوروبية لشهادات علماء الغرب المنصفين للحضارة الإسلامية مع استماتة المفكرين والدعاة المسلمين في بيان الخلفيات التاريخية والدينية لهذه المواقف المعادية ورد عليه بالحجة والبرهان خاصة أننا في ظل إعلام غربي معادي لكل ما هو إسلامي برسم البلدان الإسلامية وكأنها تعج برؤوس المآذن الصاروخية والإبل و حب النساء مع كونها مفرخة حقيقية للإرهاب الذي لا يرحم الأبرياء ، مما يحتم على المسلمين إنشاء منصات إعلامية موجهة لمجابهة الآلة الإعلامية الغربية المضللة و لا نكتفي ها برد على مزاعمهم بل بالعمل الدؤوب على الترويج لسماحة الدين الإسلامي وقبوله للتعايش مع الآخر ومحاربة الإرث العنصري والدموي في الفكر الغربي من خلال بيان فضائع الحرب الصليبية والموجات الاستعمارية اتجاه الشرق المستضعف ونهب خيراته وثرواته لسنوات باسم الحضارة و التقدم، ضف إلى ذلك مواجهة أصحاب الفكر الاختزالي لنصوص الشرعية و عموم التراث الإسلامي كون أن شجرة الإسلام لا تنمو أو تورق إلا ضمن برك الدماء والدمار ما يجعلهم يرسمون في المخيال الغربي كون الحضارة الإسلامية هي العدو المتوحش الذي يتربص

(1)- محمود حيدر: استشرق مستحدث" الإسلاموفوبيا" بماهي أطروحة إيديولوجية ما بعد حداثة ، مجلة دراسات استشراقية

بمنجزات العالم الغربي المتحضر ، لذا كان واجبا على الأنا الإسلامي توضيح قدرته الكبيرة على إستيعاب التنوع وقدرته غير المحدود على احترام التعدد الثقافي في ظل وسطية واعتدال الفكر الإسلامي في تنظيم علاقته مع الآخر بما فيه الإنسان الغربي عبر كل الوسائل المتاحة لبيان مرضية الخوف من الإسلام واعتباره اداة لتكسير الرابطة الإنسانية بين العالم الغربي والإسلامي .⁽¹⁾

وعلاوة على ذلك برزت جملة من الآثار السلبية لظاهرة الخوف من الإسلام بانتشار جرائم الكراهية ضد العرب والمسلمين في العالم الغربي إلى درجة ارتفاع ظاهرة التعدي على المسلمين في الغرب بعد هجمات 11 من سبتمبر 2001 إلى 1600% حسب التقرير السنوي لمكتب التحقيقات الفدرالية الأمريكي مع تعمد السياسيين الغربيين تعميم ظاهرة الإرهاب على الإسلام ما دفع بالمسلمين إلى العزلة الاجتماعية أو مغادرة البلدان الأوروبية من جهة ومن جهة أخرى اعتبرت هذه العوامل مبررا لشن الحروب وإشعال الفتن الداخلية في العالم الإسلامي ما عكس تأثيرا سلبيا بالخوف من الآخر والشعور بالضعف لدى الشخصية الإسلامية في ظل هذا التقصير الحضاري المفروض مما عزز ضعف التواصل بين الغرب والإسلام في ظل هذا الوهن الثقافي ما دفع إلى تكسير روابط الإنسانية بين الفرد المسلم والغربي وانتقل هذا الواقع إلى الجاليات المسلمة التي أصبحت تعاني من نظرة العدائية للإسلام ورفض اندماجها من خلال ازدياد كل التقاليد الإسلامية ومتطلبات الهوية بشكل عنصري إلى درجة اعتبار دعم القضايا المركزية مثل القضية الفلسطينية شكل من دعم الإرهاب والتطرف وهو في حقيقة الحال تكريس للمد الاستعماري مع انتشار الاعتقالات التعسفية والأحكام العرقية غير عادلة ضد المسلمين ما شكل حائلا لبيان المعدن الحضاري الأصل للإسلام و إنهيار مجال الحريات في المجتمعات الغربية بسبب منهج التشويه

(1) - عبد القادر طاش: صورة الاسلام في الإعلام الغربي، الزهراء للإعلام العربي، مصر، ط2، 1993، ص 13

معتمد على نتاج الخوف من كل ما يعكس الثقافة الإسلامية فكرا ومظهرا وسلوكا مع انتقال هذه الخواف إلى اصطدام سلبي للحكومات الإسلامية ضد كل مظاهر الصحوة أو الدعوة الإسلامية داخليا لكسر التصورات السلبية التي يطرحها صناع القرار و القنوات الإعلامية الغربية وكسب ود الهيمنة الغربية بكل الطرق ، ولم يتوقف الغرب هنا بل سعى لنشر الفوضى الخلاقة في كل أرجاء العالم الإسلامي لمنع احتشاد التطرف والإرهاب حسبه عبر الحروب ودعم الحركات الانفصالية وحروب الأهلية في ظل خطاب يماني متطرف أوروبي يعبأ لهذه الاستراتيجيات داخليا و خارجيا ما خلق حالة جديدة تمثلت في توسع رقعة الخواف من الإسلام امتدت من الغرب إلى الشرق في كل من الصين والهند ودول آسيا الوسطى فغابت كل أشكال الموضوعية في مناقشة الظاهرة الإسلامية بغرض تصفية الحسابات الدينية والعرقية تحت مسلمة الإرهاب هو الإسلام ، رغم أن الحقيقة تتجلى في إيمان الفكر الإسلامي بتعدد والتنوع الحضاري بين الأمم دون إقصاء للذات أو تقليل من الآخر بحكم أن أساس سنن الله في خلقه مبينة على الاختلاف مع التعايش في ظل قيم العدل والحرية.(1)

لقد اعتبرت خرافة الإسلاموفوبيا أداة في يد أعداء الإسلام لتحطيمه نظرا لكونه قوة روحية لا بد من إعاقتها لأن فقدان سيطرة عليها يكون مدمرا وهذا ما خلق عدة وسائل جوهريّة ضد العالم الإسلامي على رأسها فصل المسلم عن مصادر تشريعه بالقضاء على القرآن والسنة من خلال شن الغرب لحملة تشكيك واسعة على يد المستشرقين على أهم مصدرين للتشريع الإسلامي لكونهما يمثلان دستور الحياة المليء بالقيم ومكارم الأخلاق

(1) - عطية فتحي الويشي: الخواف الاسلامي بين الحقيقة والتضليل، سلسلة دعوة الحق، إدارة الدعوة والتعليم، العدد 219 ، 2007 ، ص192.

واحترام الآخر الحضاري، بالإضافة إلى تركيز العالم الغربي كل مشاريعه لتفكيك وحدة المسلمين من خلال توسيع الاختلافات العقدية لتوسيع الاقتتال الداخلي بين الفرق الإسلامية ما يعطل مشاريع الصحة الإسلامية و إلغاء قوة الإسلام بنشر التعصب الفقهي الذي يؤدي أحيانا للحروب والعدوات الطويلة وهذا ما خلق الجو المناسب لتعزيز الفكر الغربي لخرافة الإسلاموفوبيا بسبب الصراع والاقتتال بين المسلمين ما يساهم في بناء صورة مشوهة في المخيال الغربي عن الدين الإسلامي ككل ، ولكن حقيقة الحال أنّ الإسلام يدعو التواصل الحسن الذي إذا ساد فيه الاتفاق تظهر المودة وعند الاختلاف تظهر الرحمة بدون تعصب أو عنصرية ، كما يركزون على إفساد الأخلاق عند أهل الإسلام من خلال الغزو التكنولوجي والثقافي لشباب الأمة بفتح الباب لحرية الجنسية والفن الهابط بحجة نشر التحضر وتشكيك في العقيدة الإسلامية الأصيلة والترويج إلى أنّ عدم مواكبة هذه الموجة هو تكريس لرجعية و التطرف في ضرب مباشر لمراكز الحضارة الإسلامية التي تأسس على القيم الأخلاقية بغرض تجميدها وإحاطتها بشتى المشاريع التغريبية التي لا تتماشى حتى مع القيم الإنسانية الفاضلة عبر شيوع المجون والانحلال الأخلاقي بين الشباب .

ومما سبق نصل إلى إدراك أنّ ظاهرة الرهاب من الإسلام هي خوف مرضي بإرادة واعية من الغرب ضد كل ما يمثل الإسلام منطلقين في ذلك من خلفيات دينية حاقدة و ثارات تاريخية متعددة عبر مسارات خطيرة و متخلفة سواء كانت عبر القرارات السياسية أو القنوات الإعلامية في الغرب بهدف الترويج لظاهرة الإسلاموفوبيا وما يرافقها من عنصرية وكراهية ضد الآخر الإسلامي ومن بين الأدلة على ذلك ما يتضح في المقولة المشهور لجورج بوش يوم إعلان الحرب على أفغانستان بعد الهجمات على أبراج مناهتن بقوله: "إنها حرب الصليب على الإسلام" و التي سوق لها الإعلام الغربي آنذاك على أنّها رحلة إنسانية لنشر قيم الحضارة في هذه الدولة المتوحشة وضرب مراكز الإرهاب ومنه ندرك حقيقة هذه

التحركات النابعة من تخوف الغرب من نهضة إسلامية تهدد العالم الغربي وليس خوفا على شعوب العالم من الإسلام.⁽¹⁾

ولذلك ينبغي على الحضارة الإسلامية إيجاد أفضل السبل لمواجهة الرهاب من الإسلام الذي يسعى الغرب لفرضه كحقيقة واقعية على العالم الغربي وذلك من خلال جملة من الآليات من بينها أن تطبق البلدان الإسلامية تلك المثلى العليا كتعميم العلم وإعطاء قيمة للعقل في إدراك حقيقة التاريخ والعالم في ظل دعم البحوث العلمية في شتى العلوم المختلفة اعتبارا على أن ذلك جزء من قوة الإيمان ومساهمة في نشر الإبداع والتطور خصوصا أن الحضارة الإسلامية لها تاريخ مع شتى العلوم والاكتشافات في عهد الدولة الأموية والعباسية وهذا بغرض إلغاء مظاهر التخلف والفقر التي تسود العالم الإسلامي التي تبرر للمعادين الطعن في حقيقة الدين الإسلامي ثم يأتي بعد ذلك الدور على الدول الإسلامية لتعمل مع بعضها البعض من خلال سفارتها في الدول الغربية لتصحيح صورة الإسلام عقيدة وتاريخا بمختلف اللغات وعبر شتى المنابر العلمية والإعلامية خاصة مع تواجد عشرات المؤلفات للمنصفين من أهل الاستشراق الذي أكدوا على عظمة الإسلام مثل المستشرقة "ريتا دي ميليو"⁽²⁾ صاحبة كتاب "الإسلام ذلك المجهول في الغرب" وبهذا نتجاوز ذلك الخطاب العقيم الموجه لبعضنا البعض إلى مخاطبة رجل الشارع في الغرب والشرق عموما بكتيبات صغيرة أو ومضات إعلامية تعرض حقيقة الإسلام ودور هذا الدين في شتى العلوم و الحضارة الإنسانية فمثلا يعتبر المسلمون أول من أسس دولة مدنية حقيقة ينتخب فيها الحاكم ويراقب ويخلع متى قصر في حكمه وفي ذات الصدد لا بد من عدم تناسي الدور

(1) - الدراجي زروخي: خرافة الإسلاموفوبيا، مخبر الدراسات الأنثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية، جامعة المسيلة، ط1، 2021، ص45.

(2) - ريتا دي ميليو: مستشرقة إيطالية منصفة، درست الأدب الإسلامي في جامعة روما الإيطالية.

الهام للجاليات الإسلامية في الخارج التي تحمل عبئا ثقيلًا يتجلى في تقديم صورة حسنة عن الإسلام سلوكا وعلما خاصة في ظل توفر مراكز إسلامية في بلاد المهجر لها إمكانية عقد ندوات في الجامعات ودعوة العلماء والمفكرين المسلمين لتحديد كل الأحكام المسبقة حول التطرف والإرهاب في المفكرة الغربية و التأكيد على حضارية الإسلام من خلال احترام الحريات وحقوق المرأة والأسرة وإرساء معاني الديمقراطية بلغة مقنعة تكشف سماحة الدين الإسلامي و قيمة حضارته.(1)

وخلص القول إنَّ ظاهرة الإسلاموفوبيا تعتبر مرض مس العالم الغربي ليس بشكل طبيعي بقدر ما عملت المركزية الغربية ومشاريعها على توسيعه مؤثراته لدى الفرد الغربي من العداة إلى الرهاب النفسي لكل مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية بغية كبح جماع الإسلام وتقديمه للعالم الغربي بصورة مشوهة تمنع حتى التواصل معه أو التفكير فيه ليسهل عليهم فيما بعد إيجاد الأرضية المناسبة لاستخدام كل الوسائل لتحطيمه و منع انتشاره لكونه خطرا دائما على الحضارة البشرية ما انعكس على الذات الإسلامية بميل نحو الانعزال وطغيان عقدة الذنب بسبب استراتيجية صورة المشوهة في الإعلام الغربي ما تكون عنه حالة فراغ واسع في التواصل بين الثقافة الغربية والإسلامية.

المطلب الثاني : من مخاطر العولمة إلى أزمة العلمانية.

1/ نقد المد العولمي الغربي:

تسعى العولمة إلى تدميط البشر بدل انفتاح على حوار شامل و جادبين الحضارات، فهي تسعى لإلغاء سنة الاختلاف وحقائق التنوع الثقافي من خلال افتراس البشرية في نظام

(1) - نبيل السمالوطي: العداة للإسلام قديما وحديثا" الإسلاموفوبيا"، مجلة كلية الدراسات الانسانية ، عدد ديمسبر، 2017،

القرية الكونية وتعويض الحوار الإنساني بثورة معلوماتية واسعة كبديل حوار زائف يلغي كل الشروط المسبقة في التواصل بين المجتمعات وهو في حقيقة الحال أيديولوجيا مبطنة بالصدام من خلال تهيئة الغرب للإنسانية كقوة واحدة متناغمة تضمن الوئام الحضاري وفي الأصل مجرد حشد من أي مستجدات قد تبرز مع الخطر الإسلامي في تأكيد واضح للهوة الموجودة بين شعارات العولمة وممارستها الفعلية التي تؤدي لافتراس الغرب للحضارة الإنسانية في ظل حوار عولمي زائف لا يخدم في واقع الحال إلا أجندات خطاب التمرکز الغربي .

وفي مقابل ذلك برزت عدة رؤى ومشاريع ناقدة لهذه العولمة الاستهلاكية التي ترى بالإنسان البعد الوحيد ونظام القرية الكونية من بينها طرح عالمية الإسلام كبديل جامع يحفظ التنوع الثقافي بين الأمم تحل مظلة القانون الإلهي وتوحيد الله تعالى خاصة مع الهوان الثقافي الذي أغلب الأمم ما جعله عاجزين عن مواكبة الزخم الغربي وتجاوز السجلات الفلسفية إلى خطاب ديني ذو بعد إنساني يؤمن بالعقل والآخر دون إقصاء للوصول إلى حلول المناسبة لضمان التعايش بين البشر على ضوء الفكر العالمي في الإسلام الذي ينتهج التعارف بين المجتمعات و الوسطية في الطرح بين متطلبات الروح والجسد بدون إفراط أو تفريط و نظم علاقته بعيدا على أساس المساواة بين الناس لتحقيق الكرامة الإنسانية⁽¹⁾ بعيدا عن كل أشكال التمييز العنصري أو الجغرافي لأن كل الناس من آدم و المعبود واحد دون تجاوز لخصوصيات الشعوب لقول الله تعالى: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا))⁽²⁾

(1) - يوسف القرضاوي: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ،دار الشروق، القاهرة، ط1، 2004، ص120.

(2) - القراءان الكريم : سورة الأعراف ، الآية 158.

وفي رؤية اقتصادية تلغي أوهام الهيمنة الاقتصادية الغربية من خلال اعتمادهم على عولمة الحياة الاقتصادية للبشر يظهر جليا في الواقع ارتفاع أسعار المواد الخام والتنافس على تخفيض الأجور من قبل الشركات الاستثمارية الكبرى في ظل وفرة رأس المال من آسيا والدول العربية روسيا ليعتبر ذلك مرحلة فارقة في تحول وشيك لا يمكن إيقافه وسيهدم عهد السيطرة الاقتصادية للغرب على رأسهم الولايات المتحدة وحلفائها عبر آليات عولمة الاستهلاك على مدى قرن من الزمن ستنهي قريبا ، فكل الأبحاث الاقتصادية تؤكد انقلاب موازين القوى نحو الشرق فالصين مثلا مرشحة في حدود 2030م لتكون أكبر قوة اقتصادية في العالم بشرط تجنب الحروب وبعد عقد آخر تلحقها الهند بعد أن تتجاوز بثقلها الاقتصادي الولايات المتحدة ، فكل هذه المؤشرات تؤكد انهيار استراتيجية العولمة الغربية لصالح قوى بديلة تستحق هذه المكانة في شكل تدمير العالم الغربي لذاته أمام عدالة الميزان الاقتصادي وبالتالي يعود العالم إلى حالة التي كانت سائدة قبل الثورة الصناعية وهذا ما يبرر الهجمات على محور الصين والروسي ووصفهما على أنَّهما خطر عالمي وسعي دائم لتقويض التوسع الاقتصادي للهند كقوة عالمية صاعدة ما يفسر أنَّ العولمة هي مجرد وهم مغلف بوعود الرخاء للبشر ومجرد نقل للإنسان الهامشي من الإنتاج الذاتي إلى مجرد مجتمعات مستهلكة يسهل في كل الأحوال ترويضها وفرض الهيمنة عليها.⁽¹⁾

وتماشيا مع ما تم ذكره فان لظاهرة العولمة آثارا سلبية على الهوية الثقافية للشعوب فعلى الصعيد التاريخي تعتبر العولمة استعمارا ثقافيا جديد لأنها تهدف لإلغاء الخصوصيات الثقافية لصالح العولمة الثقافية أحادية القطبية وذلك بهدف نهب الإمكانيات الحضارات لغيرهم ،خاصة الأمم الفقيرة ما يؤكد كونها مجرد امتداد للاستعمار الثقافي أمَّا على المستوى

(1) - هيرالد شومان و كريستيانه غريفة: العد العكسي للعولمة ، تر: محمد الزايد ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ،

الأيدولوجي فتسعى العولمة لفرض النموذج الأمريكي على العالم برفض كل أشكال الثقافات المحلية عن طريق المد التغريبي و الغزو الثقافي لطمس أي هوية ثقافية من خلال ضرب المقومات التاريخية والحضارية للمجتمعات من جهة ومن جهة أخرى على المستوى الروحي والمادي تسعى العولمة لتجريد الإنسان من الجانب الروحي وإحاطته بالمادة فيصير لدينا ذلك الإنسان المادي الحيواني الذي ينتج لنا ميل الذات لنزوع نحو الفردانية المتوحشة التي ترفض كل أشكال الإنسانية في ظل التبعية للثقافة المادية الغربية ، ولم يقف توسع هذه الظاهرة هنا بل برزت أكثر وضوحا مع المجال الاقتصادي من خلال العمل على إخضاع الدول الفقيرة إلى الدولة الغربية المتطورة وابتزازها بالماديات لتقديم تنازلات جوهرية على هويتها الثقافية عبر أنماط الاستهلاك والاستثمار في ثرواتها وتوجيه قراراتها السياسية ما يعزز التبعية الشاملة للغرب وهو ما انعكس على الجانب الاجتماعي أيضا من خلال إفراغ المجتمعات من القيم الأخلاقية لصالح النزعة المادية ما ينتج عنه أفراد فاسدون ومجتمعات منحرفة بعيدة عن مؤسسات المجتمع كالأسرة و قيم الوحدة الاجتماعية في ظل إعلام عالمي موجه يعزز هذه الهجمة الثقافية المريضة من خلال التقليد الأعمى للحضارة الغربية و انفراط مسلمات الخصوصية في كل الشعوب وبهذا ركزت العولمة على صناعة الإعلام المعولم الذي تهيمن عليه الدول الغربية لاكتساح هذه الدول الضعيفة إعلاميا لتثبيت أركان الهوية العولمية المتركرة حول الذات الغربية فقط .⁽¹⁾

ومما فاقم خطر العولمة ما تسعى أمريكا لفرضه تحت مظلة المبادئ الأخلاقية والإنسانية و تحويل كل المؤسسات الدولية لتعزيز هيمنتها من خلال تحويل الأمم المتحدة لأداة سياسية تضمن التدخل مقنن في الشؤون الداخلية للدول وفرض أجنداث تخدم مصالحها

(1) - محمد زاغو: أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب ،المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد04، 2010، ص97-98.

التوسعية وفرض منطق العقوبات الاقتصادية لتركيع الدول التي تتخالف معها في الرؤى والسياسات ، بالإضافة إلى تحويل الآخر إلى سوق استهلاكية لمنتجاتها على حساب تدمير ما يسمى الاقتصاد المحلي وعليه فالمرادف الحقيقي للعولمة هي أمركة العالم في سياق فرض الذات الغربية على العالم مع حركة عولمية تحولت لوحش متعدد الرؤوس والأقنعة يسعى لمسح الموروثات المجتمعات النازحة عبر تعميم القيم الغربية حسب فوكوياما ما ينعكس على اندثار الثقافات الوطنية والتنوعات الحضارية من أجل إرساء التغريب الحضاري للإنسانية في ظل منهج تسليع الأمم ماليا وثقافيا وحضاريا ، ولعل من مصائب العولمة تكسير معنى الأسرار الوطنية باستخدام التكنولوجيا الهائلة في ظل ثورة المعلومات التي تعتبر سيلا جارفا في كل لحظة عبر مختلف الوسائل من الأقمار الاصطناعية وشبكات التنصت ومحطات الاحتراق الإلكتروني ضد الدول النامية بما فيها الإسلامية لتوظيفها لتطويع هذه الدول وتميرير منهجها التسلطي في وقت يمتلك فيه الغرب كبريات الوسائل الإعلامية ومنصات التواصل الاجتماعي التي تستخدم إمّا للابتزاز أو رسكلة العقول نحو هدف معين يريد العالم الغربي على رأسه الو.م.أ تحقيقه وفق منهج قولبة الأفكار والقيم لتحقيق ضمير جمعي لا يفكر إلا وفق نظام القرية الكونية.⁽¹⁾

إنَّ عصر العولمة يمثل مرحلة موت الأيديولوجيا مقابل سطوة منطق التحالفات على أساس المصالح المشتركة وهذا ما يتولد عنه صراع هوياتي عميق في ظل موجة عولمية لا تحمي الهويات الخاصة وما يرافقه من تغييرات سريعة في كل المجالات في هذا ما كان في الألفية الجديدة بنقل المجتمعات من طابعها الصناعي والمعرفي الى مجتمعات المخاطر في ظل ثورة الاتصالات غير المحدودة وما تفرزه من تهديدات وتحديات على الهوية الثقافية لكل حضارة على ضوء هذه المتغيرات ، لكن المؤكد ان هنالك من يرى أنَّ العولمة جاءت

(1) - بركات محمد مراد : ظاهرة العولمة-رؤية نقدية - ، موقع كتب عربية ، مصر ، ص 144

لتهدم التوقع بين الهويات المختلفة لصالح الانفتاح الحضاري والتكنولوجي بين المجتمعات البشرية إلا أن حقيقة الأمر أن مبادئ كوننة العالم أنتجت صراعا مريرا بين مختلف الأفكار والثقافات لما رافق آليات العولمة من عمليات لاجتثاث الهويات المحلية لصالح الهيمنة الغربية ما ينتج عنه قمع حضاري لهوية الآخر وما ترافقه من رد فعل معاكس غير محددة إلى درجة وصول بعض الدول إلى تسيير علاقتها وفق المقاربة الإنعزالية التي لا تخدم التواصل الحضاري وقد تؤدي لخلق لتكتلات عرقية ودينية تميل للإرهاب والتطرف.⁽¹⁾

وهكذا نتبين أن العولمة الثقافية تعمل على فرض نمط الحياة الامريكية على العالم و لا يمكن تحقيق هذا الهدف إلا من خلال تحطيم كل الثقافات والهويات الأخرى ، وعلى ضوء هذا المنعكس تبرز الهوية الإسلامية بخصائصها العالمية لما تزخر به من إمكانيات يمكن لها التصدي لمشاريع العولمة المتعددة ، ولكن هنا معاني الصدام بين الهوية الإسلامية و العولمة الثقافية ليست وفق النظرة الهنتغتونية وإنما يكيف هذا التصادم مع مقتضيات العولمة في ظل احترام أصالة الحضارة الإسلامية وهذا ما تحور في عدة مواقف فكرية منها من يرى الاندماج مع المد العولمي كليا كونها واقع حال لا بد من تعايش معه وموقف آخر موزاي يرفضها كليا ويميل إلى الانكفاء على الذات وإحياء امجاد الماضي وهذين التوجهين غير صالحين فإذا كان الأول مقامرة فسيكون الثاني انتحارا حضاريا وعليه وجب إيجاد موقف ثالث أكثر توازنا وهو ما ذهب إليه جملة من المفكرين المسلمين والذي يقر بمنافع العولمة ويرفض سلبياتها وبرغم من ذلك إلا أن هذا الموقف الأخير مجاني للواقع فلا يمكن في عصر المعلومة السريعة و صورة متنوعة ومتعددة الأبعاد والسياقات تميز بين الإيجابي والسلبي في المواضيع المتداولة ولهذا كان لزمنا علينا استحداث موقف رابع يحافظ على

(1) - أحمد تريكي: إشكالية الصراع الهوياتي في عصر العولمة، مجلة الساورة للدراسات الانسانية والاجتماعية ،المجلد 07، العدد02، 2021 ، ص233.

الهوية الإسلامية ويوظفها كأداة لمواجهة كل أشكال العولمة الثقافية لما تعكسه من خطر حضاري يتهدد التراث الإنساني عموما والقيم الإسلامية خصوصا من خلال استغلال التقنيات الحديثة وجعلها هذا الخطاب قناعة متجذرة لدى صناع القرار والشعوب الإسلامية لفهم المناحي المدمرة للغزو العولمي لمباني الحضارة الإنسانية.⁽¹⁾

وفي هذا الإطار يظهر تصنيف الحضارة الغربية للإسلام كعدو دائم بعد انهيار المارد السوفياتي وعلى هذا التصور تم بناء كل المواقف والمشاريع ضد هذا الطرف في نظام العلاقات الدولية بوسمه بالإرهاب والتطرف ، وعليه برز منهج عالمية الإسلام مقابل العولمة الغربية التي لا تمثل في حقيقة الحال سوى نزوع دائم لتمرکز الذات الغربية حول نفسها وجعل النظام الدولي يتماشى مع هذه المسلمة الحضارية في ظل التبعية والهيمنة مع ترسيم المعادلة الغربية وفق مصالحها التي تتطابق مع مقولات نهاية التاريخ وصدام الحضارات وتصير معهما الأنا الغربي هو كل المعمورة و لا يكون الآخر إلا مجرد ملحق حضاري في ظل هذه التوازنات العولمية غير العادلة وبهذا ظهرت رؤية مناقضة للعالم من خلال نافذة عالمية الإسلام بشكل أكثر ديناميكية بتأسيسها على منهج التعايش والوحدة لخدمة وظيفة الاستخلاف وتحقيق الوظائف الحضارية لتجسيد قيم التعارف البشري بعيدا عن دعاية الانتصارات العظمى لليبيرالية الغربية التي تغنى بها الباحثون في أطروحة نهاية التاريخ وصراع الحضارات والتي مثلت أفكار هامشية للتحدي الإسلامي الذي كان حريصا على تقويم المفاهيم المستحدثة مع ظاهرة العولمة بما يخدم التنوع الثقافي والتعدد الحضاري بين المجتمعات الإنسانية.⁽²⁾

(1) - خليل مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، ط1 ، 2009، ص184.

(2) - سيف الدين عبد الفتاح: العولمة والإسلام رؤيتان للعالم ، دار الفكر ، دمشق، ط1 ، 2009، ص128

تعتبر العولمة تحديا حضاريا لخصوصية الحضارة الإسلامية التي أصبحت ذلك الآخر الذي يهدد الذات الثقافية الإسلامية مما يحتم على العالم الإسلامي إدراك هذا التحدي والوعي بأهميته مجابهته مع كل مشاريعه الإقصائية التي تعمل على فصل الشعوب الإسلامية عن هويتها وتراثها بآليات متعددة تشكل خطرا غير مسبوق على الحضارة الإسلامية بضرب ميراثها وتشويه تاريخها لضمان سهولة اختراق المجتمعات الإسلامية في ظل الإكراه الحضاري والفرص القصري للقيم الغربية وتعليبها في شكل منتجات اقتصادية أو حتى فكرية لطمس تاريخ الثقافات لصالح ثقافة المركز المهيمن الذي يقولب العالم وفق منافعه و ما يحقق ديمومة بقائه ليصير بذلك التعدد الحضاري مجرد متحف ثقافي أمام حقيقة العولمة المفترسة التي تعتبر مجرد وسيلة لتثبيت دعائم خطاب التمرکز الغربي.

2/ حقيقة العلمانية في سياق الطرح الإسلامي:

لا يمكن أن نجد توافق بين مبادئ العلمانية وروح الإسلام وهذا جوهر التناقض بينهما حيث أنّ كبار المفكرين الغربيين من أمثال "برنارد لويس" و"فوكوياما" يعتقدون أنّ مشكلة الإسلام عدم تقبل المنهج العلماني ما جعل عدة باحثين يحاولون اختراق هذا الرفض بمسميات ومشاريع أخرى كالتراث والتجديد وإشكالية الأصالة والمعاصرة أو جدلية الحداثة والإسلام التي تعتبر مجرد مضامين مزيفة لتمنيع قواعد الإسلام ومقوماته بما يواكب مفاهيم العلمانية التي تنصبوا لفصل الدين عن الدولة أو عن حياة الإنسان في سمة بدأت مع الفكر الإغريقي وتطورت مع الفهم الغربي الحديث الذي نقض الكهنوت المسيحي لجموده ورفض لكل معالم التحضر والعلم ثم عمل خلال المرحلة المعاصرة إلى إشاعة مسلمة عزل الدين عن حياة باعتباره عائق حضاري يجعل الإنسان حبيس الغيبيات الفارغة ولكن الدين الإسلامي يرفض هذه الدعاية الإلحادية مصدقا لقول الله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ

إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)).(1)

وفي ذات الصدد عمل أتباع الفكر العلماني على فرض هذا النموذج العقائدي الغربي في المجتمعات الإسلامية إلى درجة أن رأى المفكر "محمد أركون" أن العلمانية هي الوسيلة الأسمى لتحقيق المجتمع الإسلامي رقيه ومواكبته لروح الحداثة في ظل اعتمادها على النموذج الليبرالي في الاقتصاد والتعليم والاخلاق ، لكن هذا الخطاب السالخ للهوية كان على مستوى النخبة الحداثية فقط أما على مستوى الفئات الاجتماعية البسيطة فلقد لقي المد العولمي موجات معادية وعنيفة لمراميه المشبوهة لما تمثله هذه الأيديولوجيا الغربية المحفوفة بالمادية وممتزجة بالإلحاد من مخاطر على مقومات الهوية الإسلامية وهذا ما أسفر عنه ميلاد الأصولية الجديدة لمجابهة أمراض العلمانية وتثبيت الجماهير الإسلامية على العقيدة القويمة على أساس رفض النظرية الإلحادية التي يعمل الفكر العلماني على إرسائها تحت غطاء العلم والتحضر من خلال توطين توحيد الله سبحانه وتعالى في كل شيء اعتبارا على أن هذا الاعتقاد هو مصدر الصلاح والإصلاح في الدين والدنيا وما يعزز ذلك هو إلغاء فكرة أن الإسلام يتناقض مع العلم والحضارة من خلال بيان حضارية الإسلام في سلوكياته و تداخله مع روح العلم منذ نشأته في ظل تأسيس معطيات العلم في الحضارة الإسلامية على مقتضيات الإيمان وعليه يبرز حجم التطور الذي بلغته معاني الأصولية من المعنى الكلاسيكي الذي يرفض كل ما لا يتفق مع القرآن والسنة النبوية في الواقع المعاش إلى أصولية حديثة تريد دمج حقائق الشريعة في كل مجالات الحياة الإنسانية لتحقيق التكامل بين التنظيم الإلهي وكيونة الإنسان.(2)

(1) - القراءان الكريم : سورة الأحزاب ، الآية 36

(2) - مراد وهبة: الأصولية والعلمانية ، دار الثقافة، القاهرة ، ط1، 1995، ص62.

لقد عمل العقل الإسلامي على إلغاء منطق المصالح المتضاربة الذي تقره العلمانية من خلال نفي الإطار الغيبي في العقيدة الإسلامية إذ لا يمكن أن نحصر نطاقتنا المعرفية في احتيال إبيستمولوجي صريح من العلمانيين الذين عجزوا عن إدراك الحقيقة مقابل العقل الإسلامي الراشد الذي يدرك حقائق الواقع و متطلبات الفهم البشري، ولهذا نجد المشروعات الحضارية التي جاء بها السياق العلماني تتجاهل المنظومات الفكرية والاجتماعية التي يؤطرها واقعنا التاريخي وفي مقابل هذا نجد نماذجها تعتمد على التصادمات الفكرية والفلسفية للعالم الغربي لتبرير عدم صدقية ظواهر إسلامية البحتة ما نجم عنه حالة من الإهدار العام لكل الطاقات العقلية في الأمة الإسلامية وإلهائها عن أهدافها الحضارية المنشودة من خلال معالجة مشاكلها بواقعية الإرث التاريخي و مستجدات الحاضر المعاش بعيدا عن أطاريح العلمانيين الذي غلبوا الصراع الفكري على الحلول الميدانية التي تمثل واقع الأمة الفعلي لتحقيق التنمية الحضارية في ظل كون المشروع الإسلامي يمثل خيار براغماتيا وموضوعيا يتماهى مع الحقيقة النهضوية حتى لمن يفقدون الموقف الإيماني ويتجاوز الصراعات الفكرية الجوفاء بين العلمانيين والإسلاميين الذين لم يقدموا للأمة سوى تأخر عن المسيرة الحضارية التي تخطوها الأمم نحو تطلعاتها المنشودة.⁽¹⁾

وفي هذا الصدد يرى الشيخ "يوسف القرضاوي" رحمه الله أن العلمانية مسار مناقض للإسلام نظرا لكون الفكر العلماني لا يحمل نظرة محايدة نحو الإسلام خاصة أن شمولية الدين الإسلامي لكل مناحي الحياة جعلت الصدام بينهما لا مفر منه مقارنة بالنصرانية التي استطاعت العلمانية استيعابها بتقسيم الإنسان إلى شطرين شطر للدين و شطر للدولة أو بعبارة إنجيلية أبلغ ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ولكن الإسلام يرى واقع الحياة والإنسان

(1) - محمد إبراهيم مبروك : مواجهة المواجهة "المناقشة الإسلامية للأفكار العلمانية"، الكتاب الأول، دار الطباعة الحديثة، ص43.

واحد لا يقبل القسمة ويرى بذلك إنَّ الله تعالى هو رب الحياة والإنسان ككل ويرفض أن يكون قيصر منازعا لله في ملكه وحكمه واستبدال شرائعه بميولات البشر المتقلبة بعيدا عن ربانية المصدر و الغاية متمثلة في تثبيت في الإيمان بالله العظيم واستدراك القيم الأخلاقية وتحقيق قيمة الإنسان من خلال تعبيد الناس لربهم مع مصير واضح في رحلة الحياة من المولد إلى الموت وما بعدها بعيدا عن لغة الخشب المتصلبة التي يؤشكّل بها المتعلمة حقيقة الحياة، فالإسلام لا يمكن أن يقبل دورا هامشيا أو تابعا في بناء مجده الحضاري فهذه الفكرة هي ما تجعل العلماني ينظر بعداء و تريب من كل ما هو إسلامي خاصة أن يحمل لواء مكافحة الانحرافات الأخلاقية والدينية و كل أشكال الغزو الثقافي والاجتماعي لاتباعه ليحقق إنسانا معتدلا يعرف ما لله وما للناس في ظل احترام التنوع بين المجتمعات والحضارات بعيدا عن آمال الغرب في نظرتة للإسلام كضيف في إرثه وتاريخه وحتى في تعاملاته الدينية ، وهذا ما يجعل الإسلام يرفض التيار العولمي وغاياته العقيمة التي تتواءم مع المبادئ الحضارية في الإسلام.⁽¹⁾

وفي ظل اعتبار الغرب المسار العولمي أحد الميزات التي تضمن له تعاطي المرن على الصعيد العالمي إلا أن حقيقة الحال تعكس أن هذه آلية مجرد استكمال وظيفي لموقع الهيمنة الذي يصبوا لإرسائه ،ولكن سرعان ما بدا الغرب يسير نحو الانتحار وأصبحت العلمانية معولا مدمرا للحضارة الغربية حتى في ذاتها قبل خارجها خاصة مع تعدد العلمانيات فالعلمانية الفرنسية غير العلمانية الألمانية هذا من جهة ومن جهة أخرى سجل انحراف غايات العلم لدى الغربيين عن أهدافه الأخلاقية التي تمثل أيقونة الادعاء الحضاري الغربي ودخول الليبرالية في زمن الميوعة و التقلت من قيود المبادئ الإنسانية لصالح المادية

(1) - محمد إبراهيم مبروك: العلمانية العدو الأكبر للإسلام من البداية إلى النهاية، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، ط1

المتوحشة من خلال استخدام منطق القوة العسكرية والاقتصادية لزيادة التوسع الغربي على حساب احتياجات الآخر الضعيف ما خلق حالة من الكره العام لكل ما يمثل الثقافة الغربية خاصة مع مساره الذي يعمل على فرض قيمه وأجنداته بالقوة والإرغام ما يسهم في دفع بالحضارة الغربية إلى الانهيار أو الانتحار الوشيك إذا لا يمكن أن يتحقق شعار الغرب كرسول للحضارة الإنسانية في ظل شن الحروب وقتل الآلاف باسم تصدير التقدم والحضارة لأنّ أيّ تراجع سيكون بمثابة فتح للمجال لزوال الإنتاج الغربي مثمر.⁽¹⁾

كما لا يفوتنا الوقوف على الموقف الأصولي الإسلامي الممانع للعلمانية لاعتبارها نقيضا مباشرا للدين إن لم نقل طاعون العصر الذي يحاول تدمير القيم الإسلامية من الداخل، فهي لا تعدو إلا أن تكون نتاج البعثات التبشيرية وتصور الجامعات ووسائل الإعلام الغربية لعقيدة أوروبية خالصة وهي بذلك تجربة خاصة بالحضارة الغربية التي تتأرجح مفاهيمها بين النفعية التي أرساها القانون الروماني بعيدا عن المباحث الأخلاقية في ظل ما يعزز طرحها في الديانة النصرانية التي تسمح بفصل الدين والدولة في باب الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية وعليه منطقيا لا يمكن أن تتوافق هذه المشكلة الغربية مع الإرث الإسلامي القويم جملة وتفصيلا ، فهي تمثل معاداة واضحة لتعاليم الإسلام وسعي من الغربي لتمير المشاريع التي تخدم استراتيجيته بضرب كلي لأسس الدين الإسلامي لأنه الحصن المتين الذي يضمن إسقاطه فصل الإنسان عن تاريخه وثقافته وترويض فكره وفق ما يريده الغرب في تعاطيه الحضاري مع الآخر الإسلامي.⁽²⁾

(1) - عاطف عطية، الغرب والآخر منطق التداخل بين العلمنة والهيمنة ، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد02، بيروت ، 2016 ، ص85.

(2) - مصطفى بوخالفة: مقارنة العلمانية في السياق الاسلامي ،مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ،المجلد 08، العدد01، 2020، ص09.

وعلى رغم من سعي الغرب للالتفاف حول المسلمين من خلال سياسة التمويه عبر ترويج للعلمنة كخيار للنهضة والتقدم لتحديد عن الفعل الحضاري وضمان ركود الوعي الإسلامي و تجنب أي محاولة قد تؤدي ليقظة الروح الإسلامية إذ لا بد من لجمها لو بالعنف أحيانا على رغم من اعتقاد التيار العولمي أنّ العلمانية هي خلاصة الفكر البشري إلا أنّ الناظر إليها بتبصر يتوصل إلى أنّها لا تعدو إلا تكون فكر جاهلي جديد لمجابهة الإسلام من خلال رفض بعض الحقائق الدينية باسم العقلانية والتحرر وهو في حقيقة الأمر مجرد رضوخ لأهواء النفس وشهواتها في عودة بنا إلى ما قبل الإسلام مع جاهلية قريش بثوب جديد بضمان حقوق الشواذ وكل ما يخالف الفطرة البشرية وحماية الملحدین والعلمانيين وتبرير التدخل في الدول بحجة حماية الأقليات الدينية، ولكن في المقابل ترفض كل ما يمثل الإسلام وقضاياها بل وتمنع وبقوة أحيانا أيّ مظهر يعكس الشعائر الإسلامية في شكل من أشكال التسلط ناقض لمبادئ الحرية الإنسانية. (1)

وخلاصة القول إنّ العلمانية لا تعدو إلا كونها سبيلا لفرض المركزية الغربية على العالم في شقها السياسي والديني فهي تريد فصل الإنسان عن قيمه الدينية في الحياة لتحقيق اختراق سياسي في تسيير هذه الدول في العالم الشرقي عموما والإسلامي خصوصا بما يخدم مصالحها وضمان إنسان لا يدين إلا بما يراه الاستعلاء الغربي في كل المجالات بعيدا عن كل المبررات التي يسقوها الفكر الغربي وأتباعه في تبرير للعلمانية كمنهج للحياة الرائدة.

(1) - ميلاس محمد زين: العلمانية والإسلام ، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية ، المجلد 05 ، العدد 01، 2020، ص 877.

المطلب الثالث: نقد مشروع صراع الحضارات و أطروحة نهاية التاريخ .

لقد تعدد مشاريع الغرب في إثبات ذاته المفعمة بحب السيطرة والتوسع واعتبار الغير مجرد حواشي بشرية على مر التاريخ إلا أن هنالك مشروعين رفقا الفكر الغربي المعاصر واقعا وهما جنوح العالم للتصارع الحضاري مع "صموئيل هنتغتون" بسبب غياب نقاط الاتفاق وتمسك كل حضارة بمكاسبها الثقافية والتاريخية وذلك ما سيكون مؤداها في نهاية المطاف إلى انتصار الإرادة الغربية مع الإنسان الغربي الذي يعتبر المنتصر كونه خاتم البشر وصانع مجده الذي سينتج عنه نهاية التاريخ الحضاري للأمم مع مقولات "فرنسيس فوكوياما" في طرح أقرب للسادية التي تعكس حجم التعجرف الحضاري الذي وصل إليه بسبب طغيانه و اعتباره معادلة الوجود تتجلى في العالم الغربي دون سواه.

1/ همجية صراع الحضارات :

لقد كان مشروع "روجي غارودي" مخرجا فكريا يتجاوز مشروع الصراع بين الحضارات الذي عمل "هنتغتون" على إرسائه بين الأمم المختلفة من خلال كتابه "حوار الحضارات" إذ مثل نموذج الحوار سياقاً حضارياً بديلاً يتأسس على فرضية هامة أن سعادة البشرية تتجاوز العالم الغربي والشرقي في خدمة غايات الإنسان الكبرى إلى فتح باب لإسهام كل الثقافات الإنسانية في إطار التعاون والتكامل وهذا ما سيؤدي لتجاوز عصر الهيمنة الغربية التي كانت بسبب تفوقه العسكري والتقني لا ثقافي في الكثير من الحثيات ذلك أن الجانب الثقافي في الفكر الغربي الذي كان وليد الميراث الحضاري الشرقي في حقيقة الحال مع كل من آسيا وإفريقيا بعيدا عن وهم المعجزة اليونانية التي برهن التاريخ أنها لم تساهم في فجر النهضة الأوروبية بقدر ما عملت الرأسمالية المتوحشة والاستعمار ومسار رفض كل الثقافات اللاغربية كونها عاجزة عن توريد القيم السامية هذا من جهة ومن جهة أخرى التركيز على حجة نشر التمدن في المجتمعات الهامشية ما جعل العالم الغربي يضيع الكثير

من الفرص الحضارية لتلاقح الحضارات خاصة مع انتهاجه أسلوب أباد السكان الأصليين للمستعمرين وفرض حملاته الثقافية عليهم بالقوة ومعادة أي فعالية حضارية جيدة مثل وصف الفتوحات الإسلامية بتدفق الهمجي الآسيوي على الغرب ومواصلته احتقار الحضارة الصينية العملاقة ، ولكن واقع الالفية الجديدة يفرض منطقا مستجدا يميل لتحقيق التكامل الثقافي بين الحضارات غير الغربية سواء المادية أو الروحية مما من شأنه أن يزيل الوهم الغربي بتفوقه ويعيد للعالم نسبيته وتوازنه الحضاري بعيدا عن المادية العقيمة ومثال على ذلك التراكم بين الماركسية والثقافة الصينية وتحقيق إخصاب حضاري بين الأمم الشرقية بما فيها العالم الإسلامي ما سيؤدي لإرساء الحوار بدل الصراع لتجنب الإنسانية الأفق المظلم الذي يسعى الفكري الغربي لفرضه على الحضارة الإنسانية. (1)

ولعل من بين أخطر التعقيبات على نظرية صدام الحضارات هو تسييس القيم الحضارية والتلاعب بالأبعاد الثقافية للأمم وإخضاعها لمصالح السياسية خاصة مع كون كتاب "صراع الحضارات" ليس في مجال الحضارة بل مؤلف في السياسة ونظام العلاقات الدولية، وهنا يبرز خطر وشيك مع تحول معاني الحضارة من الثقافة إلى السياسة وعليه تصير مفاهيم التحالف الحضاري هي المصدر الجوهرى للتصارع في هذا العالم الجديد و نتحول بذلك إلى صراعات شاسعة غير محمودة العواقب خاصة مع حدوث انتقال تراجمي من تصادم بين بعض الدول إلى نزاع بين عدة حضارات وهذه الوضعية هي التي تمثل خطوط الأولى للمعارك مدمرة بين البشر ، فمن المعلوم أنّ الصراع بين الدول كانت لا تذيبه سوى التقاربات الحضارية بين الأمم لتحقيق السلام والتعايش لنجد العالم الغربي اليوم يكسر هذه القاعدة الحضارية منذ فجر التاريخ بمحاولته فرض فلسفة صراعية مؤدلجة وبخلفيات

(1) - زازوي موفق، بن معمر عبد الله: مستقبل الحضارات: صدام أم حوار؟ "مشروع غارودي بديلا لأطروحة هنتغتون"، مجلة أنثروبولوجية الأديان ، المجلد05، العدد02، 2009، ص 78-80.

سياسية توسعية تنتقل التنوع الحضاري من مجال للتقارب إلى فضاء للصراع الدائم على يد الغرب الو.م.أ خصوصا هذه الأخيرة التي لم تهتم تاريخيا بالبعد الحضاري لعقدة لديها كونها مجرد وريث لمزيلة القارة الأوربية خاصة السجناء وقطاع الطرق المنفيين من المملكة البريطانية وبناء دولتها على جماجم الهنود الحمر ،ولكن رغم ذلك إلا أن المارد الأمريكي عمل من خلال هذا المشروع على بناء استراتيجية غربية لدفاع عن الحضارة الغربية إن لم نقل الهيمنة الأمريكية في عالم يراد فرض صداميته خاصة مع بداية صموئيل التشاؤمية في مشروعه من واقع العالم ونتيجة المأساوية المقبل عليها إن لم يتدخل الإرث الغربي في نشر التحضر والثقافة لتحقيق التوازن الحضاري حسبهم لذا عملوا على السعي الدائم لانتصار للحضارة الغربية وهيمنتها على الساحة الدولية.(1)

وجدير بالذكر أن وضع السلام على راس قائمة الحضارات التي سيتم الصراع معها من طرف الغرب فيما هو قادم رغم وجود خصوم أكثر قربا واستعداد لهذا الصراع ليؤكد أن جوهر هذا مشروع يحمل دلالات عقدية وليست أبعادا مادية كما يظن بعض العلمانيين العرب لأن حقيقة الحال تعكس أن الدين الإسلامي مستهدف بناءً على بعض السلوكيات المنحرفة لبعض تيارات الإسلاموية المتطرفة والتي لا تمثل سماحة الإسلام الحقيقي، ولكن رغم ذلك نجد من بيننا من يبرئ الذات الغربية ويلقي باللوم على الإسلام في ظل هذه الأفعال المشوهة لسمعة الحضارة الإسلامية إلا أن مقولة صراع الحضارات كانت كافية لتعري الفكر الغربي هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه لا يوجد مبرر لأستاذ جامعي يتصف بالأكاديمية و يمارس البحث الموضوعي مع الإسلام ثم نجده يرتبه في أول الأعداء المحتملين للحضارة الغربية مقابل وجود أخطار قائمة حقيقة كالحضارة الهندوكية واليابانية

(1) - محمد خليفة حسن: المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر" نقد إسلامي لنظرية صراع الحضارات" ، مركز الدراسات الشرقية ، سلسلة الحوار بين الأديان و إلتقاء الحضارات ، العدد02، القاهرة ، 2003 ، ص89.

أو الصينية هذه الأخيرة التي صدرت منها عدة ممارسات عدائية ضد الأمريكان ولكن رغم ذلك تجد عدة تسويغات لدعم الصداقة والشراكة معها وعليه ندرك أن أطروحة صراع الحضارات أسقط دعوة القائلة بأن المسلمين مسؤولون عن الصورة المشوهة للإسلام من خلال بعض العمليات الإرهابية أو الفكر الضال من الجماعات المتطرفة ضف إلى هذا إنَّ الترويج للإسلام كونه الخصم الأكبر للعالم الغربي نجده مغالطة كبيرة على الرغم من كون الحضارة الإسلامية قوة دولية مؤثرة لكن ليست بالحجم الذي يريد الغرب تهويله وترويجه في وسائله المختلفة وبهذا ندرك أن استهداف العالم الإسلامي كخصم حضاري للغرب لا يتأسس إلا من خلفية معادية للدين الإسلامي قبل كل شيء ووضع هذا المارد الأخضر كبديل معادي عن المارد الأحمر السوفياتي من خلال استنهاض الهمة الغربية ضد هذا الخصم المحتمل بكل الطرق وهذا ما يسمح بإيجاد الذات الغربية لكيانها في مواجهة الآخر مع إيجاد مبررات لصناع القرار الغربي لتحديد استراتيجية مستقبلية من خلال ملاحقة كل ما هو إسلامي وتحريض مختلف الدول والمنظمات على اضطهاد الحركات الإسلامية ليتحول هذا مشروع مع المقاربة الأمريكية إلى حقيقة واقعية نشهدها دوريا في نظام العلاقات الدولية.⁽¹⁾

وعلى خلاف ذلك نجد دعوة الإسلام أكثر سماحة في بناء تقارب حضاري من خلال دعوة كافة الناس إلى التعايش في ظل الله الواحد الأحد بتعاليم تحقق غاية التفاعل الحضاري كبديل عن الصراع المشحون في ظل قاعدة التسامح التي تتأسس عليها بنى الحضارة الإسلامية وهذا ما برز مع موجة الانفتاح التي أسست لها مبادئ الأمة الإسلامية مع كل الشعوب و الثقافات المتنوعة في ظل قاعدة التسامح الديني وحرية أداء الشعائر الدينية و تطبيق العدالة على الجميع أمام القوانين الإسلامية وهذا ما يؤهل الإسلام ليكون أرقى الأديان في تحقيق قيم التسامح وهي ركيزة الأساسية في بناء التفاعل الحضاري الناجع

(1) - محمد يحي: صراع الحضارات أم هيمنة الحضارة الغربية ؟ ، مجلة البيان، العدد 125 ، ص 138-139.

المؤسس في الفكر الإسلامي على مبدأ التدافع الحضاري لا التصادم وهو أصل ثابت ذكره القرآن الكريم بنص صريح في قول الله تعالى: ((وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ))⁽¹⁾، ومنه ندرك أنَّ التفاعل الحضاري الإسلامي هو عملية تدافع لا تنازع تدفع نحو كل آليات الحوار لبناء حياة قومية بعيداً عن صور التناحر الذي لا ينتج عنه سوى الفناء وبالتالي يكون غاية التفاعل الحضاري إرساء قيم الحوار بما يتماشى مع قيم الخير والحق والعدل للإنسانية وتجنب الكون كل أشكال القطيعة والفساد بين الشعوب.⁽²⁾

وتجدر الإشارة هنا إلى كون نظرية صراع الحضارات نتاج سوء فهم قائل بين الغرب والإسلام ما جعل النظرة العلائقية بينهما يطبعها التوتر في العلاقة بين المسلمين والمجتمعات الأورو-أمريكية خاصة مع اعتبار الـو.م.أ كواجهة نمطية للغرب ترسم دوماً صور عدوانية في المخيلة الجماعية للعالم الغربي عن مفاهيم الإسلامية انطلاقاً من خلفية أيديولوجية مستمدة من الغرث المسيحي-اليهودي الحاقد ما نجري عنه لاحقاً مشاريع وقرارات ظالمة للغرب من القضايا الإسلامية بحكم التراكمية الدينية المسبقة في نظرتهم للحضارة الإسلامية و كان مؤداه هو وصف الإسلام بالفاشية الجديدة في صورة من صور الكراهية والبغض للآخر الإسلامي وهو أمر خطير ومرعب يحكم العقل الغربي أولويات صناعات القرار عموماً ، وبذلك يكون مشروع صدام الحضارات تطبيقاً فعلياً للمركزية الغربية وانحيازاً وظيفياً لكل ما يمثل المصالح والقيم الثقافية والاقتصادية والسياسية الغربية في ظل رسم منحى مشوه عن الإسلام كسيف مخضب بالدماء والعنف منذ نشأته ويسعى لنشر فلسفته الإرهابية في ذاته وخارجها وهذا ما يشكل حالة من تدليل الفكر الغربي على رجعية الإسلام وعدوانيته

(1) - القرآن الكريم : سورة البقرة ، الآية 251.

(2) - عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار من أجل التعايش ، دار الشروق ، القاهرة ، 1998 ، ص 22-23.

ما يستوجب حسبهم التوحد ضد خطره الوشيك على ضوء ما قدمه "هنتغتون" في أطروحته من انتقائية في عرض الأحداث و تفسير الأفكار وفق ذاتيه الإقصائية التي أنتجت تحليلا متناقضا في مشروعه الاستعلائي والذي لا يخدم في حيثياته إلا إقرار السيادة الغربية على العالم واعتبار الآخر مجرد حواشي تسعى لافتعال الصدام مع الرجل الغربي النبيل.⁽¹⁾

وفي مقابل ذلك نجد صراع الحضارات مجرد عولمة غربية عمل الإسلام على بعثه نفسه من جديد عبر عدة بدائل ومشاريع حضارية منها فكرة تعارف الحضارات التي يعتبر المرتکز الأخلاقي أحد عناصرها الهامة والذي يتوضح في قوله الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))⁽²⁾، حيث يرى "زكي الميلاد"⁽³⁾ أن الأمم والشعوب لو تماشت مع مبدأ هذه الآية التي تترفع في معاييرها عن معاني التفاضل الكلاسيكي المتطرف مع كل من اللغة والثقافة واللون لنحقق فوقهم صالح الإنسان في ظل مبادئ السامية للتقوى بعيدا عن المكاسب السياسية والمصالح الاقتصادية التي ستزيل معها كل أشكال العصبية وإشكالات العرقية والقومية ما يسهل التعارف بين الحضارات من خلال البعد الأخلاقي في ظل افتقاد الإنسان المعاصر لهذه القيم الوجدانية والأخلاقية في ضبط العلاقات الدولية ، فالقرآن الكريم لم يلغى مبدأ التمايز بين الشعوب لكونه واقعا موضوعيا لا يتعارض مع مبادئ العدل والمساواة ، لكن عمل على تغيير مقاييس التفاضل الحضاري من العرق والنسب إلى مقاييس أسمى تربط الأمم بالقيم أولها الإيمان بالله تعالى وبهذا يتبدى لنا كون أطروحة التعارف الحضاري كانت رد فعل إيجابية على افتعال صراع الحضارات من الغرب من خلال المزج بين السياق

(1) - حميد حمد السعدون: الغرب والاسلام والصراع الحضاري، دار وائل للطباعة والنشر ، عمان ، 2002، ص 84.

(2) - القراءان الكريم : سورة الحجرات ، الآية 13.

(3) - زكي الميلاد: مفكر وكاتب سعودي متخصص في الدراسات الإسلامية، ولد عام 1965 وأهم مشاريعه الفكرية "تعارف الحضارات".

السياسي والثقافي في تكوين نظام علاقات أخلاقي بين الحضارات في ظل احترام التعايش والتنوع البشري.⁽¹⁾

ورغم ذلك كله إلا أن مشكلتنا مع الحضارة الغربية تتجلى في كونها غير راضية بهذا القليل الذي تبقى من الحضارة الإسلامية بل تسعى أن نكون لا نحن و لا غيرنا عقبة في طريق مجده الحضاري الذي لا يقبل سوى أن نكون تابعين لرؤيتها المنقردة ،رغم أنه في حقيقة المقام لا توجد في وقتنا حضارة إسلامية مؤثرة ولكن يبقى العالم الغربي ينظر لنا بتريب وحساسية كبيرة بسبب أي بادرة بعث إسلامي جديد في ظل إرث تاريخي يؤكد أن الخلافة الإسلامية كانت حضارة عالمية إلى غاية القرن السابع عشر الميلادي ثم تهاوت المجد الإسلام فأصبحت أقطاره هي التي تغزو من المسيحيين وغلب على المسلمين روح الإحباط و الانكسار بسبب تخلفهم ليتجدد كل مرة لدى قادة الفكر الغربي خوفهم من عودة أمجاد الدولة الإسلامية خاصة مع جزم أغلب مفكرهم أن للإسلام قدرة عجيبة وهائلة على العودة لانبعاث كل ما هزم أو تراجع ، وما افتعال مشروع صراع الحضارات بشكل همجي إلا أحد أدوات تثبيط قيامة مستجدة للحضارة الإسلامية كونه يعتبر الإسلام هو العدو المحتمل الأول للغرب لذا يسعى الغربيون إلى تدميرها و تدويرها من جديد وفق ما يخدم خطاب التمرکز الغربي المتعالي.⁽²⁾

(1) - قيس ناصر راهي: صدام الحضارات ،العتبة العباسية المقدسة، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العراق ، 2017 ، ص105.

(2) - جعفر شيخ إدريس: صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ،السعودية ، ط1 ، 2012، ص46

2/ فساد أطروحة نهاية التاريخ:

إن وضعنا لأطروحة نهاية التاريخ في ميزان النقد يجعلنا نستحضر عدة انتقادات وجهت لمشروع "فرنسيس فوكوياما" أو فكرة نهاية التاريخ واستقرار العالم بعدها إلا أن الواقع يؤكد بقاء الحروب والصراعات بين البشر مع بقاء النزعات القومية والدينية كمحرك للتاريخ خاصة في ظل تطلع الإنسان إلى ما بعد البحبوحة الاقتصادية بالإضافة إلى أن الدارس لأطروحة "فوكوياما" يجد نفسه مع "كارل ماركس" جديد فواحد زعم سابقا أن نهاية التاريخ ستكون مع المد الشيوعي و آخر يعتقد أن نهاية التاريخ ستكون مع الليبرالية الغربية وفق النموذج الأمريكي متناسيا أن الحلم الليبرالي وفق ما رسمه "هيغل" لم يتحقق وأن الاشتراكية التي نادى بها "ماركس" انهارت بشكل مأساوي مع انهيار الاتحاد السوفياتي ولن تكون ليبرالية بعيدة عن ذات المصير ، كما أن فرنسيس درس مختلف الأنظمة الشمولية وتابع سقوطها ليبرهن في نهاية الأمر إن شعوب هذه الأنظمة تتوجه إلى الديمقراطية الليبرالية التي تمثل اتجاه عالمي يوحد البشرية في نمط تعاشي متناسق ضاربا بذلك تعدد الثقافات والحضارات عرض الحائط رغم استحالة خضوع الأمم المختلفة لمد أيديولوجي أحادي ولو افترضنا قولبة العالم في نموذج واحد لن نرى سوى التحجر هذه الشعوب وانعزالها وعدم قدرتها على التواصل فيما بينها نظرا لكونها مجبولة على التعدد والتنوع مع تبادل المصالح المشتركة ضف إلى ذلك إن مواصلة مفكر النهايات عرضه بالتمثيل للديمقراطيات الناجحة في العالم متناسيا الديمقراطية الأمريكية التي دائما ما تدعم بكل قوة الأنظمة العسكرية والديكتاتورية في عدة قضايا فالو.م.أ ديمقراطية داخليا ولكن سياستها الخارجية نازية خبيثة جديدة ، وبهذا ندرك أن أطروحة "فوكوياما" ماهي إلا أداة لخدمة الرؤية المستقبلية للتحويلات السياسية عبر العالم ضمن الفكر الاستراتيجي الأمريكي الذي يشتغل على كوننة العالم وإسقاط كل العقبات بمنهج النهايات من نهاية الإيديولوجيا إلى نهاية الدولة الوطنية وختاما

بنهاية التاريخ لإيجاد عالم واحد منسجم يهيمن عليه النموذج الأورو-أمريكي هذا من جهة ومن جهة أخرى الواقع يؤكد أنّ التاريخ لم يتوقف وأنّ تعدديات السياسية وتنوعات الحضارية دوماً في انبعاث من خلال رفض هيمنة القطب الواحد الذي يؤدي إنتهائه لحل عدة مشاكل دولية على رأسها الإرهاب والعنصرية وهذا ما ينجم عنه من عودة الإنسانية لمسار التاريخ والحضارة صحيح والأكثر توازناً.⁽¹⁾

كما تجدر الإشارة إلى أنّ أطروحة نهاية التاريخ شهدت تناقضا واضحا بين ثنائية التاريخ الكوني والمركزية الأوروبية رغم أن "فوكوياما" أكد مسار الديمقراطية الليبرالية هو الطريق الأحسن لولوج التاريخ الكوني الذي يجعل المجتمعات الإنسانية تصل إلى نهاية التاريخ معتبرا كل ما سبق لا يمثل سوى حقبة زمنية خارج مجال التاريخ ، ولكن يبرز هنا تناقض جلي عندما يركز فرنسيس كل المراحل التطورية في هذا الانتقال عبر التمرکز الغربي وهو التوجه الذي رفضه "إدوارد سعيد" بحصر التاريخ الكوني في الزمن الأوروبي واعتبار زمن مجتمعات الأطراف دوائر محيطة بالمركز وليس لها أي دور في تقدم الفعل الحضاري ما يحتم إخضاع التاريخ غير الغربي ذو سمة المتخلفة للتاريخ الأوروبي المتفرد وهنا نلاحظ النظرة التشاؤمية من تاريخ الآخر الحضاري خاصة مع الإنسان الثلاثي (العالم الثالث) الذي مزال يعاني من أجل الوصول إلى مرحلة سامية متمثلة في فضاء الليبرالية الديمقراطية غير أنّ قراءة "فوكوياما" لدى الباحثين غير مقنعة بتقديمه لنهاية مبتورة للتاريخ خاصة في ظل فصل حقيقة التاريخ على زمنين زمن غربي يتلاءم مع الحضارة وزمن الحواشي المصنف خارج التاريخ الحضاري وهو في ذاته يمثل خلافاً في تحليل الأحداث التاريخية برسم الإمبريالية الرأسمالية كمعبر حضاري لتحقيق الانتصار الليبرالي

(1) - يعيش وسيلة خزار: نهاية التاريخ فرنسيس فوكوياما نموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد "ب"، العدد 30، 2008، ص 139.

المنشود مع تغاضيه بشكل غير سوي عن الأبعاد التاريخية التي تميز خصوصية المجتمعات منها المجتمعات الإسلامية والتي أثبت التراكم التاريخي دورها في صناعة واقع الإنسانية المتحضر رفقة العديد من الحضارات الإنسانية غير الغربية الراسخة. (1)

وعلى ذلك حملت أطروحة "فوكوياما" عدة تناقضات فكرية وحضارية خاصة أنّها منطلق من تراث "هيجل" الفكري الذي يؤمن بفلسفة الصراع و المعركة الجدلية بين المجتمع ولكن هذا التناقض المرصود مع "فوكوياما" برز بشدة مع انتقاده لنفسه في كتابه " **مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية**" بحديثه عن تعرضه لسلسلة من الانتقادات عبر مقاله الأصلي حول مقارنة نهاية التاريخ مؤكداً أنّه لا يمكن أن تتحقق مقارنته إلا مع نهاية العلم و يعتبر هذا اعتراف صريح من فرنسيس كون مشروعه مجرد مقاربه فكرية لا يمكن أن تحقق إلا مع نهاية البحث العلمي ليتوقف التاريخ معه حقيقة و مدام العلم لم يصل إلى تلك المرحلة فنهاية التاريخ تبقى مجرد افتراض مرحلي يرافق الرأسمالية الغربية خاصة مع سيطرتها على العالم المعاصر. (2)

وناهيك عن ذلك بزر عدة مفكرين رفضوا خطاب نهاية التاريخ عند "فوكوياما" منهم الفيلسوف "جاك ديريدا" في كتابه "أطياف ماركس" والذي رأى الفكر الغربي الذي يدعو لحقوق الإنسان ويعمل على إرساء قانون السوق وتفاوت التطورات التقنية والاقتصادية والثقافية بين الدول لا يتوافق حقيقة مع أطروحة نهاية التاريخ التي عوض إن ترسم صورة حسنة لقمة الرأسمالية بتغني بالمثالية الديمقراطية و منطق التعدد في الليبرالية ونهاية عصر

(1) - إبراهيم القادري بوتشيش: نهاية التاريخ في الحاجة الى نقد أطروحة فوكوياما، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 01، العدد 01، 2015، ص 117-118.

(2) - فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية ، تر: عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية ، دبي، 2006، ص 07.

الأيدولوجيات ذهب فرنسيس معاكسا لهذه المشاهد بإرساء نهاية الأحداث التاريخية على الإنسان الغربي عبر كم هائل من الآلام والإقصاءات وتحويله افتراضه الفلسفي إلى مسلمة كإسقاط جعل مرجعية النظام العالمي الجديد حبيس رؤية واحدة تخالف التعدد والتنوع الذي تدعو إليه الديمقراطية الليبرالية خاصة مع إدراجه الأيدولوجية الصينية والإسلامية في شكل ثقافات محلية لا يمكن تكتسي الطابع العالمي هذا من جهة ومن جهة أخرى رغم أنّ "فوكوياما" سعى لإنهاء حالة الجدل عبر أطروحته بوقفها على النظام الديمقراطي الليبرالي الذي سيحل كل التناقضات في المجتمع ويضمن ظهور الدولة العامة متجانسة في العالم إلا أنّ الباحث "كريستيان كامباني" أردف ثلاثة اعتراضات واقعية علي مشروع نهاية التاريخ يصعب رد عليها أولها إنّه لا يوجد ولا دليل على انتصار أفضل نظام سياسي يمكن أن يمثل حقبة نهاية التاريخ لدى البشر و لا يوجد أيُّ افتراض حقيقي لنهاية تاريخ في ظل التقدم الدوري في شتى العلوم تطور الحضارات في ظل التحرك الدوري للأحداث التاريخية، بالإضافة إلى مجريات العقد الأخير تدحض كل تنبؤات "فوكوياما" وعلى سبيل المثال مازالت هنالك موجات تعارض سيطرة النظام الديمقراطي على النظام العالمي وتدعوا لتعدد الأقطاب بشدة وحصر النزعة الكونية وبالتالي فحديثه عن انتصار الفكر الغربي سابق لأوانه إن لم نقل لا يعدوا إلا أن يكون مجرد افتراضات فلسفية أمام الديناميكية الحضارية والتغيرات التاريخية التي يسير العالم المعاصر نحوها كما أنّ الترويج لكون أمريكا هي حاضنة النظام السياسي الذي سيكون نهاية ما توصل له البشر على مدى التاريخ ليس إلا مجرد مصادرة فكرية عقيمة في مرحلة زمنية معينة تسعى لغريزة العالم و تقديم عولمة المجتمعات كأفضل مسار حضاري أن يمكن تصل له ذروة التحضر البشري في تصور لا يعكس إلا مدى الفضاضة الفكرية التي أصبح يقدمها الغربي للعالم في إطار بناء نسيج عالمي أمريكي الشكل غربي الهوى مع الإيغال في التسلط و التميز على الحضارات الانسانية بمشاريع تتعدد في السياق ولكنها موحدة في المنهج والتصور للآخر في عالمهم و

لكن هذا التفاؤل الزائد لا يمنع من إجماع الأجيال القادمة بأطروحة نهاية التاريخ لكي يصلوا إلى ابتكار نظام سياسي أفضل يحقق الرخاء والتقدم الحضاري المنشود.⁽¹⁾

وعطفا على ما سبق يمكننا أن نؤكد أن أطروحة نهاية التاريخ فكرة عنصرية غربية تقوم بتشويه الحقائق من خلال نفي مسلمة التطور المستمر للتاريخ خاصة مع كونها مشروعا ينطلق من خلفية ثقافية ودينية مختلفة تماما على أسس الحضارات الشرقية بما فيها الحضارة الإسلامية من خلال إيمانها الثابت بالزامية ذوبان الثقافات المحلية الهشة في الثقافة الغربية المهيمنة في شكل من توسع المد العولمي أو أمركة العالم وفق نموذج موحد في كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وهو ما يشكل خطرا داهما على الهويات الوطنية لما تمثله من ارتباط وثيق مع آليات الاستعمار الحديث لفرض هيمنة الغرب على العالم وفرض أيديولوجيا.. جديدة تحت مسمى نهاية التاريخ تهدد الفكر البشري لأنها تهدف لمحو أي نوع من الهويات الوطنية أو القومية لصالح النمط الأمريكي الذي يقدم نفسه في ثوب الغالب ما يشكل خطورة على النظام القيمي العالمي وما يؤدي في ذات الصدد الى انهيار التواصل الثقافي بين الحضارات بسبب منطوق عدم التكافؤ وفرض سياسة تقليد المغلوب للغالب بسبب ضعفنا وعدم قدرتنا على إنتاج المعرفة مما يسفر عنه تحولنا لمجتمعات لا تعي كيفية التعامل مع أدوات التواصل الحديثة و هو ما ينعكس على فحوى أطروحة "فوكوياما" في سلخ الشعوب عن ثقافتها وهوياتها المتنوعة من خلال إلغاء الغير وفرض الذات الغربية كنهاية منفصلة غير محمودة العواقب للفعل الحضاري البشري.⁽²⁾

(1) - يحي سعيد قاعود : أطروحات فوكوياما و هنتغتون والنظام العالمي الجديد ، مركز البيان للبحوث و الدراسات ، الرياض ، 2015 ، ص238-240.

(2) - وفاء لعريط ، إيمان قماص: تحديات الهوية الوطنية بين التواصل الثقافي الغربي وإيديولوجية نهاية التاريخ ، مجلة البدر ، المجلد09، العدد12، جامعة بشار، 2017، ص 652-653.

ومنه ندرك أنَّ مشروع صراع الحضارات الذي قدمه "هنتغتون" ويسعى به لانتصار المد الحضاري الغربي في الأخير ليس إلاَّ مقدمة نمطية تؤسس لأطروحة نهاية التاريخ مع "فوكوياما" في إقفال حركة التاريخ و الامتداد الحضاري على أمجاد الحضارة الغربية بفرض منطق الهيمنة والتسلط على التنوعات الثقافية و التعددات الحضارية التي فرضتها طبيعة الإنسان قبل واقعه النسبي متجاوزين هذا بكل الوسائل والطرق في تعدي صريح على حركية التاريخ والأنماط الحضارية التي سادت العالم لقرون عبر مختلف الثقافات والأقطار المتعددة.

خلاصة:

وختام القول أنه رغم كل مسارات الهيمنة التي سعت الذات الغربية لفرضها بالترغيب والترهيب على الحضارة الإنسانية واعتبار الآخر الحضاري مجرد هامش في صناعة تحولات التاريخ و أمجاد الحضارة ، إلا أنَّ الروح النقدية والبدائل الحضارية التي قدمها الفكر الإسلامي في مشروع حوار الحضارات والاستغراب كأحد أكبر تيارات الشرق الحضاري كانت كفيلة في فضح أجندات الأنا متعالية لدى العالم الغربي وتقديم بدائل تخدم التعايش البشري بعيدا عن منطق التسيد الثقافي والتفرد الحضاري المزعوم اعتبارا على أن كل الحضارات تمثل روابط معرفية متواصلة لبناء واقع ومستقبل الفرد البشري و لا توجد قطعة حضارية بين الأمم في التطور لتحقيق ما تسعى مبادئ الإنسانية السامية إلى ضمانه في ظل احترام كل الثقافات والحضارات التي تمثل كلها المدلولات الحضارية الخصبة في تاريخ الإنسان المعاصر.

خاتمة

لقد مثل داء الاستعلاء في الحضارة الغربية ظاهرة فريدة مقارنة بكل السياقات الحضارية التي سبقته وذلك من خلال جعل العالم حبيسا لتوجهات الغرب الحضارية الغير قابلة للتداول والنقاش بشكل يعكس مدى تمجيد الذات الغربية على حساب تهميش الآخر الحضاري وعدم الاعتراف به ، وهنا تظهر لنا هذه الجدلية كاستكمال غير صريح لنظرية السيد والعبد بين الغرب والشرق و تواصل مباشر للتمركز العرقي والثقافي قديما الذي ميز الحضارة اليونانية بالتقسيم العالم إلى إغريق وبرابرة أو بعبارة أخرى إلى أحرار بالطبيعة وعبيد بالطبيعة ما يمثل في الحقبة الحديثة شكلا يضاد كل القيم الإنسانية التي تسعى لتحقيق الوحدة والتعايش بين الشعوب ، إلا أن الحضارة الغربية تبالغ في الاستحغار والنهب الاقتصادي و التهجين الحضاري للأمم غير الغربية من أجل تحقيق حضارة كونية ذات بعد غربي واحد وتلخيص عصارة التاريخ البشري في أحد مكوناته الحضارية عبر استراتيجية المركزية الغربية التي تحول معها الإنسان من المبادئ والقيم الى المصالح و المادة في كل تصوراته وعلاقاته ما جعل العالم يقع في سلطان الهيمنة والتسلط بعد أن تحرر من الأساطير والخرافات ، ولعل خطاب التمركز الغربي يسعى دوما لسادية المجتمع الغربي على غيره من الأمم بإلغاء الاختلاف الحضاري والتعدد الثقافي بحجة حصر العالم في قرية كونية متماهية ومتقاربة في ظل سطوة الإعلام وسرعة المعلومة مع التطور البالغ الذي بلغته الوسائل التكنولوجية في التواصل .

إلا أن واقع الحال يعكس أن هذا المشروع حافظ على إنتاجية الغرب مقابل تحول المجتمعات اللاغربية إلى جموع مستهلكة لكل شيء خاصة مع سياسة الإبهار عبر وسائل الإعلام لتصدق بذلك عبارة المغلوب مولع بتقليد ثقافة الغالب مع تجريده من كل قيمه الدينية والاجتماعية والأخلاقية لصالح قيم تجارية تباع وتشتري حسب الطلب وبذلك يغيب الإنسان حقوقا وقيما والتاريخ أحداثا و مواقف لصالح الذات الغربية المهيمنة التي لطالما عمدت لتبرير

الإستعلاء عبر نافذة ضيقة هي وراثه المعجزة اليونانية التي تقرر معها تبرير الخطاب العنصري و الإقصائي مع حضارات الحواشي الشرقية ولو بالحروب والصراعات وفي مقدمتها الحضارة الإسلامية التي مثلت أكبر تحدي لخطاب التمرکز الغربي في المرحلة المعاصرة عبر إطلاق عدة مشاريع فكرية كالتصارع بين الحضارات مع "صموئيل هنتغتون" و أطروحة نهاية التاريخ مع "فرنسيس فوكوياما" من جهة ومن جهة أخرى المحاولات الغربية الدائمة لتكسير القيم الإسلامية بنخرها بالدراسات الاستشراقية المعادية ومشوهة لصورة الإسلام في العالم الغربي وبت روح التشكيك بيم المسلمين حول عدة مسائل مختلفة أو مزيفة ليتطور هذا المخطط مع قوة الإعلام المعاصر بترويج لنزعة الرهاب من الإسلام خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م لتخويف المجتمعات الغربية وغيرها ومنعها من الإنفتاح على المسلمين بحجج نشر الارهاب والتطرف وجعل الفرد المسلم يعاني من عقدة إظهار الإسلام والخوف من وصفه بالرجعية والتخلف بهدف تسهيل إقرار مجتمعات علمانية في العالم الإسلامي ترفض القيم الدينية والروحانية و تقدس المادة عبر مجتمعات معولمة في كل المجالات تحقق هوية واحدة للعالم تتسيدها الحضارة الغربية ، ما دفع بالباح إلى ضرورة الانقلاب الفكري والثقافي على خطاب التمرکز الغربي من خلال الدعوة إلى التضامن بين حضارات الحواشي والاطراف والتصدي للهيمنة الغربية .

ولقد كانت ولا زالت الحضارة الإسلامية على رأس محور المقاومة لمواجهة أجنادات التفوق الغربي والهيمنة المطلقة عبر العودة للقيم الروحانية و الأخلاقية التي تحوزها مقابل الخواء الغربي تاريخا وقيما ، فسعى بذلك الفكر الإسلامي لقلب المعادلة الغربية عبر الاستشراق بدراسة الإرث الغربي بعيون إسلامية عبر مشروع الاستغراب مع "حسن حنفي" الذي ساهم في إظهار الأنا الإسلامي كدارس حقيقي وناقد موضوعي للمشاريع الفكرية والثقافية للعالم الغربي لأول مرة وتعزيز ذلك بإطلاق حوار حضاري شامل بين مختلف الحضارات مع مقاربة الأمل "الروحي غارودي" بإعادة كرامة الإنسان وحقوقه وذاته المسلوبة من أجل حضارة إنسانية حقيقية يساهم فيها الكل دون إقصاء أو تهميش في ظل إحترام التعدد الثقافي

والاختلاف الحضاري الذي أقرته الوقائع التاريخية الخالدة قبل المناهج الإيديولوجية الموجهة في وقتنا المعاصر في ظل التعاون والسلام عبر حوار جاد يحترم الذات الغربية و يعيد العالم إلى مساره الصحيح عبر استرجاع أدوار الحضارات السابقة في بناء الحاضر الإنساني بعيدا على نزعة الهيمنة و روح التسلط لإقامة مستقبل حضاري متكامل يسعى لإيجاد حلول لمشاكل الإنسانية و ليس لإقرار مشاريع الذات الغربية ،وهذا ما يمثل مشروع أمل متكامل يدعوا للانفتاح ويؤسس للاعتراف والتجاوب مع الآخر الحضاري لنصل معا لعالم يسوده الحوار بدل منطق الصراع والنهايات المؤدلجة التي لا تقدم أي جديد بقدر ما تقتل مشاكل حضارية و صدمات ثقافية تجعل معها العالم حبيس الأزمات والتناقضات المختلفة وهذا ما يحاكي جوهر الخطاب الإسلامي الذي يخدم الراهن عبر تجديد الوعي الإسلامي و إبراز وسطية الإسلام خاصة في ظل إعطاء الله سبحانه وتعالى مسؤولة الشهادة الحضارية للإسلام على الناس لما يمثله من رسالة مستنيرة وخالدة تؤمن بالتحاور وقبول الآخر بالجدال الحسن بعيدا عن كل أشكال الانغلاق والجمود ، وبذلك ندرك حجم احتياج العالم لذات إنسانية مشتركة في السياق الحضاري ومتعددة في الطرح الثقافي والديني لتحقيق الغايات السامية التي يصبوا الإنسان للوصول إليها و يعمل التاريخ على إقرارها بعيدا عن كل أشكال الرفض الحضاري المتبادل أو منطق الهيمنة بين المجتمعات الإنسانية .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

القراءان الكريم

أولاً: قائمة المراجع :

- 1- إس.رابوبرانت: مبادئ الفلسفة ، تر: أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ،بيروت ،1969.
- 2- إبراهيم نافع : جنون الخطر الأخضر وحملة تشويه الاسلام ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ،2004.
- 3- أحمد ديدات : شيطانية الآيات الشيطانية ،تر: علي الجوهري ،دار الفضيلة ، القاهرة ،1990.
- 4- أحمد سمايلوفنتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة،1998.
- 5- أحمد عبد الحليم عطية : جدل الأنا والآخر" قراءات نقدية في فكر حسن حنفي " ، مكتبة مدبولي الصغير ، القاهرة، ط1،1997.
- 6- إدريس هاني: أخلاقنا في حاجة الى فلسفة أخلاق بديلة ،مركز الحضارة للتنمية الفكر الاسلامي، لبنان، ط1،2009.
- 7- إدوارد سعيد : الاستشراق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع ،القاهرة، ط1،2006
- 8- إدوارد سعيد : الثقافة والإمبريالية ،تر: كمال أبو ديب، دار الآداب،بيروت،1998
- 9- إدوارد سعيد: الاستشراق (المعرفة -السلطة -الانتشار)،تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية ،بيروت،1981.

- 10- إسماعيل علي محمد : الاستشراق بين الحقيقة والتضليل (مدخل علمي لدراسة الاستشراق)، ط3، 2000.
- 11- إمام عبد الفتاح إمام : فلسفة الأخلاق ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،د.ط، القاهرة
- 12- أمين سامي باشا : تقويم النيل ،ج3، المجلد 01، القاهرة، ط1، 1936.
- 13- أنور الجنيدى: مقدمة في العلوم والمناهج ، القاهرة ، 1979.
- 14- أنور محمد زناتي: دراسة جديدة للاستشراق ،مكتبة الأنجلو-مصرية، القاهرة، ط1، 2006.
- 15- إيليري هيلين: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، تر: سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1426هـ.
- 16- باسيل يوسف : النظام الدولي الجديد آراء ومواقف ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ، بغداد، ط1، 1992.
- 17- بدران بن الحسن: الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري (مالك بن نبي نموذجاً)، دار الكتب القطرية ،قطر، ط1، 1999.
- 18- برتران بادى: الدولة والمجتمع في الغرب وفي دار الإسلام ،تر: نخلة فريفر، المركز الثقافي العربي، ط1، د.س.
- 19- برتراند راسل: حكمة الغرب ،ج1، تر: فؤاد زكرياء المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت، يناير، 1978.
- 20- برتراند راسل: حكمة الغرب،ج2، تر: فؤاد زكرياء ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،1983.

- 21- بركات محمد مراد : العولمة رؤية نقدية (بين رفض العرب والإسلاميين والترويج الغربي) ، كتب عربية ، د.ط.
- 22- برهان زريق: حوار الحضارات وبعده الديني ، وزارة الاعلام السورية ، ط1، 2018.
- 23-برهان غليون : إغتيال العقل- محنة الثقافة العربية بين التبعية والسلفية- المركز الثقافي العربي، المغرب ، ط4، 2006.
- 24- بسام عجك: الحوار الاسلامي المسيحي ، دار قتيبة ، دمشق ، 1418هـ.
- 25- بول ريكور: الذات عينها مثل الآخر، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت، ط1، 2005.
- 26- بيتر جران: ما بعد المركزية الأوروبية- نظرة جديدة في تاريخ العالم الحديث-، تر: مجموعة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 1998.
- 27- تركي الصقر: الإعلام العربي وتحديات العولمة ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1998.
- 28- تزفتان تودروف :فتح أمريكا ومسألة الآخر، تر: بشير السباعي ، دار سينا ، القاهرة ، 1992 ،
- 29- تزفتان تودوروف: روح الأنوار، تر: حافظ قويعة ، دار محمد علي، تونس، ط1 ، 2007،
- 30- تشارلز تايلور: العلمانية الغربية ، تر: طارق عثمان ، مركز نماء للبحوث والدراسات ، أوراق نماء 120 .
- 31- توفيق الطويل : الفلسفة الخلفية نشأتها وتطورها ،دار النهضة العربية ،القاهرة، ط2 ، 1967.

- 32- تيبور ماند : خلاص العالم ،تر: هاجر نجدة وطارق هشام ،المكتب التجاري ، بيروت ، 1960.
- 33- جاكلين روس : مغامرة الفكر الأوروبي (قصة الأفكار الغربية) ،تر: أمال ديبو ،هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ،2011.
- 34- جعفر شيخ إدريس: صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ،السعودية، ط1، 1433هـ.
- 35- جودت السعيد، عبد الواحد علواني: الإسلام والغرب والديمقراطية ،دار الفكر المعاصر، بيروت ، 1996.
- 36- جورج طرابيشي: مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام ،دار الساقى ،لبنان، ط1 ، 1998.
- 37- جورج قرم :تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب ،تر: رلى ذبيان ،دار الفارابي ،لبنان، ط1،2011.
- 38- جورج لوكاتش: تحطيم العقل، تر: إلياس مرقص ،دار الحقيقة للطباعة والنشر ،لبنان ، ط2، 1982.
- 39 - جوزيف مغيزل :العروبة والعلمانية ، دار النهار ،بيروت ،1980.
- 40- جي أم بلاوت: ثمانية من مؤرخي المركزية الأوروبية ،ج2، تر: هبة الشايب، المركز القومي للترجمة ،القاهرة، ط1،2010.
- 41- جيمس روزانو : ديناميكية العولمة - نحو صياغة علمية -، تر: مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية بالأهرام ،القاهرة ، 1998.

- 42- حسن حنفي : التراث والتجديد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط5
، 2000 .
- 43- حسن حنفي : دراسات فلسفية - في الفكر الاسلامي المعاصر - ، ج1، مؤسسة
هنداوي ، المملكة المتحدة ، 2020.
- 44- حسن حنفي : دراسات فلسفية ، الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1998.
- 45- حسن حنفي : هموم الفكر والوطن، ج2، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة،
ط3، 1998.
- 46- حسن حنفي ، صادق جلال العظم : ما العولمة ؟ ، دار الفكر ، دمشق، ط2، 2000
- 47- حسن حنفي: في الفكر العربي المعاصر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر
والتوزيع ، ط4، 1999
- 48- حسن حنفي: قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر،
بيروت، ط2، 1983.
- 49- حسن حنفي: مقدمة في علم الإستغراب ،الدار الفنية ، القاهرة، 1991.
- 50- حسن شحاتة : الذات والآخر في الشرق والغرب ، دار العالم العربي ، القاهرة، ط1 ،
يناير 2008
- 51- حسن عبد العزيز أحمد: جغرافية أوروبا - دراسية موضوعية - ، دار المريخ ،
الرياض.
- 52- حسن عزوزي: الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري ، كتاب جماعي، المؤتمر
الإسلامي العالمي للحوار.

- 53- حسن مؤدس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة كتب ثقافية
تصورية ،د.ط، الكويت،1978.
- 54- حسين مروة: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية،دار الفارابي، ،
بيروت،1985.
- 55- حميد حمد السعدون: الغرب والإسلام والصراع الحضاري، دار وائل للطباعة والنشر،
عمان، 2002 .
- 56 - خليل مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، مركز البحوث
والدراسات الإسلامية، العراق، ط1، 2009.
- 57- الدراجي زروخي: خرافة الإسلاموفوبيا ، منشورات مخبر الدراسات الأنثربولوجية
والمشكلات الاجتماعية، جامعة المسيلة، ط1، مارس2021.
- 58- رأفت دسوقي : عولمة المدير في العالم النامي ،دار العلوم ، القاهرة، ط1، 2006.
- 59- رامي الكيلوي : روجي غارودي من الإلحاد إلى الإيمان ،دار قتيبة للطباعة والنشر،
دمشق، ط1،1990.
- 60- ريوسكيه ورفاتييه: الإنسان في المجتمع المعاصر، تر: مصطفى كمال فودة، دار
المعرفة ،د.ط، القاهرة.
- 61- رضا عبد الواجد أمين : الإعلام والعولمة ،دار الفجر ،ط1، القاهرة، 2007.
- 62- روجي غارودي: أصول الأصوليات والتعصبات السلفية، مكتبة الشروق،
القاهرة،1996.

- 63- روجي غارودي : أمريكا طليعة الانحطاط ،تر: صباح جهيم ، دار عطية ، بيروت،1998.
- 64- روجي غارودي : لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة ،مكتبة القرآن للنشر ، القاهرة، ط1، 1999.
- 65- روجي غارودي : نحو حرب دينية بجدل العصر، تر: صباح الجهيم ،دار عطية للطباعة والنشر ،لبنان ، ط2 ، 1997.
- 66- روجي غارودي : وعود الإسلام ،تر: ذوقان قرقوط، دار الراقي ، بيروت، ط2، 1985،
- 67- روجي غارودي :في سبيل حوار الحضارات ،تر: عادل العوا ،عويادات ، بيروت ، 1999.
- 68- روجي غارودي: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، تر:عزة صبحي ،دار الشروق، ط3، القاهرة، 2020.
- 69- روجي غارودي: حوار الحضارات ، دار العويادات ،بيروت، ط5 ، 2003.
- 70- روجي غارودي: كيف نصنع المستقبل ،تر: أنور مغيث ومنى طلبة ،دار الشروق، القاهرة ، ط3، 2003.
- 71- روجي غارودي: محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ،دار الشروق ، القاهرة، ط3 ، 2002.
- 72- روجي غارودي: مشروع الأمل، دار الأدب ، بيروت، ط1 ، 1977.
- 73- رونييه ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ،تر: كمال الحاج ،منشورات عويادات ،بيروت ، ط4 ، 1988.

- 74- ريجس دوبريه: زائر الفجر: كريستوفر كولومبس مكتشف أم قرصان ،تر: ليلي غانم ،
الدار الجماهيرية ،طرابلس،1994.
- 75- سالم يفوت : حفريات الاستشراق "في نقد العقل الاستشراقي" ، المركز الثقافي العربي ،
الدار البيضاء، ط1 ، 1989.
- 76- سعد آل حميد: أهداف الاستشراق ووسائله ،قسم الثقافة الاسلامية ، كلية التربية
،جامعة الملك سعود، السعودية.
- 77- سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية ،المركز الثقافي الغربي ، المغرب
،2007.
- 78- سفر بن عبدالرحمان الحوالي: العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية
المعاصرة ، دار الهجرة.
- 79- سليمان الخطيب: أسس مفهوم الحضارة في الاسلام ،الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة.
- 80- سمير أمين : نحو نظرية الثقافة ،معهد الإنماء العربي ،بيروت، د.ط، 1989.
- 81- سوزان حرفي : العلمانية والحدائثة والعولمة (حوار مع د. عبد الوهاب المسيري) ،دار
الفكر ، القاهرة، ط1، 2013.
- 82- السيد قطب: الإسلام ومشكلات الحضارة ، دار الشروق ،القاهرة، ط9، 1408هـ.
- 83- سيرج لاتوش: تغريب العالم ، تر: خليل كلفت ، دار العالم الثالث، القاهرة، 1992.
- 84- سيف الدين عبد الفتاح: العولمة والاسلام رؤيتان للعالم ، دار الفكر ، دمشق، ط1 ،
2009.

- 85- شبلي العيسمي: العلمانية ودولة الدينية ،دار الشؤون الثقافية العامة " أفاق عربية " ،
بغداد ، ط1 ، 1986
- 86- صالح حمد الأشرف: الاستشراق مفهومه وآثاره ،جامعة محمد بن سعود الإسلامية ،
السعودية ، 2016.
- 87- صلاح الجابري: الاستشراق قراءة نقدية ، دار الأوائل للنشر والتوزيع ،سوريا،
ط1،2009.
- 88- صموئيل هنتغتون : صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ، تر مالك أبو
شهيرة ،محمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ،بنغازي، ط1،1999.
- 90- ضناوي محمد علي : مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية ،حراء الاعلامية ، ،
الجزائر، ط1،1993.
- 91- الطيب بوعزة :في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة - نقد التمركز الأوروبي-، مركز النماء
، لبنان، ط2، 2012.
- 92- عابد الجابري ،حسن حنفي :حوار الشرق والغرب ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،
بيروت، ط1، 1990.
- 93- عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي ، مؤسسة
وعي للأبحاث والدراسات ، قطر ، ط1، 2016.
- 94- عبد الحليم عمار غربي: العولمة الاقتصادية رؤية استشرافية في مطلع القرن الواحد
العشرين ، دار أبي فداء ،سوريا،2013.

- 95- عبد الرحمان بدوي: دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب ،المؤسسة العربية ،بيروت، ط1،1981.
- 96- عباس مخلوف وعبد السلام بوزيرة : "صدمة المركزية الغربية في ظل جائحة كورونا"، الفلسفة والعلم رؤية جديدة بعد الجائحة ،تنسيق هشام قاضي و قلامين صباح ، دار الخيال للنشر والترجمة ،برج بوعريريج ،د.ط، السداسي الأول 2021.
- 97- عبد الطيف الغامدي: المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان ،مركز التأصيل للدراسات والبحوث ، السعودية، ط1، 2014.
- 98- عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار من أجل التعايش، دار الشروق ،القاهرة، ط1 ، 1998 .
- 99- عبد القادر طاش: صورة الإسلام في الإعلام الغربي ،الزهراء للإعلام العربي ، مصر، ط2، 1993.
- 100- عبد الكريم عنيات: نتيثه والإغريق أصل الفلسفة ،الدار العربية للعلوم ،الرباط، ط1،2010.
- 101- عبد الله ابراهيم: المركزية الغربية (إشكالية التكون وتمركز حول الذات) ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2003.
- 102- عبد الله شقري :الأصولية الدينية حول العالم (الأصولية الإنجيلية نموذجاً) ،مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات ،قطر، ط1، 2016.
- 103- عبد الله علي العليان : حوار الحضارات في القرن 21- رؤية إسلامية للحوار - ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004.

- 104- عبد الله محمد الأمين النعيم : الاستشراق في سيرة النبوية ،دراسة تاريخية ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي ،ط1، 1997.
- 105- عبد الوهاب المسيري : الحداثة وما بعد الحداثة ،سلسلة حوارات القرن الجديد، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1424هـ.
- 106- عبد الوهاب المسيري : العالم من منظور غربي ، دار الهلال ، العدد 602 ، القاهرة ، فبراير 2001.
- 107-عبدالوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ،دار الشروق ،مصر، ط1 ، 2002
- 108- عبد الوهاب المسيري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: رؤية حضارية جديدة ، دار الشروق ،القاهرة، 1997، ص29.
- 109- عبد الوهاب المسيري: العلمانية والحداثة والعولمة ، تحرير سوزان حرفي ، حوارات ، ط1 ، 2013.
- 110- عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والشاملة ،ج1، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002.
- 111- عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط1 ، يناير 2006.
- 112- عدنان صمد زرزور: جذور الفكر القومي والعلماني ، المكتب الاسلامي ،بيروت ، ط3، 1999.

- 113- علاء بيومي : شبكة الإسلاموفوبيا في أمريكا ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ،2012.
- 114- علي بن إبراهيم النملة : كنه الاستغراب" المنهج في فهمنا للغرب" ،بيسان للنشر والتوزيع ،بيروت، ط2، 2016.
- 115- علي حرب: حديث النهايات :فتوحات العولمة ومأزق الهوية ،المركز الثقافي العربي ، المغرب، ط2، 2004.
- 116- علي خامنئي: الغزو الثقافي والمقدمات والخلفيات التاريخية ، دار الولاية للثقافة والإعلام .
- 117- علي سعود عطية : تاريخ الحروب الصليبية، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، القاهرة، ط1، 2010.
- 118- علي عباس، مراد حسن فياض: القومية والأمة - مدخل الى الفكر السياسي والقومي - ، العربي للنشر والتوزيع ،العراق،2017.
- 119- علي عبود المحمدواي: خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح ، إبن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط1، 2012.
- 120- علي فركوس: العلمانية حقيقتها وخطورتها ، دار الموقع ، الجزائر، ط3، 2013.
- 121- عمار جيدل: حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس والتواصل الإنساني ، دار الحامد للنشر والتوزيع ،الجزائر، ط1،2003.
- 122- عمر بوساحة: العولمة الثقافية (المفهوم والتحديات) ، أشرعة النور ،الجزائر ، 2012.

- 123- عمر رضوان: آراء المستشرقين حول القراءان الكريم وتفسيره(دراسة ونقد)، ج1، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض، ط1، 1992.
- 124- عمرة بوجليدة : الحداثة واستبعاد الآخر ، دار الروافد ،لبنان ، ط1، 2013.
- 125- فائز اللهبي: إشكالية الخوف من الاسلام بين الرؤية والواقع الاسلامي ، دار النهج للدراسات والنشر والتوزيع ،حلب، ط1، 2009.
- 126- فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية ،تر: عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، دبي، 2006.
- 127- فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الاخير، تر: فؤاد شاهين ،مركز الإنماء القومي ، بيروت، 1999 .
- 128- فريدريك نتيشه : الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي ،تر: سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات ،لبنان ، ط1، 1983.
- 129- فريدريك نتيشه: عدو المسيح ،تر: جورج ديب، دار الحوار، اللاذقية، ط2، 2005.
- 130- فؤاد البنا : العالم الإسلامي بين التخلف الحضاري ورياح العولمة ،دار التوزيع و النشر الإسلامية ،القاهرة ، ط1، 2006.
- 131- قيس ناصر راهي :نهاية التاريخ ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية (العتبة العباسية المقدسة) ،العراق، ط1، 2017.
- 132- قيس ناصر راهي: صدام الحضارات ،العتبة العباسية المقدسة المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العراق، ط1، 2017.

- 133- كيث روبنس: تغيير وجه العالم ، تر: هبة حاتم ،المجموعة العربية للتدريب والنشر،
القاهرة ، ط1 ، 2018.
- 134- لخضر شايب : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكة ،
الرياض، ط1، 2002
- 135- مالك بن نبي: انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث، دار الارشاد،
بيروت ، ط1، 1969.
- 136- محمد إبراهيم مبروك : مواجهة المواجهة (المناقشة الإسلامية للأفكار العلمانية)،
الكتاب الأول ، دار الطباعة الحديثة .
- 137- محمد إبراهيم مبروك: العلمانية العدو الأكبر للإسلام من البداية إلى النهاية، مركز
الحضارة العربية ، القاهرة ، ط1، 2007.
- 138- محمد أركون وآخرون: الاستشراق بين دعائه ومعارضيه ،تر: هشام صالح ،
بيروت، 1994.
- 139- محمد أركون: الفكر الاسلامي قراءة علمية ،تر: هشام صالح ،مركز الإنماء القومي
، ط2، 1996.
- 140- محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ،مكتبة وهبة ،القاهرة،
ط11، 1985.
- 141- محمد الخطيب: الفكر الإغريقي ، دار علاء الدين ، سوريا، ط1، 1999.
- 142- محمد السماك : الدين في القرار الامريكى ، طبعة بيروت ، 2003.

- 143- محمد الهامي : نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب ، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع ،2015.
- 144- محمد حسام الدين : العولمة وصورة الإسلام ، المدينة برس ، القاهرة ، 2003.
- 145- محمد حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة ،الكويت، ط1 ،1404هـ.
- 146- محمد خاتمي: مطالعات في الدين والاسلام والعصر، دار الجديد ،ط3، 1999.
- 147- محمد سبيلا وعبدالسلام بن عبد العالي: ما بعد الحداثة ،ج2، دار تبوقال للنشر ، ،الدار البيضاء، ط1 ، 2007.
- 148- محمد سبيلا: الحداثة وما بعد الحداثة ،مركز دراسات فلسفة الدين ،بغداد،2005.
- 149- محمد سبيلا: مدارات الحداثة ،الشبكة العربية للأبحاث ،بيروت، ط1 ،2009.
- 150- محمد عابد الجابري : قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ، ،بيروت، ط1،1997.
- 151- محمد عابد الجابري : مسألة الهوية :العروبة والاسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية ، ،بيروت،1995.
- 152- محمد عمارة : الحضارات العالمية تدافع أم صراع ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط1 ، 1998.
- 153- محمد عمارة : العلمانية بين الغرب والاسلام ، دار الدعوة للنشر والتوزيع ، الكويت، ط1 ، 1996.

- 154- محمد عمارة :الغرب والاسلام أين الخطأ؟..وأين الصواب؟، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط1، 2004.
- 155- محمد كامل ظاهر: الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي المعاصر ، دار البيروني للطباعة والنشر، ط1، 1994.
- 156- محمد محفوظ: الإسلام ورهانات الديمقراطية ، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1،2002.
- 157- مختار عريب: الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا ،كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ،الجزائر،2009.
- 158- مراد وهبة : ملاك الحقيقة المطلقة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،1999.
- 159- مراد وهبة ،منى أبوسنة: ابن رشد اليوم (الارهاب وتدریس الفلسفة)،دار قباء، القاهرة، 2000.
- 160- مراد وهبة: الأصولية والعلمانية ، دار الثقافة ، القاهرة، ط1، 1995.
- 161- مرسلينا إلياد :مظاهر الأسطورة ،تر: نهاد خياطة ،دار كنعان ،دمشق ، 1991.
- 162- المركز العالمي للاستشارات الاستراتيجية : مهلا هانتغتون..مهلا فوكوياما، مكتبة العبيكان، الرياض، ط2، 2004.
- 163- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ،دار الوراق للنشر والتوزيع، د.ط، المكتب الاسلامي.
- 164- مصطفى خالدي ،عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية ،القاهرة، 1986.

- 165- مطاع الصفدي: نقد العقل الغربي ،مركز الإنماء القومي ، لبنان،1990.
- 166- منير مهادي: نقد التمركز وفكرة الاختلاف "مقاربة في مشروع عبد الله ابراهيم " ،ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
- 167- نادية محمود مصطفى : جدالات حوار/صراع الحضارات ، مركز الحضارة للدراسات السياسية ، يوليو 2006، القاهرة.
- 168- نعيمة شومان : العولمة بين نظم التكنولوجيا الحديثة ، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط1 ، 1998.
- 169- هيرالد شومان و كريستيانه غريفة: العد العكسي للعولمة ،تر: محمد الزايد ،الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.
- 170- هيربرت شيلر: الاتصال والهوية الثقافية ،تر: روجيه سمعان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2007.
- 171- هيغل: علم ظهور الحق ،تر: مصطفى صفوان ،دار الطليعة ،بيروت، ط3، 2001
- 172- وايت هوارد: فرنسيس بيكون -ضمن تاريخ الفلسفة السياسية-،تر: محمود سيد أحمد ، مجلس الثقافة الأعلى، المجلد 1، القاهرة.
- 173- ويل ديورانت: قصة الحضارة ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دار الجيل للطبع والنشر.
- 174- يحي سعيد قاعد : أطروحات فوكوياما و هانتغتون والنظام العالمي الجديد ، مركز البيان للبحوث و الدراسات، الرياض، 2015.
- 175- يوسف القرضاوي: الاسلام والعلمانية ، دار الثقافة ، القاهرة، ط1 ، 1995.

176- يوسف القرضاوي: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1،2004

ثانيا: القواميس والمعاجم والموسوعات:

1- إبراهيم مصطفى وآخرون :المعجم الوسيط ، ج1، دار الدعوة ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة.

2- أحمد علي عجيبة: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام اليه ،موسوعة عقيدة الأديان، العدد11، دار الآفاق العربية.

3- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتاب، المجلد1، القاهرة، ط1،2000.

4- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ،منشورات عويدات ،المجلد1،بيروت، ط2، 2001.

5- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ،ج2، لبنان،1982.

6- روجي البعلبكي: قاموس المورد ،دار العلم للملايين ،بيروت، ط7،1995.

7- شوقي ضيف: المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

8- غانم الهنا : فلسفة التاريخ -الموسوعة الفلسفية العربية -،ج2،معهد الإنماء العربي ،بيروت،1968.

9- مجمع اللغة العربية :المعجم الوسيط ،مكتبة الشروق ، القاهرة ،2004.

10- محمد إبن منظور: لسان العرب، دار صادر، ج10 ،بيروت، ط3، ، 1414هـ

11- مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار قباء ، القاهرة ، 2007.

ثالثا: قائمة المجلات والدوريات:

1- إبراهيم القادري بوتشيش: نهاية التاريخ في الحاجة الى نقد أطروحة فوكوياما، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، المجلد 01، العدد 01، 2015.

2- أبو الفضل ساجدي: الاستغراب النقدي علم ضروري لفهم الغرب ونقد معارفه، حوارات تأسيسية في علم الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ج3، العراق، ط1، 2021.

3- أبوبكر جيلالي : اللغة والهوية والعولمة- معركة المفاهيم -، مجلة الكلمة ، 03-06-2019.

4- أبوبكر رفيق : مخاطر العولمة على الهوية الثقافية للعالم الإسلامي ،مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيناغونغ، المجلد 4، ديسمبر 2007

5- أحمد تريكي: إشكالية الصراع الهوياتي في عصر العولمة، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 07، العدد 02، 2021

6- أحمد جاسم إبراهيم: مشروع الحوار الحضاري أبعاده ومستقبله، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد 6، العدد 4، العراق، 2016

7- أحمد شحيمط: نقد الخطاب الاستشراقي وجدلية الشرق والغرب ،مج دراسات إستشراقية ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد 14، 2018.

8- أحمد عبد العزيز وآخرون : العولمة الاقتصادية وآثارها على الدول العربية ، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد 86، 2011.

- 9- أديس دوداريجا، حلیم راني: الإسلاموفوبيا، تر: بدر الدين مصطفى ، مجلة مؤمنون بلا حدود ، قسم الدراسات الدينية ، 06/11/2019.
- 10- البخاري حمادة، المثقف العربي بين واقع الاستشراق وحلم الاستغراب، مجلة الحضارة الإسلامية ، المجلد 06 ، العدد7، 2001.
- 11- بربح عمر: نهاية التاريخ بين تصوري ماركس وفوكوياما ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ، المجلد 9، العدد2، 2021.
- 12- بريجة شريفة ، الهوية الثقافية بين إستراتيجيات التشكيل ورهانات الصراع ، مجلة مؤمنون بلا حدود، بحث محكم ، الرباط ، 27/02/2020.
- 13- بهاء درويش: مقتضى علم الاستغراب فهم الغرب وتشريح أسباب مركزيته، ج1، حوارات في علم الاستغراب ،المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ،العراق، ط1، 2020.
- 14- حسن البارقي: الاستغراب "البعد الديني في الاستغراب المعاصر"، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 04، العدد03، 2016.
- 15- خليل القيسي، سعد وهيب: الاستشراق اشكالية المفهوم، مجلة ديالي، العدد60 ،جامعة ديالي العراقية ، 2013 .
- 16- زازوي موفق، بن معمر عبد الله: مستقبل الحضارات: صدام أم حوار؟ (مشروع غارودي بديلا لأطروحة هنتغتون) مجلة أنثروبولوجية الأديان ،المجلد05، العدد02، 2009.
- 17- زكي الميلاد: تعارف الحضارات: الفكرة-الخبرة-التأسيس، مجلة الحوار الثقافي ، 2013.

- 18- سمايل صبري عبدالله: التنمية المستقلة من منظور المشروع الحضاري، مجلة المستقبل العربي، العدد 269، 2001/7/24 .
- 19- صالح بوسليم : حركة الاستشراق، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 11، 2016/03/12، الجزائر
- 20- صموئيل هنتغتون : صدام الحضارات ،تر: نجوى أبو غزالة ،مجلة شؤون سياسية ، العدد 01، بغداد، 1994.
- 21- عاطف عطية، الغرب والآخر منطق التداخل بين العلمنة والهيمنة ، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد 02، بيروت ، 2016.
- 22- عباس مخلوف ،عبد السلام بوزيرة: إشكالية المركز والهامش في الخطاب الغربي: الدوافع والبدائل، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ،المجلد 08 ،العدد 01،مؤسسة الحكمة للنشر والتوزيع ، السداسي الأول 2021.
- 23- عبد الوهاب شعلان من الاستشراق إلى الاستغراب :قراءة في فكر حسن حنفي، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد 4، العدد 8، 2007.
- 24- عبد الرحمان تبرماسين ،صورية جيخ: إشكالية المركز والهامش في الأدب العربي، مجلة المخبر، جامعة بسكرة ، العدد 10، 2014.
- 25- عبد السلام بوزيرة: الإسلاموفوبيا وحوار الحضارات (مفارقة الضرورة والامتناع) ،مجلة الإناسة وعلوم المجتمع ،العدد 01، جويلية 2017.
- 26- عبد القادر بن عزة: الإستشراق مصنع إمداد فكري لمواد الغزو الثقافي، مجلة الإنسان والمجتمع ،العدد 02، ديسمبر 2011.

- 27- عبد الله ابراهيم : نقد التمرکزات في العالم المعاصر، مركز دراسات فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد، مجلة قضايا اسلامية معاصرة ،السنة السابعة ، العدد23، بيروت ،2003 .
- 28- عبد الله عبد الدائم : إسرائيل وهويتها الممزقة ، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2001.
- 29- عبد الوهاب المسيري: العلمانية رؤية معرفية ،مجلة الغدير، المجلد4، العدد25/26، 1994
- 30- عدنان محمد وزان: الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر، ج24، رابطة العالم الاسلامي ،سلسلة دعوة الحق ، ،مكة المكرمة ،1984.
- 31- عطية فتحي الويشي: الخواف الاسلامي بين الحقيقة والتضليل، سلسلة دعوة الحق، إدارة الدعوة والتعليم، العدد 219 ،2007.
- 32- علي عزت بيكوفيج: الإسلام بين الشرق والغرب ،تر: محمد يوسف عدس ،مؤسسة بافاريا/مجلة النور الكويتية، 1994.
- 33- عمر أزراج: مشكلة التمرکز العرقي في الدراسات الكولونيالية وما بعدها ،مجلة الجديد ،العدد 22 ، ص2016
- 34- عمر الأمين عبد الله: مهمة علم الاستغراب زعزعة الأساس المعرفي الذي قام عليه جوهر الغرب، ج2 ،حوارات تأسيسية في علم الاستغراب، ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، العراق، ط1، 2021.

- 35- عمر خروبي بزاره: صدام الحضارات أم حوار الحضارات(دراسة مقارنة في جدلية الفكر الغربي والفكر الإسلامي)، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، المجلد13، العدد02، 2021
- 36- فاروق رفيق : الغرب والآخرين- المسلم كآخر للغرب- ،مجلة رهند(البعد)، مركز رهند للدراسات الكردية، السويد ، العدد08، 1998.
- 37- ماجد الغرباوي: حوار الحضارات الواقع والأهداف ،مجلة التوحيد ،مؤسسة الفكر الاسلامي ومؤسسة التوحيد ،العدد86 ،إيران،1997.
- 38- محمد بوفلاحة : حوار الحضارات من منظور الثقافة الاسلامية (الأسس والقواعد) ، مجلة مقاربات فلسفية ،المجلد 8 ،العدد01،2021.
- 39- محمد جعير: أسس حوار الحضارات في الإسلام ،مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ،العدد19، جانفي 2018.
- 40- محمد خليفة حسن: المسلمون و الحوار الحضاري مع الآخر- نقد إسلامي لنظرية صراع الحضارات - ، مركز الدراسات الشرقية ،سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات ،العدد2، جامعة القاهرة ، 2003.
- 41- محمد خليفة حسن: المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر(نقد إسلامي لنظرية صراع الحضارات)،مركز الدراسات الشرقية ،سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات ،العدد02، القاهرة ،2003.
- 42- محمد زغو: أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب ،المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد4 ،2010.

- 43- محمد سالم سعد الله : نظرية الاستغراب في الفكر العربي المعاصر ، مجلة الفتوحات ، العدد 01 ، جانفي 2015.
- 44- محمد عبد الله شرقاوي : الاستشراق (دراسات تحليلية وتقويمية)،سلسلة في الفكر الاسلامي المعاصر ، القاهرة،1992.
- 45- محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مجلة الثاني ،بيروت، ط1، 2007.
- 46- محمد ياسر الخواجة : تجديد الخطاب الديني وتصحيح صورة الإسلام لدى الآخر الغربي، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، الرباط ، 25 نوفمبر 2016 .
- 47- محمد يحي: صراع الحضارات أم هيمنة الحضارة الغربية، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان ،مجلة البيان ،العدد 125.
- 48- محمد يحي: صراع الحضارات أم هيمنة الحضارة الغربية؟ ،مجلة البيان، العدد 125.
- 49- محمود حيدر: استشراق مستحدث " الإسلاموفوبيا" بماهي أطروحة إيديولوجية ما بعد حداثة ، مجلة دراسات استشراقية ،العدد03، 2015.
- 50- مصطفى بوخالفة: مقارنة العلمانية في السياق الإسلامي ،مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ،المجلد08، العدد01، 2020.
- 51- ميلاس محمد زين: العلمانية والاسلام - دراسة مقارنة -،مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، المجلد 05،العدد 01،2020.
- 52- نبيل السمالوطي : العداة للإسلام قديما وحديثا (الإسلاموفوبيا)، مجلة كلية الدراسات الانسانية ، جامعة الأزهر، العدد 2017/12.

53- وجيه كوثراني: الإسلام والمركزية الغربية ،معهد الإنماء العربي، المجلد 3 ،العدد 21، يوليو 1981.

54- وفاء لعريط ،إيمان قماص: تحديات الهوية الوطنية بين التواصل الثقافي الغربي وبيولوجية نهاية التاريخ ،مجلة البدر، المجلد 09 ، العدد 12، جامعة بشار ،2017.

55- وفيق سلوم : في المسألة التراثية ، مجلة الطريق ، العدد 615 ، بيروت.

56- اليامين بن تومي: مركزية الآخر وملفوظات الأنا: قراءة في الحوار بين الاستشراق والاستغراب، مجلة الحكمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث ،2004.

57- يعيش وسيلة خزار: نهاية التاريخ فرنسيس فوكوياما نموذجاً، مجلة العلوم الانسانية ، المجلد "ب" ،العدد 30، 2008.

خامسا: المتلقىات والمؤتمرات

1- السيد ياسين : ندوة الحداثة وما بعد الحداثة ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية 1998/03/13.

2- عباس مخلوف، عبد السلام بوزيرة: تجليات خطاب الكراهية (ظاهرة الإسلاموفوبيا نموذجاً)،سلسلة أعمال المؤتمر الدولي قضايا وإشكاليات فلسفية ، دار قاضي للنشر والترجمة ،ورقلة ،2021.

سادسا: المواقع الالكترونية

1- عبادة السيد : المعهد العالمي للفكر الاسلامي :قواعد عملية لتأسيس علم الاستغراب، موقع المجتمع ،24/11/2014، ت.إ 16/02/2022 .

2- ياسر قطيشات: جدلية العلاقة بين العرب والغرب ،موقع مؤمنون بلا حدود ،

2021/05/18، ت.إ 2021/11/25، على الرابط:

<https://www.mominoun.com/articles>

فهرس الموضوعات

مقدمة:.....أ- ز

الفصل الأول: خطاب التمركز الغربي: التاريخ والمفهوم

تمهيد.....ص 09

المبحث الأول: مفهوم خطاب التمركز الغربي بيم المعنى اللغوي والاصطلاحي.....ص 09

المطلب الأول: المعنى اللغويص 11

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي.....ص 14

المبحث الثاني : السياقات التاريخية لخطاب التمركز الغربي.....ص 16

المطلب الأول: الحقبة اليونانيةص 17

المطلب الثاني : حقبة ما قبل الحداثة.....ص 23

المطلب الثالث: حقبة الحداثة وما بعدها.....ص 27

المبحث الثالث: مرتكزات نزعة خطاب التمركز الغربي.....ص 39

المطلب الأول: المرتكز الفكري.....ص 39

المطلب الثاني: المرتكز الدينيص 46

المطلب الثالث: المرتكز العرقي.....ص 52

المطلب الرابع: المرتكز الجغرافيص 58

خلاصة:.....ص 66

الفصل الثاني: آليات خطاب التمركز الغربي في الهيمنة على الآخر

تمهيد:	ص 68
المبحث الأول: الغرب من النزعة الاستشراقية إلى ظاهرة الإسلاموفوبيا	ص 68
المطلب الأول: النزعة الاستشراقية	ص 68
أ/ تعريف الاستشراق	ص 69
ب/ علاقة الاستشراق بخطاب التمركز الغربي	ص 72
المطلب الثاني: ظاهرة الرهاب من الاسلام	ص 81
أ/ ظاهرة الإسلاموفوبيا	ص 81
ب/ الإسلاموفوبيا هاجس المركزية الغربية	ص 83
المبحث الثاني: الفكر الغربي ما بين توطين العلمانية والعولمة	ص 90
المطلب الأول: توطين العلمانية	ص 90
أ/ تعريف العلمانية	ص 91
ب/ العلمانية واجهة فكرية لإثبات الذات الغربية	ص 94
المطلب الثاني: أجنداث العولمة ومشروع الذات الغربية	ص 103
أ/ تعريف العولمة	ص 103
ب/ رهانات الهيمنة الغربية في زمن العولمة	ص 106

المبحث الثالث: هوية العالم بين حقيقتي صراع الحضارات و نهاية التاريخ...ص115	
المطلب الأول: إنفعال مشروع صراع الحضاراتص115	
المطلب الثاني: إنفعال اطروحة نهاية التاريخ ص123	
خلاصة:ص135	
الفصل الثالث: البدائل الحضارية لخطاب التمركز الغربي علم الاستغراب وحوار الحضارات أنموذجا	
تمهيد:ص137	
المبحث الأول: علم الاستغراب كبديل حضاري للهيمنة الغربيةص137	
المطلب الأول: مشروع علم الاستغرابص138	
أ/ التحديد اللغوي والاصطلاحي:ص138	
ب/ حقيقة مشروع علم الاستغراب عند حسن حنفي:ص141	
المطلب الثاني: الأنا الاسلامي في مشروع علم الاستغرابص146	
المبحث الثاني: مشروع حوار الحضارات سبيل لقبول الآخر.....ص158	
المطلب الأول: الحوار الحضاري بين الدلالة اللغوية والسياق الاصطلاحي.....ص158	
أ/ معنى الحوار بين اللغة والاصطلاح :.....ص158	
ب/ معنى لفظ الحضارة لغويا واصطلاحيا:.....ص160	
ج/ مفهوم حوار الحضارات:.....ص162	

المطلب الثاني: حوار الحضارات بين حقيقة المشروع وإرادة التواصل بين الأنا والآخر	
روحي غارودي نموذجاً.....	ص165
أ/ إرادة التآور الحضاري بين الأنا والآخر وفق الرؤية الإسلامية:.....	ص165
ب/ أسباب وشروط الحوار الحضاري وفق المقاربة الإسلامية:.....	ص173
ج/ حقيقة مشروع حوار الحضارات عند غارودي:.....	ص180
المبحث الثالث: إضاءات نقدية لمشاريع تمركز الذات الغربية	ص197
المطلب الأول: بين مشروع الاستشراق وآفاق الحوار: رؤية نقدية.....	ص197
أ/ براديغم الاستشراق:.....	ص197
ب/ مرض الإسلاموفوبيا:.....	ص203
المطلب الثاني: من أزمة العلمانية إلى مخاطر العولمة.....	ص209
أ/ نقد المد العولمي الغربي:.....	ص209
ب/ حقيقة العلمانية في سياق الطرح الإسلامي:.....	ص216
المطلب الثالث: نقد مشروع صراع الحضارات وأطروحة نهاية التاريخ.....	ص222
أ/ همجية صراع الحضارات:.....	ص222
ب/ فساد أطروحة نهاية التاريخ:.....	ص229
خلاصة:	ص235
خاتمة:	ص237

قائمة المصادر والمراجع:ص241

فهرس الموضوعات:ص268

ملخص:

ملخص:

لقد مثلت إشكالية التمركز بين الأنا والآخر في الفكر الغربي منعرجا حاسما في البناءات الحضارية التي قدمها الإنسان ، حيث لخصت اللحظات التاريخية و الديمومة الحضارية في العالم الغربي المتفردة عبر كل آلياتها المقدمة من مشروع الاستشراق إلى نهاية التاريخ لتبرز الحضارة الإسلامية بدائلها المتوازنة ورؤيتها النقدية المتبصرة لتعيد للفعل الحضاري حقيقته وتنتصف الإنسان والثقافة والتاريخ.

Résumé:

Le problème du centrage entre l'ego et l'autre dans la pensée occidentale a représenté un tournant décisif dans les constructions civilisées présentées par l'homme : civilisé est sa vérité et rend justice à l'homme, à la culture et à l'histoire.

Summary:

The problem of centering between the ego and the other in Western thought represented a decisive turning point in the civilized constructions presented by man. Civilized is its truth and does justice to man, culture and history.